تاريخ الحركة العلمية

في كربلاء

دراسة موضوعية شاملة عن جوانب
الحركة العلمية الدينية في كربلاء، وتراجم علمائها
الأعلام منذ أن ضمت في أرضها جثمان سيدنا
الحسين عليه السلام، وحتى وقت قريب.

تأليف

نور الدين الشاهرودي

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان

حارة حريك - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي

ص.ب: ٦٠٨٠ شوران - بيروت - لبنان - تلفون: ٨٢١٢٧٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد والثناء والشكر الدائم لله العزيز المتعال على توفيقه وعونه لهذا المسعى الخيّر والعمل المخلص، واطيب صلاتهِ وسلامه على أشرف خلقه وخاتم أنبياءه الرسول المصطفى محمد وعلى آله الميامين، وازكىٰ صلواته وبركاته على جميع العلماء الشرفاء، الذين ساروا بخطىً ثابتة في دُروب الهدى والصلاح والتقىٰ، فكانوا بذلك مصابيح تُنير السبيلَ أمام الصالحين وتُمزّق حُجبَ الظلام عن عقول المُضلّلين والجاهلين، وحسبَهم أنهم القدوة الصالحة لسائر خلق الله وعباده المؤمنين.

الإهـداء

إلى من ربّاني وعلّمني وفتح أمامي آفاق العلم والمعرفة، فزادي القليل من العلم ما هو إلاّ بفضله... إلى من تعلمت منه الخلق الرفيع والأدب الرصين ورحابة الصدر والحلم والصبر والصمود... إلى من آزرني في كتابي هذا وزوّدني بما لديه من معلومات وخبرات... إلى من افتقدته الأوساط العلمية الدينية عالماً محققاً ومؤمناً ورعاً، ثلم بموته الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء... إلى من أنهك نفسه وصرف جهده وامضى احلىٰ سنوات عمره في خدمة فقه وتعاليم سميه وحبيبه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكل صلاة على الرسول محمد يتداعىٰ اسمه في ذاكرتي، فأسأل له الرحمة والمغفرة من العزيز الكريم... إلى والدي الرؤوف وأبي الحنون المرحوم العلامة آية الله الحاج الشيخ محمد الشاهرودي (قدس سرّه).

إليه أهدي كتابي فهو أحق الناس بهذا الإهداء، لأنه كان ركناً هاماً من أركان الحركة العلمية والتدريسية في حوزة كربلاء لأكثر من نصف قرن، فهو جزء من موضوع هذا الكتاب، إلى جانب أنه معلم ومرشد ومربّي لصاحبه، ومن هنا فهو حريّ بهذا الإهداء.

نور الدين الشاهرودي

المقـدمة

في الحقيقة أن دوافع نفسية عديدة تشجعني على تدوين كتاب عن تاريخ الحركة العلمية الدينية في مدينة كربلاء المقدسة، وكبار علمائها وفقهائها ممّن أسهموا في اثراء كنوز العلم والمعرفة فيها، وقاموا بأدوار متميزة في تطوير نهضتها العلمية على مرّ العصور، منذ أن تحوّلت أرضها إلى بقعة مباركة، ومن ثمَّ إلى مدينة مشرقة بأنوار العلم والفضيلة وإلى مركز ديني مفعم بآيات الروحانية، والقيمة المعنوية.

فالوفاء لهذه المدينة التي ارتبطت بها مولداً ونشأةً، يشدني إلى إنجاز عمل فكري بغرض الإسهام في التعريف بالجانب العلمي والطابع الثقافي والبعد الروحي لكربلاء المقدسة.

وفي اعتقادي أن كثيراً من المؤرخين والمؤلفين الذين كتبوا مشكورين عن تاريخ كربلاء و الحائر الحسيني الشريف، لم يغطوا الطابع العلمي العريق لهذه المدينة نصيبه من البحث والتحقيق والدراسة المتعمقة، مع أن الحوزة العلمية الدينية في كربلاء هي من العراقة والقدم والعطاء الفكري ما يجعلها في صدر قائمة الحوزات الدينية التي أسدت أجلَّ الخدمات للفقه الجعفري الإمامي.

ومن هنا تحمستُ للكتابة عن هذا الجانب بالذات، خاصةً وأنه يشكل

موضوعاً شيقاً للغاية، أجدني راغباً في أن أشبعه بحثاً ودراسة، حتى يأتي الإطار الذي أعالج فيه هذا الموضوع إطاراً حديثاً يتسم بشيءٍ من الجدّة والجاذبية، على أمل أن يكون مادة جيدة للقراءة بإذن الله وتوفيقه.

وإلى جانب الوفاء لمدينة الحسين عليه السلام، يجدر القول هنا: إن التأليف في حد ذاته يعتبر الأثر النافع الذي يبقيه الإنسان من نفسه، حيث أن الفرد بتآليفه وتصانيفه يبقي على الدوام نافعاً لغيره، وطبيعي أن ما نقصده بالنفع هنا، هو النفع المعنوي والفكري، إذ أن النفع المادي زائل إن آجلاً أم عاجلاً.

إن الأثر الفكري الجيّد والنافع لأي إنسان هو على نسق ماء صاف عذب ومتدفق باستمرار ينتفع الناس من شربه على أوسع نطاق، أي أن في مؤلفات الفرد يكمن رمز الحياة، حيث أن عطاءه الفكري النافع يظلّ يتداوله الناس جيلاً اثر جيل، فحينما يقرأون أفكاره يبدو لهم وكأنّه يُحادثهم وجهاً لوجه، وينقل إليهم ما يريد قوله، فهو ميت بجسده لكنه حيٌّ بفكره، وهكذا بقي المفكرون والعلماء على مرّ التاريخ ينشرون أفكارهم وطروحاتهم بين الناس، بينما مضت على وفياتهم قرون وازمنة طويلة.

وبديهي أن ما نقصده بالمؤَّلف هنا، ذاك الأثر الفكري الذي يتوّفر على جملة من العناصر الموضوعية والحقائق الثابتة بما يجعله أثراً نافعاً أو مادة ثقافية أو دراسة توعوية يستفيد بها الناسُ من قريب أو بعيد.

وأخيراً لا يسعني إلاّ أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لكل من ساعدني وهيّأ لي من الإمكانيات ما يُسهّل علي مهمة التأليف هذه، سائلاً الله العلي القدير أن يعينني في جهدي المتواضع هذا، وأن يُسدّد على طريق الصواب خطاي، فاصيب كبد الحقيقة وأن يجعل كتابي من الباقيات الصالحات بالنسبة لي، فهو نعم المولى ونعم النصير.

١ جمادى الثاني ١٤٠٩هـ
٩ كانون الثاني ـ يناير ١٩٨٩

نور الدين الشاهرودي

التمهيد

يختص هذا الكتاب بالحديث المُسهب عن نشأة الحركة العلمية في كربلاء وطبيعة حوزتها الدينية العريقة، إنطلاقاً من كون هذه المدينة قطعة أرض مباركة حباها الله سبحانه وتعالى، لأن يكون فيها مقتل ومضجع سيدنا الإمام الحسين وأصحابه الأبرار (عليهم السلام) وأن تكون تربتها أبرك تربة على وجه الأرض جميعاً.

وقد آثرتُ في أن يكون هذا الحديث موضوعياً ومدعوماً بجملة من العناصر الروحية والجغرافية التي اختلط بعضها بالبعض، وتلاحمت فيما بينها لتتمخض عنها حقيقة ثابتة، وهي: أن كربلاء بلد الدين والعلم معاً، حيث إذا ما توطن الدينُ ومظاهره ورموزه أرضاً ما، فلا بّد أن تنشأ عليها علومه وفنونه، إذ لكل شيء مادي أو معنوي فنه وعلمه، ثم أن نشأة العلوم في مكان ما، لا جَرَمَ تعقبها نشأة العلماء به، فكربلاء إذن أرض العلم مثلما هي أرض للعلماء.

إن سرد الحديث في هذا الكتاب يعتمد على التسلسل التاريخي للتطورات المتلاحقة التي شهدتها النهضة العلمية في كربلاء، منذ بداياتها الأولى وحتى وقت قريب، إلى جانب معالجة المنعطفات الهامة التي طرأت عليها في الأزمنة المختلفة.

واضافة إلى ذلك، سوف نبحث في بعض المفردات والمصطلحات الشائعة في الأوساط العلمية الدينية، بغرض تبسيط الموضوع ودعمه بالعناصر الإضافية.

و يشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول رئيسية ، يختص كل منها بجانب من جوانب الحركة العلمية الدينية في كربلاء، أو بأداة من أدواتها، وهذه الفصول هي على التوالي:ـ

١ ـ نشأة الحركة العلمية في كربلاء.
٢ ـ تاريخ الحوزة العلمية في كربلاء.
٣ ـ الأسر العلمية في كربلاء.
٤ ـ نخبة من الخطباء والوعاظ في كربلاء.
٥ ـ المدارس العلمية في كربلاء.
٦- الجوامع والحسينيات في كربلاء.
٧- المكتبات العلمية في كربلاء.

ومن الله التوفيق...

الفصل الأوّل

نشأة الحركة العلميّة في كربلاء

كربلاء أرض مقدسة:

إن الحقيقة التاريخية الثابتة التي توصّل إليها المؤرخون والباحثون الأثريّون، هي: أن أرض كربلاء القاحلة وغير الآهلة، قد تحولت بعد فترة ليست بطويلة في أعقاب مقتل الإمام الحسين بن علي واصحابه البررة (عليهم السلام) في عام واحد وستين للهجرة، إلى منطقة مأهولة ومزدحمة بالزائرين والوافدين إليها، من كل حدب وصوب لغاية روحانية وعاطفية متسامية هي التبرك والتشفع بقبر الحسين الشريف عليه السلام.

لقد توفرت لهذه الأرض، بعدما حوت في جوفها جسد الحسين الشهيد عليه السلام من آيات الطهر والقدسية والبركة ما جعلها بمثابة قطعة من الجنة المخلّدة على الأرض، بدليل أنها أضحت تمثل معاني الأباء، والكرامة، والمبدأ، والعقيدة، وتجسّد العلاقة الصميمية بقيم السماء والدين، والرباط الوثيق بالفضيلة، والسمو الروحي، فاستحقت بذلك أن تدخل التاريخ الإسلامي من أوسع أبوابه.

وباتت لتراب هذه الأرض قدسية وبركة بالنسبة لجميع عشاق الحسين عليه السلام، ومواليه وشيعته، لأنه امتزج بدم الحسين الشهيد عليه السلام، فاصبح وكأنّه بلسم ودواء تطبيب لهم، فالمحبّ يشم منه رائحة الحبيب، فيهدأ ثم يبل من

داءه، إذْ في لُقىٰ الحبيب تدبّ الحياة من جديد في أوصال المُحبّ، ولكن ما أحلىٰ أن يكون الحب نابعاً عن عقيدة روحية ومتدفقاً من نبع القيمة السماوية، وإذ ذاك ينفذ إلى كل الجوارح، فيمسّها بعنف ويُحفزّها للحركة والحياة النابضة بالدفء والحيوية، وبذلك يصبح الحب عامل تحريك قوي لها، ومن ثمَّ تطبيب لها، وعند ذاك يشفي المحب من مرضه وينجو من علّته.

ومن هنا اكتسبت أرض كربلاء عامل جذب روحي ومعنوي قوي جداً، ظلّ يشدّ الناس المؤمنين إليها، وكل أولئك الذين باتت واقعة عاشوراء المفجعة تثير في نفوسهم كوامن الحزن واللوعة والأسىٰ، وتستنهض هممهم للتوجه إلى هذه الأرض، وشدّ الرحال إليها من كل حدب وصوب لغاية التشرف والتبرك والتشفع بزيارة روضة أبي الأحرار الصناديد، وسيد الشهداء الأبرار، وسليل رسول الله الإمام الحسين عليه السلام، فيما الكثيرون من هؤلاء المُندفعين، والمُشوّقين لزيارة قبرِهِ الشريف لم يكتفوا بزيارتِه بصورةٍ عابرة، أو في خلال وقتٍ قصيرٍ، بل تشبّثوا بهذه الأرض، وفضّلوا البقاءَ فيها لأطول فترةٍ مُمكنة، وحتى لآخر أيام حياتهم، ممّن تمثلت أمنيتهُم الغالية في أن يكون محَياهم ومَماتُهم، بجوار قبر الحسين عليه السلام.

ويذكر المؤرخون: أنه بعدما فشلت محاولاتُ الحكم الأموي الغاشم في التعتيم الأعلامي على واقعة كربلاء المُروّعة، والحادث المهول الذي شهدته هذه الأرض بقتل الحسين وأصحابه، على يد زبانية ابن زياد والي الكوفة في حينه، وبعدما تكسَّر الجدارُ الأعلامي الذي كان قد فرضَه هذا الحكم بهدف التغطية على ثورة الحسين عليه السلام بشكلٍ مغلوط ومُختلَقٍ، وأنكشفَ زيفُ دعايته التي روّجَ لها من أنَّ فرداً متُمرداً على طاعة الخليفة الأموي يزيد، ومعه فئة قليةٌ من أنصارِه، قد تمّ سحقهُم وقتلهُم في منطقةٍ نائية من أرض العراق، وأن كل شيء قد سُوّي لصالح تدعيم النظام الأموي، وبعدما توضّحت حقيقةُ ما جرىٰ من هَول الفاجعة الكبرى، تحوّل قبرُ الحسين الشهيد عليه السلام، إلى مزار عزيز و غالٍ على قلوب الناس الذين كانوا يتوافدون

عليه جماعاتٍ وفُرادى للتبرّك والتشفع به، وذرف الدموع الساخنة حزناً ولوعةً على مُصابه الأليم.

وبسبب تجمهر الناس بأعدادٍ مُتزايدة حول قبر الحسين عليه السلام، أضطرت سلطاتُ الحكم الأموي، إلى تطويقه بمخافر وجنود، تولّوا مهمة منع الزائرين من الوصول إلى موقع القبر الشريف، وتفريق أيّ تجمع كان يحصل في هذا الموقع، خوفاً من المضاعفات التي قد تنجُم عن هذا التوجه الجماهيري الخطير للغاية.

وعلى عهد خلفاء بني العباس، حيث أشتدَّ أقبالُ وتحمسُ جماهير الناس بشكل غير عادي لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وكثرت الموجاتُ البشرية المُتجهّة إلى حيثُ القبر الشريف، بادرَ الخليفة العباسي هارون الرشيد، إلى تضييق الخناق على زائريه، وأمرَ بقطع وأستئصالِ شجرة السدرة، التي كانت مَعْلَماً هاماً لترشيد الناس إلى موقع القبر، كما أمر بحرثـهِ وتسويته مع الأرض، وهدمِ الأبنية التي كانت تُحيط من جوانبه.

وفي الفترة من عام ٢٣٦ وحتى عام ٢٤٧ للهجرة، كان قبر الحسين عليه السلام وزائروه، عُرضةً للتنكيل والبطش من جانب الخليفة العباسي المُتوكّل، الذي أمَر بوضع سرية من الجنود تتوّلىٰ مهمةَ منع حُشود الزُوار من التجمهر والتجمّع حول القبر الشريف أو التقرب منه، ولم يكتفِ بهذا القدر، بل أمرَ بهدم قبر الحسين عليه السلام، والقضاء على أي أثرٍ، أو مَعْلَم له، وذلك بحرثِ موقعه وأطلاقِ مَجرىٰ الماء نحوه.

ويُقال: إن الماءَ سَال وجرىٰ بأتجاه القبر الشريف، ولكنه توقّف على مقربةٍ منه، فحارَ ولم يتقدم بعد ذلك ولو لشبرٍ واحد، ومن هنا سُمّيت الأرضُ التي تُحيط بجوانب القبر، بأرض الحائر.

وحولَ طبيعة مُعاملةِ المُتوكل تجاه قبر الحسين عليه السلام، فقد روى الشيخ الطوسي في «الأمالي» عن ابن حشيش، عن أبي الفضل الشيباني، عن علي بن عبد المنعم بن هارون الخديجي من شاطىء النيل، قال: حدثّني

جدّي القاسم بن أحمد بن مُعمر الأسدي الكوفي، وكان له علمٌ بالسيرةِ وأيام الناس، قال: بلغَ المتوكُل جعفر بن المُعتصم، أن أهلَ السواد يجتمعون بأرضِ نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصيرُ إلى قبرهِ منهم خلقٌ كثيرٌ، فانفذَ قائداً من قُواده وضمَّ إليه عَدداً كثيفاً من الجُند ليشعث قبرَ الحسين عليه السلام، ويمنع الناسَ من زيارته والاجتماع إلى قبره، فخرجَ القائد إلى الطّف، وعمل بما أُمِرَ، وذلك في سنة ٢٣٧، فثار أهلُ السواد وأجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلنا عن آخرِنا لما أمسكَ من بقي منّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعـوا، فكتبَ بالأمر إلى الحضرة، فوردَ كتابُ المُتوكّل إلى القائد: بالكفّ عنهم إلى الكوفة، مُظهِراً أن مسيرَه إليها في مصالح أهلها والأنكفاء إلى المصر، فمضى على ذلك زمنٌ حتى كانت سنة ٢٤٧، فبلغ المتوكل أيضاً مصيرَ الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء، لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنه قد كثرُ جمعهُم لذلك، وصارَ لهم سوق كبير، فانفذَ قائداً في جمعٍ كثيرٍ من الجنُد وأمر مُنادياً يُنادي ببراءة الذمة ممّن زار قبرَه، ثم نبشَ القبرَ، وحرثَ أرضَه، وأنقطع الناسُ عن الزيـارة، وعمدَ على تتبّع آل أبي طالب والشيعة، فقُتِلَ ولم يتمّ له ما قَدَّره.

ويقول العلامة السيد محسن الأمين العـاملي صاحب أعيان الشيعة: إن التعامل السيء المتوكل مع قبر الحسين عليه السلام، قد أبتدأ سنةَ ٢٣٦، ثم أعادَ الكرةَ سنةَ ٢٣٧، ثم فعلَ مثلَ ذلك سنةَ ٢٤٧، وفيها قتل المتوكل، فكان يمنعُ من زيارته، فيمتنعُ الناسُ مدةً أو تقّل زيارتهُم ويزورون خُفّيةً، ثم تكثرُ زيارتهُم فيُجدِّدُ المنعَ إلى أن قَتَلَهَ الله، وقد قال بعضُ الشعراء في ذلك:

أيحرث بالطف قبر الحسين ويَعمـر قبـر بني الـزانيـه
لعـلّ الزمـانَ بهم قد يعـود ويـأتي بـدولتـهم ثـانيـه

وبعد قتل المتـوكل خلفه ابنُه المنتصر، الذي تصرّف على عكس أبيه، فعطفَ على آل أبي طالب، وأحسنَ إليهم ووزّعَ الأموالَ بينهم وأعاد بناءَ قُبورهم، وذكر عددٌ من المؤرخين أنه أمرَ الناسَ بزيارة قبر الحسين عليه السلام،

وقال العلامة المجلسي في البحار: أن المنتصرَ لما قتل أباه وتخلّفَ بعدَه، أمرَ ببناء الحائر وبنىٰ ميلاً على المَرقد الشريف، وأحسنَ إلى العلويين، وآمنهم بعد خوفهم.

نشأة مدينة كربلاء المعلىٰ:

يتبيّن ممّا تقدَّم، أنَّ أرض كربلاء التي أرِيقَ على تُرابها الطهور دمُ الحسين الزكي، تحولّت في فترةٍ قياسية، بعدما تمزّقت حُجُبُ التعتيم الأعلامي الأموي على واقعةِ عاشوراء المُفجعة، وبعدما فشلت إجراءات الأمويين في احتواء المُضاعفات الجماهيرية التي نجمت عنها تباعاً، إلى مركزٍ روحي وقُدسي، يحظي بجاذبٍ قويّ وشديدٍ للناس، قلَّما حظيت به أرضٌ أخرى.

ويقيناً أن جاذبَ الروح و عاملَ شدّ النفس لأرضٍ مُعينة و لمكان محدّدٍ، هما أقوىٰ بكثيرٍ من العوامل الرئيسية لهجرة الموجات البشرية طلباً للماء، والكلأ، والمناخ الجيّد، والموقع المُتميّز.

إن مثل هذه العوامل الماديّة الصرفة، وأعني بها وُفرةَ الماء، والخُصوبة، والمناخ الملائم، والموقع الجغرافي المُناسب، ووقوع الأرض على مُفترقِ الطُرق التجارية، تُؤدّي إلى ظهُور مجتمعاتٍ بشرية مُتكتّلة داخلَ قطعةِ أرضٍ محدودة المساحةِ و واضحةِ المعالم، ومن ثَمَّ تنشأ عنها المدُن النَامية، بدليل أن تجمعَ أفراد البشر في موقعٍ ما، لا بدّ أن يُسفر عن نماءِه، وعُمرانه، وازدهاره، وتطويره، وتوسيعه، عَبَر خطوات مُتتالية ومُتدرِّجة، وهكذا نشأت مُعظمُ المدن على مرّ التاريخ وهو أمرٌ معروفٌ للجميع.

غير أن هناك أيضاً عواملَ رُوحية و معنوية تتفاعل في النفوس، فتشدُّها لمكانٍ معين، ولكن لا بسببِ أنه يتوفّر على الماء، والكلأ، وإمكانياتِ العيش الأُخرىٰ، بل لأنه يضم أثراً، أو يرمزُ لواقعةٍ، أو يُوحي بشيءٍ معنوي، ترك تأثيراً عاطفياً في نفوس الناس، فتصَيرُ لهذا المكان قُدسيتُه و جاذبيتُه العاطفية الصرفة، فيصبح عاملُ الهجرة إليه حافزاً روحياً

ومعنوياً حتى ولو كان هذا المكان أرضاً صخريّة، أو جبلية وعرة تفتقدُ لعوامل الحياة الأساسية، وهو ما نشهدُه اليومَ في بعض مزارات الأولياء الصالحين، وأبناء، وأحفاد الأئمة الاطهار (عليهم السلام)، والتي تقع في مناطق جبلية وعرة جداً، أو في مناطق صحراوية نائية، لكنها بالرغم من ذلك، لها عاملُ جذب روحي شديد للناس الزائرين والحاجّين، ولذا نجدُ المناطقَ التي من حَولِها، قد تحوّلت إلى أماكن معمورة ومأهولة بالسكان، إن لم يكن على نطاقٍ واسع، فعلىٰ نطاقٍ ضيّق بحسب القِداسة والأهمية لهذا المزار أو ذاك.

ففي مثل هذه الحالة، يغلبُ عاملُ الروح عاملَ المادة، فتُصبح عواملُ العيش المادية شيئاً ثانوياً بالنسبة لحافز الروح، وجاذب النفس لدىٰ الإنسان الذي إنْ استوطنَ مكاناً ما، حتى ولو كان أرضاً قاحلةً، وصخريةً جرداءَ لحوّلَه إلى أرضٍ عامرة، وزاهِرة، ونامية، و ذلك بفضل إرادته القاهرة، وعزمه الذي لا يلين، فحبُّ التشبث بالأرض، يخلق المعجـزات ويُثير ويستفـزُّ العزائمَ والهممَ العالية.

وعلى هذا النمط تماماً، كانت كربلاء أرضاً قاحلةً في الوقت الذي هبطَها الإمامُ الحسين وأفرادُ أسرته وأصحابه البررة (عليهم السلام) جميعاً، عامَ واحدٍ وستينَ للهجرة، لكنها كانت في العصور الغابرة، ولا سيما في عهد البابليين محاطةً بعدةٍ قُرىٰ أهمّها قرية (نينوى)، التي كان في ذاك العهد بالذات عامرةً مزدهرةً، وهي تقع شمال شرقي أرض كربلاء، وقرية (عقر)، في الشمال الغربي، ثم الأراضي المُنبسطة التي كانت فيها، مزرعةٌ لقبيلةِ (بني أسد)، وتُعرف بالغاضرية، كما كانت تقعُ على مُقربةٍ من أرض كربلاء، مقبرةٌ عامة للنَصارىٰ قبل تاريخ الفتح الإسلامي، تُعرف باسم (النواويس).

غير أن هذه الأسماء أُطلقت على أرض كربلاء نفسها أيضاً، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الجواد الكليدار صاحب كتاب تاريخ كربلاء: وقد نُعتت كربلاء، منذُ الصدر الأول في كلٍّ من التاريخ والحديث باسم كربلاء، والغاضرية، ونينوى، وعمورا، وشاطىء الفرات، ووردَ منها في الرواية

والتاريخ باسم ماريه، والنواويس، والطّف، وطفّ الفرات، ومشهد الحسين عليه السلام، والحائر، والحِير، إلى غير ذلك من الأسماء المختلفة الكثيرة، إلّا أنّ أهمَّ هذه الأسماء في الدين هو، (الحائر) لما أُحيط بهذا الإسم من الحُرمةِ والتقديس، أو أنيط به من أعمالٍ وأحكام في الروايةِ والفقه، إلى يومنا هذا.

وذكر صاحب كتاب دبستان المذاهب: أن كربلاء، كانت في العهود الغابرة تضمُّ معابدَ النار للمجوس، الذين أطلقوا عليها بلغتهم اسمَ «مه بارسور علم» ومعناه المكان المقدس.

وهناك قُرىً أخرى كانت تُحيط بكربلاء حينما ورَدَها الحسين عليه السلام، منها عمورا، ومارية، وصفُورا، وشفية، فيما أسماءٌ أخرىٰ أُطلقت عليها بعدَ مقتل الحسين عليه السلام، منها مشهدُ الحسين عليه السلام، ومدينةُ الحسين عليه السلام، والبقعةُ المباركة، وموضعُ الابتلاء، ومحلُّ الوفاء.

وكانت أرض كربلاء قبل بزوغ فجر الإسلام، مكاناً لدفن الأموات للساكنين والقاطنين في المناطق التيَ جاورها، وظلّت حتى لوقتٍ قريب، محلاً لدفن الأموات كذلك، وكثرت حولها المقابر، فقد عثر فيها على جُثث موتىٰ داخل أواني خزفية يعود تاريخها، إلى قبل العهد المسيحي.

وعلى شاكلتها كانت أرض النواويس، وهي البقعة الَتي فيها الآن مرقد ومزار الحرّ الشهيد عليه السلام.

وأما مرقد سيدنا الحسين عليه السلام فيقع بين كربلاء، والنواويس على وجه التحديد، وقد تنبأ بذلك الحسين عليه السلام نفسُه قبل أن يرد أرض كربلاء ويلقي مصرعَه فيها، إذ قال: وكأنّي بأوصالي تُقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء.

ومن جانب آخر، رُوي أن الإمام الحسين عليه السلام حينما وصل إلى كربلاء وأحاطَ به جيشُ عبيد الله بن زياد سألَ: ما اسم تلك القرية؟ وأشار إلى العقر، فقيل له: اسمها العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر. ثم سأل: فما اسمُ

هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء. فقال: أرض كربٍ وبلاء.

وقد سبقَ أن نزلها والدُه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في سفره إلى حرب صفّين، وشوهد فيها متأمِلاً في ما بها من أطلال وآثار، فسُئل عن السبب؟ فقال: إن لهذه الأرض شأناً عظيماً، فها هنا محط ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم، فسُئل عن ذلك؟ فقال: ثقلٌ لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ينزلون ها هنا، فويلُ لهم منكم، وويلٌ لكم منهم.

وكربلاء، اسمٍ قديم له جذورُه في التاريخ التليد، إذ يرجع إلى عهد البابليين، فقد وجدت لفظة «كربلاء» في المنحوتات الأثرية البابلية التي عثر عليها الباحثون الأثريّون، فقيل: إنها منحوتة من كلمة «كوربابل».

وكانت كربلاء مزدهرة في العصور الغابرة وخصوصاً على عهد الكلدانيين، والتنوخيين، واللخميين، والمناذرة، يوم كانت مدينة الحيرة، ذات القصور والحدائق عاصمةً لملكهم. وكانت الأقوام التي سكنوها يُعوّلون على الزراعة لخصوبة تربتهاد وغزارة مائها، وكثرة العيون، والأنهر الصغيرة التي كانت منتشرة في أرجائها.

وقد قام علماء الآثار، بتحديد الأماكن التي كانت مأهولة بالسكان في هذه المنطقة، فاكتشفوا بين أطلالها وبقاياها ما يُستدلّ منه، على أن منطقة كربلاء، كانت بها مدن وقرى زاهرة منذ ألفي سنة قبل الميلاد، وفيها ما يعود إلى العهد الآشوري والكشي والبابلي الحديث، وهناك أماكن للسكنى غيرها يرجع زمنها إلى العهدين الغَرّني والساساني، وفيها أيضاً ما يعودُ إلى العهود الإسلامية الأولى والمتوسطة والأخيرة.

غير أنها كانت أرضَ فضاء جرداء تخلو من السكان والمباني ما عدا بعض الأطلال والآثار الممتدة على أطرافها حينما هبطها الإمام الحسين عليه السلام بصحبة أهله وأصحابه الأبرار، لكن يد العمران، والنماء، والازدهار، امتدت إليها سريعاً، وذلك بعد ما أضحت مقتلاً ومضجعاً، لجسد الحسين وأصحابه (عليهم السلام) فتحوّلت إلى ملجأ وملاذ ومهبط، لكل مُحبّيه،

وناصريه، وتابعيه، وشيعته، ومُواليه، وكلّ من يُمثّل الحسينُ عليه السلام لهم رمزاً للحق، والحرية، والرجولة، والبطولة، في الدفاع عن المبادىء الإنسانية والقيم السامية، يفدوُن إلى أرضه ومدينته الطاهرة من كل مكانٍ قاصٍ ودانٍ، وعلى مرِّ الأجيال.

ومع هذا لم تكن كربلاء عامرةً في القرن الأول الهجري، وذلك بالرغم ممّا كان في نفوس الهاشميين، وشيعتهم وتابعيهم، من شوقٍ، ولهفةٍ، ورغبة في العيش بمجاورة قبر سيد الشهداء عليه السلام، لأنهم لم يتمكنوا من بناء الدور والبدء بالعمران فيها خوفاً من بطش وتنكيل زبانية بني أمية.

ولكنها أخذت بالتقدم و العمران في أوائل حكم الخلفاء العباسيين، ثم رجعت القهقرىٰ في أيام خلافة هارون الرشيد، وازدادَ خرابُها في أيام الخليفة العباسي «المُتوكل» لأنه أمرَ بهدم قبر الحسين الشريف، والتعامل مع زائريه بكل قسوةٍ ووحشيةٍ ممّا دفعَ بالناس إلى الرحيل عنها.

وفي عهد الخليفة المُنتصر العباسي، أخذ الشيعةُ يتوافدون على أرض كربلاء ساعين إلى أعمارها ، فبنوا الدُورَ عند رمسهِ و أقاموا المباني الكبيرة والأسواق من حوله، ولم يمر قرنُ أو بعضُ القرن ، إلاّ وتحوّلت الأراضي الواقعة حولَ القبر الشريف إلى مدينة صغيرة تضم آلافَ النفوس.

وجاء في كتاب «مروج الذهب» للمسعودي: فلمّا تخلّف (المنتصر أباه المتوكل)، أمرَ بالكفّ عن آل أبي طالب وشيعتهم، وترك البحث عن أخبارهم، وأمر أن لا يُمنع الناسُ من زيارة قبر الحسين عليه السلام، ولا قبر غيرِه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولمّا بلغ خبرُ استخلاف المنتصر إلى العالم الفاضل محمد بن الحسين بن علي الشيباني المعروف (بالاشتاني)، توجه من ساعته إلى كربلاء، ومعه جماعة من الطالبيّين والشيعة، فلمّا وصلوا قبر الحسين عليه السلام، أعادوا للقبر معالَمه القديمة، فعند ذلك أمر المنتصر العباسي ببناء قبر الحسين عليه السلام، ووضعَ على القبر ساريةً لإرشاد زوار قبر الحسين عليه السلام، وعاد

إلى كربلاء عهدُ الطمأنينة والسلام.

وكان العلامة محمد بن الحسين الاشتاني، قد توجّه إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام سراً في سنة ٢٤٠ هـ، (على عهد المتوكل) برفقة أحد العطّارين، فلما وصلا القبر الشريف جعلا يتحريان جهةَ القبر حتى عثرا عليه، وذلك، لكثرة ما كان قد مُخرَّ وحُرث حوله، فشاهداه وقد قُلِعَ الصندوقُ الذي كان حواليه، وأُحرق، وأجري عليه الماء وصار كالخندق حول القبر، ولمّا أتمّا مراسيم الزيارة كرّا راجعين، بعد أن نصبا حولَ القبر علاماتٍ شاخصةً في عدة مواضع من القبر.

وفي سنة ٣٧٠ هـ، كانت كربلاء مدينة مأهولة بالسكان، وفيها من السادة العلويين ما يربو على ألفين ومائتين من الأشخاص، وفي هذه السنة بالذات زارها السلطان عضد الدولة بن بويه، فأجزل العطاء على السادة العلويين فوزّعَ بينهم ماثة ألف رطل من التمر والدقيق، وخمسمائة قطعةٍ من القماش.

ووصفَ الرحالة الطنجي العمران في كربلاء وكان قد وردها في مطلع القرن الثامن الهجري، فقال: هي مدينةٌ صغيرة تحفّها حدائقُ النخيل ويُسقيها ماءُ الفرات، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة، وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر، وعلى باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل أحد إلّا عن إذنهم فيُقبّل العتبةَ الشريفة وهي من الفضة، وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة، وعلى الأبواب أستار الحرير، وأهل هذه المدينة طائفتان: أولاد زحيك، وأولاد فائز، وهم جميعاً إماميّة يرجعون إلى أبٍ واحد.

وفي نفس الفترة تقريباً زار كربلاء المؤرخ والعالم الجغرافي الشهير، «حمد الله المستوفى» فوصفها بقوله: وغربي الكوفة بثمانيةِ فراسخ، في صحراء كربلاء مشهد الحسين عليه السلام المعروف بـ «المشهد الحائري»، وقد ذُكر في عهد الخليفة المتوكل أنه أجرىٰ الماء عليها بقصد تخريبه حتى حارَ الماء عند قبره الشريف، وظلت البقعةُ الطاهرة عند القبر جافةً، وقد شيّد

عمارتَه عضدُ الدولة «فناخسرو الديلمي»، وحول هذا الموضع قريةٌ مساحتُها ألفين وأربعمائة خطوة.

وقد زار كربلاء العديد من سلاطين البويهيين، وحملوا معهم إليها الهدايا والصدقات، وفرّقوا بين أهليها المجاورين والزائرين التمور و الثياب، منهم الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة، وقبل أن يصل هذا الملك إلى المشهد الحسيني، ترجّل بنحو فرسخ من أرض الحائر تعظيماً وإجلالاً لقبر الحسين عليه السلام، وكان ذلك سنة ٤٣١ هـ.

أمّا كربلاء اليوم فهي تبعد عن بغداد العاصمة بـ ٧٤ ميلاً، وتربطها بها سكة حديد ثابتة وهي مدينة واسعة نسبياً، وتقع على ضفة ترعة «الحسينية» اليُسرىٰ، وتُحيط بها أشجار النخيل وبساتين أشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف.

وتُقسّم مدينة كربلاء من حيث العمران إلى قسمين، يُسمىٰ القسم الأول «كربلاء القديمة»، والذي أُقيم على أنقاض كربلاء القديمة جداً والشهيرة في بطون التاريخ، ويُدعىٰ القسمُ الثاني «كربلاء الجديدة»، وهو الذي جرى تخطيطُه في عهد ولاية «مدحت باشا» الحاكم العثماني على العراق في عام ١٢٨٥ هـ، وبُني بعد عام ١٣٠٠ هـ، على طراز مختلف عن الطراز القديم، إلّا أنه قد تهدّمَ معظمُه لأنه أقيم على أرضٍ سبخة تنزّ فيها المياه، فتأكلُ أسس الجدران، ويبلغ معدّلُ عددِ الزوار الوافدين إليها بأكثرَ من أربعمئة ألف شخص في كلّ موسم زيارة (حسب الإحصاءات السابقة).

وإن أهمَّ ميزةٍ لهذه المدينة دُون سواها من المدن المقدسة الشيعية، هي تربتُها المقدسة التي امتزجت في البداية بدماء الحسين وأهل بيته وأصحابه الميامين(عليهم السلام) ففي التربة الحسينية شفاء وفوائدُ ومنافعُ كثيرة للناس، وقد أشاد بقُدسيتها ومزاياها العديدة الشعراءُ والكُتّاب، مثلما أكدَّ على منافعها وفوائدها العلماءُ وأهلُ الفضل والمعرفة، ومن قبلِهم كان الأئمةُ الأطهار من ذُرية الحسين(عليهم السلام) يُوصون شيعتَهم ومواليهم،

بالتطبيب والتشفّي بطين قبر الحسين عليه السلام، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أكلتَه فقُلْ اللهمّ ربَّ التُربة المباركة وربَّ الوصي الذي واريتَه صلِّ على محمد وآل محمد واجعله علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء»، وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «في طين قبر الحسين عليه السلام شفاءٌ من كلّ داء، إذا أخذته فقُلْ باسم الله، اللهمّ بحق هذه التربة الطاهرة، وبحق البقعة الطيبة، وبحق الوصي الذي تُواريه، وبحق جدَّه وأبيه وأخيه، والملائكة الذين يحفّون به، والملائكة العكوف على قبره ليلاً ينتظرون نصرَه صلّى الله عليهم أجمعين، اجعلْ لي فيه شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، وعزاً من كل ذُلّ، ووسّعْ عليّ في رزقي، وصَحّ به جسمي».

وروي إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله، أنه قال: موضعُ قبر الحسين عليه السلام منذ يوم دُفن فيه، روضةٌ من رياض الجنة، كثيرة هي المزايا التي تتصف بها هذه الأرض المقدسة، والتربة الحسينية المشرّفة، وكثيرةً هي الفوائد التي يُجنىٰ منها.

وقال العلامة المفضال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٨٢ هـ، في كتابه «الأرض والتُربة الحسينية»: وهذه التربة هي التي يُسمّيها أبو ريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) التربة المسعودة في كربلاء، نعم وإنّما يُعرف طيبُ الشيء بطيبِ آثارِه، وكثرةِ منافعِه وغزارةِ فوائده، ويدلُّ على طيبِ الأرض وامتيازِها على غيرِها، طيبُ ثمارها ورواءُ أشجارها، وقوةُ نيعها وريعها، وقد امتازت تربة كربلاء من حيث المادة والمنفعة بكثرة الفواكه وتنوّعها وجودتها وغزارتها، حتى أنّها في الغالب هي التي تُموّن أكثرَ حواضر العراق و بواديه بكثيرٍ من الثمار اليانعة التي تخصّها ولا تُوجد في غيرها، إذاً أفليسَ هو صميمُ الحق، والحقُ الصميم أن تكون أطيبُ بقعةٍ في الأرض مرقداً وضريحاً، لخامس أصحاب الكساء؟

نعم لم تزلْ الدُّنيا تُمخِضُ لبلدِ أكرمِ فردٍ في الإنسانية، وأجمع ذاتٍ لأحسن ما يُمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية، وأسمىٰ روح ملكوتية في أصقاع الملكوت، وجوامع الجبروت، فولّدت نوراً واحداً شطرته نصفين:

سيِّد الأنبياء محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وسيِّد الأوصياء علياً، ثم جمعتهما ثانياً في علي والزهراء، فكان الحسين عليه السلام، مجمعَ النورين، وخُلاصةَ الجوهرين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: حُسينٌ منّي وأنا من حسين، ثم عصمت أن تلدَ لهم الأندادَ أبدَ الدهر.

ويُعلّل صاحبَ كتاب «تُراث كربلاء» السيد سلمان هادي آل طعمة، الشفاءَ الناتج عن التربة الحسينية بقوله مُتسائِلاً: أفلا يجوزُ أن يكون في تلك الطينة عناصرُ كيماوية تكون بلسماً شافياً من جُملة الأسقام قاتلة للميكروبات؟

والجدير بالذكر هنا، أن علماء الشيعة الإمامية مُتّفقون على حُرمة أكل الطين، باستثناء ما كانَ من تُربة قبر سيدنا الحسين عليه السلام، وذلك وفق آداب خاصة وبمُقدار معين، وهو أن يكون أقلَّ من حُمصة، وأن يكون أخذُها من القبر الشريف بكيفيةٍ خاصة وأدعية معلومة.

ومن جانب آخر، يرجعُ تاريخُ بناء الحضرة الحسينية المشرفة (مرقد الحسين عليه السلام) في مدينة كربلاء، إلى أيام معدُوداتٍ بعد مقتل سيدنا الحسين عليه السلام، فقد جاء في كتاب «كامل الزيارة» لابن قولويه ما نصُّه الآتي:

«إن الذين دفنوا الحسين عليه السلام أقاموا رسماً لقبره ونصبوا عَلَماً له وبناءً لا يُدَرسُ أثرُه»، ولعلّ المراد من قوله: «إن الذين دفنوه»، هم بنو أسد، وقد هدم هذه البناية الأوليّة، الخليفةُ العباسي «هارون الرشيد»، فقد ورَد في كتاب «تسلية الجالس وزينة المجالس» لمحمد بن أبي طالب ما نصُّه: «وكان قد بُني عليه مسجدٌ ولم يزل كذلك بعد بني أمية وفي زمن بني العباس، إلاّ على زمن الرشيد، فإنه خرَّبه وقطعَ السدرةَ التي كانت نابتةً عنده، وكرَّب موضعَ القبر، ثم أعيد على زمن المأمون وغيره إلى أن حكم المُتوكل، فأمر بتخريب قبر الحسين عليه السلام، وقُبور أصحابه.... الخ.

غير أنّه في عام ٣٧١ هـ، أمرَ عضدُ الدولة البويهي بإعادة بناء الحضرة الحسينية المُشرفة في حُلّةٍ جديدة وأسلوب بناء مُتميّز، إذ شيّد قُبةً ذاتَ

أروقة، وأقام ضريحاً على القبر من العاج، وبنىٰ بيوتاً حول الحائر الشريف وأحاطه بسور.

وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، زار السلطان ملك شاه السلجوقي الحائرَ الشريف، وأمرَ بإعادة بناء سور الحائر الشريف، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة ٤٧٩ هـ.

وفي عهد السلطان «أوليس الإيلخاني الجلائري»، تَمّ بناءُ قبر الحسين الشريف من جديدٍ، وكان إكمالُ بناءِ الحرم الحسيني في عهد وَلده، السلطان حسن في سنة ٧٦٧ هـ.

وشهدت الحضرةُ الحسينية، وإلىٰ جانبها الحضرة العباسية المُشرّفة، «مرقد سيدنا أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام»، ترميمات وتوسّعات مُستمرة ومُتعاقبة على عهد ملوك الأسرة الصفوية في إيران ابتداءاً من سنة ٩١٤ هـ ، حينما قام الشاه إسماعيل الصفوي بزيارة كربلاء، فأمر بتذهيب الضريح المبارك، و بتزويد الحضرة الحسينية بقناديل من الذهب والفضة.

وفي عهد ملوك الأسرة القاجارية في إيران، جرى تذهيب قبة الحسين عليه السلام ثلاثَ مراتٍ، الأولى: في عهد مُؤسّس هذه الأسرة (الآغا محمد خان قاجار)، والثانية: في عهد السلطان فتح علي شاه قاجار الذي تبرعت زوجتُه، هي الأخرى بتذهيب المأذنتين إلى جانب القبة المشرفة، كما قام نجله محمد علي ميرزا قاجار، بتعمير الحائر وتزيين جُدران و سقف الحرم الشريف، فيما كانت إصلاحات وترميمات كثيرة قد جرت للحائر الحسيني، في سنة ١٢٢٢ هـ بمسعى آية الله العظمىٰ الشيخ جعفر صاحب «كشف الغطاء»، وذلك بعد سنوات قليلة من غارة الوهابيين على كربلاء.

وأمّا المرة الثالثة: فكانت في عهد الملك ناصر الدين شاه قاجار الذي أوكلَ إلى أحد علماء طهران في حينه، وهو المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني، مهمة إصلاح وتجديد وتعمير الصحن الحسيني ، وكذا تجديد

الصندوق الخشبي المزخرف الموضوع على القبر الشريف، والذي كان الوهابيون قد كسّروه في هجمتهم على الحضرة الشريفة.

وبعد ذلك، شهدت الحضرة الحسينية ومعها الحضرة العباسية، أعمالَ تجديدٍ وتزيينٍ وتجهيزٍ، استمرت وتواصلت في حقبٍ زمنية مختلفة، حتى يومنا هذا.



كربلاء أرض مُلهِمة للشعراء والأُدباء:

لقد باتت كربلاءُ منذُ مقتل الحسين عليه السلام على أرضها، تزخرُ بالقيم والمثل والمعاني السامية، وبأخلاقيات البطولة والشهامة، والأباء والرجولة، وأدبيات النهضة الهادِفة، لنُصرَة الحق ودحر الباطل، ولذا كان لابدّ والحالةُ هذه، أن تستلفت أنظارَ دُعاة الحق، وطُلّاب العدل، ورُسل الفضيلة، وأن تجتذبَ إليها كلَّ المؤمنين والمُتشوّقين، لنيل الفوز الدُنيوي والأُخروي.

من هنا، كان من بين الجموع البشرية الزاحفة نحو كربلاء بهدف الزيارة أو السُكنى بجوارِ قبر الحسين عليه السلام، عَبرَ الأجيال المُتعاقبة، الكثيرُ والعديدُ من العلماء والأدباء والشعراء، الذين وَجدوا في رَحابها مادةً خصبةً، يستلهمون منها ما يُساعدهم في خلق روائعِهم الأدبية والشعرية، أو ما يُغْني ويُدعّمُ مُعطياتِهم العلمية والثقافية، فافأدوا وأستفادوا، حتى أوجدوا في كربلاء نواةَ جامعةٍ علميةٍ سبقت بأقدميّتها الجوامعَ العلمية في كثيرٍ من المدن.

فأولُ شاعرٍ زارَ قبرَ الحسين عليه السلام، هو عُبيد الله بن الحرّ الجُعفي الذي ما أن وقعَ نظرُه على القبر الشريف، حتى أجهشَ في البكاء والنحيب طويلاً، فأسعفته قريحتُه في الحال، فرثى الحسين الشهيد عليه السلام بقصيدة ارتجلها مستلهماً معانيها من مصابه الجلل، ومن واقعة كربلاء المفجعة، وممّا قاله:

يقول أمير، غادر وابن غادر ... الا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيا ندمي إن لا أكون نصرته ... الا كل نفس لا تسدّد نادمة

ويـا نـدمي إن لم أكن من حمـاتـه لـذو حسـرة مـا إن تفـارق لازمـة
سـقـىٰ الله أرواح الـذيـن تـآزروا على نصـره سقيـاً من الغيث دائمـة
وقـفت عـلى أجـداثهـم ومحـالـهم فكـاد الحشىٰ ينفض والعين ساجمـة
لعمري لقد كـانوا مصـاليت في الوغىٰ سـراعـاً إلى الهيجـا حمـاة خضـارمـة
تـأسـوا على نصـرة ابن بنت نبيّهـم بـأسيـافهم آسـاد غيـل ضـراغمـة
..... الخ

وفي الحقيقة إن واقعة عاشوراء بما انطوت عليه من لوحات تراجيدية في غاية المأساوية، تجسّد أبهىٰ صور النزال والصراع بين الحق والمبدئية من جهة، والباطل والنزعة الدنيويّة الوضيعة من جهة أخرى، كانت على مرّ التاريخ، ولا تزال حتى يومنا هذا تُشكِّلُ مادةً خصبةً يَستلهم منها، الشعراء والكُتّاب وكلُّ ذي قريحة، أو مَقدرة أدبية وفكرية ما يُعينهم في خلق روائعهم الشعرية والأدبية ونتاجهم الفكري الخصب.

إن حركة الحسين عليه السلام، الشُجاعة في مواجهة شيوع الرذيلة، ورواج السفالة والسفاهة والغـوغائيـة، وتفشّي ظاهـرة التحلّل الخلقي و السقوط الأدبي، وتخلّي الناس عن الإلتزام بدينهم وتعاليم نبيّهم، وما يُقابلها من حركة يزيد بن معاوية الأموي، التي انطوت على ما هو دنيوي ومادي منحطّ، وغرائز حيوانية، ولذات شهوانية، وخسّة مُفرطة، وأنانيّة، وذاتية، وتحكم و تسلّط واستعلاء، لا شك أنها تُفسح المجالَ أمامَ خيالات وتصورات كل شاعر أو كاتب موهوب أو صاحب ضمير حيّ ، لكي ينطلق بذهنيته المتوقّدة في آفاق وأجواء هاتين الحركتين: حركة نبل إنساني شريف ومُتسامي، وحركة سفالة وانحطاط وسقوط حيواني، ثم ليُقارن ويقيس بينهما وليستحصل بعد ذلك على مادةٍ تكون أساساً لأرجوزةٍ شعرية، أو رائعة أدبية، أو دراسة موضوعية، ففي مصر مثلاً، ألّف الكاتبُ المصري المعروف، الدكتور عبد الرحمان الشرقاوي المتوفي سنة ١٤٠٨ هـ، مسرحية شعرية تُصوّر في فصلها الأول نهضةَ و ثورةَ الحسين عليه السلام، وتُصوّر استشهادَه في فصلها الثاني، وهي مسرحيةٌ في غاية الروعة والموضوعية، ويقول كاتبُها: إنَّ مسرحيتَه تُصوّر نهضة الحسين عليه السلام،

عندما وجَدَ نفسَه بين إحدى إثنتين: إما أن يُبايع بالخلافة رجلاً لا يَطمئن إليه، وإمّا أن يُعلن احتجاجَه ويرفض البيعةَ، وأمام هذا الخيار أدركَ الحسين بن علي عليه السلام، أن مسؤوليتَه تُحتّم عليه أن يُطلق صرخةَ احتجاجٍ ضدّ ما رآه يُخالف عقيدتَه، كان يسعُه أن يسكت و أن يعيش ناعمَ البال في المدينة، يُعلّم الناس ويُفقّههم في شؤون الدين في مسجد جدّه، وقد آثَرَ كثيرٌ من أولاد الصحابة الكبار أن يسلكوا هذا المسلك، ولكن الحسين عليه السلام، شعر بأنه مسؤول عن الصمت أيضاً، وليس أمامَه في هذا الخيار إلاّ أن يختار الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، إنها مسرحية تتحدث عن مسؤولية القائد، وعن دور المُثقف في عصره، كيف يجب أن يُحوّلَ ما يعتقده إلى حركةٍ إيجابية.

ويقول الدكتور عبد الرحمان الشرقاوي: إذا كان الشبابُ في كثيرٍ من بلاد العالم يفتتنون بأبطال الاستشهاد من أجل الحرية في جيلنا، فإن الحسين عليه السلام، في استشهاده أولىٰ بكلّ الإعجاب، وهذه المسرحية الشعرية تُصورُ استشهادَ الحسين عليه السلام، وتُمجّد الاستشهادَ في سبيلِ القيمة التي يُؤمن بها الإنسان، لقد أدركَ الحسين عليه السلام، منذ خرجِ ثائراً، أن بعض الذين اعتمدَ عليهم قد تخلَّوا عنه، وعرضت عليه السلطاتُ التي ثارَ عليها أن يعودَ إلى داره، وأن تُغدِقَ عليه مَزيداً من المال، ولكنه كان قد أدرك أن حياتَه لا تُساوي شيئاً بالقياس إلى حياة المبادىء التي يُدافع عنها، يجب أن يدفعَ الحياةَ نفسَها لقيمةٍ أغلىٰ عليه من الحياة، أن هذه المسرحية تُصوّر بطلاً تراجيدياً يسير إلى مصيره الفاجِع، وهو مُدرِكٌ ويعرف أن المبادىء التي يُدافع عنها ستنتصر وتزدهر إذا منَحها دمَه، فهو مُدرِكٌ أنه مقتول بلا ريب، وأنه ثأرُ الله.

وقد صاغ الدكتور الشرقاوي رأي الحسين عليه السلام، بما آلَ إليه زمانُه شعراً حراً، وكما يلي:

ما عادَ في هذا الزمان سوىٰ رجال كالمسوخ الشائهات
يمشون في حُلل النعيم وتحتها نتن القبور
يتشامخون على العباد كأنهم ملكوا العباد

وهم إذا لاقوا الأمير تضاءلوا مِثَل العبيد
صاروا على أمر البلاد فأكثروا فيها الفساد
أعلامهم رُفعت على قمم الحياة
خرق مُرقعة تُرفرف بالقذارة في السماء الصافية
راياتهم مزق المحيض البالية
يا أيّها العصر الزريّ لانت غاشية العصور
قد آل أمرُ المتقين إلى سلاطين الفجور
قلْ أي أنواع الرجال جعلتهم في الواجهات؟
قل أي أعلام رُفعت على البُروج الشاهقات؟
أي الذئاب منحته السلطانَ والمُلكَ العريض؟
يا أيها العصر البغيض
يا أيها العصر الزريّ وأنت غاشيةُ العصور
العصر ينفثُ حولَنا الغثيان ممّا أحدثته به أمية
عصرُ يُثير تقززَ النفسِ الأبية
يا أيّها الشرفاء لا تهنوا إذا طغت الذئاب
سيروا بنا كَي نُنقذَ الدنيا من الفوضىٰ ومن هذا الخراب
سيروا نُعِد للعصر رونقَه القديم
وننصر الحقَ الهضيم
لا ترهبوا طُرقَ الهداية إن خلت من عابريها
لا تأمنوا طرقَ الفساد وإن تزاحم سالكوها
سيروا على اسم الله لا تهنوا فنحن بنو أبيها
سيروا بنا نستخلص الإنسانَ من عار العذاب

* * *

ثم يصوغ الدكتور عبد الرحمـان الشرقاوي، ما أرادَ الحسين الشهيد من تعبيره حينما كان يلقىٰ مصرعَه في مَقتلهُ، وذلك في الإطار الشعري الحديث الآتي:

فلتذكروني لا بسفككم دماءَ الآخرين
بل فاذكروني بانتشال الحق من ظفر الضلال
بل فاذكروني بالنضال على الطريق
لكي يسود العدلُ فيما بينكم
فلتذكروني بالنضال
فلتذكروني عندما تغدوُ الحقيقةُ وحدَها
حَيرىٰ حزينة
فإذا بأسوار المدينة لا تصوُن حمىٰ المدينة
لكنها تحمي الأمير وأهله والتابعينه
فلتذكروني عندما تجد الفضائلُ نفسَها
أضحت غريبة
وإذا الرذائل أصبحت هي وحدَها الفُضلى الحبيبة
وإذا حُكمتم من قُصور الغانيات
ومن مقاصير الجواري
وإذا غدا أمراؤكم كالمحظيات
وإن تحكمت السراري
فاذكروني
فلتذكروني حين تختلط الشجاعة بالحماقة
وإذا المنافعِ والمكاسب صِرن ميزانَ الصداقة
وإذا غدا النُبل الأبيّ هو البلاهة
وبلاغة الفصحاء تقهرها الفهاهة
والحقُ في الأسمال مشلول الخطا حذر السيوف
فلتذكروني حين يختلط المُزيّف بالشريف
فلتذكروني حين تشتبه الحقيقةُ بالخيال
وإذا غدا جُبن الخنوع علامةَ الرجل الحصيف
وإذا غدا البهتان والتزييف والكذب المُجلّجل هُنّ
آياتُ النجاح

فلتذكروني حين يستقوي الوضيع
فلتذكروني حين تغشى الدين صيحات البطون
وإذا تحكّم فاسقوكم في مصير المؤمنين
وإذا اختفى صرح البلابل في حياتكم ليرتفع النباح
وإذا طغى قرع الكؤوس على النواح
وتلجلج الحق الصراح
فلتذكروني
وإذا النفير الرائع العزاف أطلق في المراعي الخُضر صيحات العداء
وإذا اختفى نغم الأخاء
وإذا شكا الفقراء واكتظت جيوب الأغنياء
فلتذكروني
فلتذكروني عندما يفتى الجهول
وحين يستخزي العليم
وعندما يهن الحكيم
وحين يستعلي الذليل
وإذا تبقى فوق مائدة امرىء ما لا يريد من الطعام
وإذا اللسان أذاع ما يأبىٰ الضمير من الكلام
فلتذكروني
فلتذكروني إن رأيتم حاكميكم يُكذبون
ويغدرون ويفتكون
والأقوياء يُنافقون
والقائمين على مصالحكم يهابون القوي
ولا يُراعون الضعيف
والصامدين من الرجال غدوا كأشباهِ الرجال
وإذا انحنى الرجلُ الأبّى
وإذا رأيتم فاضلاً منكم يُؤاخذ عند حاكمكم بقوله
وإذا خشيتم أن يقول الحق منكم واحد في صحبه

أو بين أهله
فلتذكروني
وإذا غُزِيتم في بلادكم وأنتم تنظرون
وإذا اطمأن الغاصبون بأرضكم وشبابكم يتماجنون
فلتذكروني
فلتذكروني عند هذا كله ولتنضهوا باسم الحياة
كي ترفعوا علم الحقيقة والعدالة
فتلذكروا ثأري العظيم لتأخذُوه من الطُغاة
وبذلك تنتصر الحياة
فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعة وارتضىٰ الإنسان ذلّه
فأنا سأذبح من جديد
وأظل أقتل من جديد
وأظل أقتل كلّ يوم ألف قتلة
سأظلّ أقتل كلّما سكت الغيور وكلما أغفى الصبور
سأظلّ أقتل كلّما رغمت أنوف في المذلة
ويظل يحكمكم يزيد ما... ويفعل ما يُريد
وُولاته يستعبدونكم وهم شرّ العبيد
ويظل يلعنكم وإن طال المدىٰ جُرحُ الشهيد
لأنكم لم تُدركوا ثأر الشهيد
فادركوا ثأرَ الشهيد...

* * *

بدايةُ الحركة العلمية في كربلاء:

إن من الثابت تاريخياً، هو أن كربلاء شهدت نهضةً علميةً مُتطورة ومُتواصلة، منذ وقتٍ مُبكّر في أعقاب مقتلِ سيدنا الإمام الحسين عليه السلام فيها، غير أن هذه النهضة أخذت شكلَها المُحـدَّد، ثم بدأت بالازدهار و التقدم،

ابتداءاً من أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري، وذلك حينما لمعَ في سماء الدين والعلم والفضيلة فيها، نجمُ العالم الجليل والفقيه العبقري، والأستاذ البارع «حُميد بن زياد النينوى»، الذي تمخّضت عن نشاطه العلمي، وجُهده التحقيقي والتدريسي الدؤوب، وعطاءِه الخصب، نشأةُ أولى جامعةٍ علمية تقليدية في كربلاء.

وممّا يجدُر ذكرُه هنا، هو أن كربلاء وجدت في النصف الثاني من القرن الثالث، وطوال القرن الرابع الهجري، من أسباب الأمن والطمأنينة ما جعلها مُزدحمةً و مُكتضة بالزائرين والوافدين من كل حدب وصوب، وكانت أسواقها عامرة، وتجارتُها رائجة، وحركةُ التنقل والسفر إليها نشطة، فكثرت فيها القبائل العلوية وغير العلوية التي أخذت تتمصّرُ فيها رويداً رويداً، كما انجذب لها كبارُ رجال الحديث والسيرة من علماء الأمامية، والذين بادروا بإقامة حلقات التدريس للمسائل والموضوعات الدينية والفقهية لسُكّانها المُقيمين والزائرين، فكان إن اتسعت وتطورت الحركةُ العلمية فيها، حتى صار طلابُ العلم والمعرفة يقصدونها ويَشدّون الرحالَ إليها من مختلف البلدان والأمصار، للاغتراف من معين العلم والفضيلة فيها.

ولموقعها الديني والعلمي المُتميّز، فقد قام علماءُ كبار وأساتذة معروفون آنذاك بزيارتها في أوقاتٍ مختلفة، لتفقّد جامعتِها العلمية و الوقوف على ما وصلت إليه من تقدّم وازدهار، مثلما تحمّس وتشجّع لتطوير نهضتها العلمية الحكامُ والأمراء وأصحابُ السلطة، ففي مطلع القرن الرابع الهجري زارها عضدُ الدولة البويهي، فأحيا فيها حركةَ العلم والعمران.

وفي هذا السياق، يقول الدكتور عبد الجواد الكليدار في كتابه «تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام»: وقد اتسعت وازدهرت كربلاء في عهد البويهيين وتقدمت معالمها الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، فاتسعت تجارتها، وأخضلت زراعتها، وأينعت علومها وآدابها، فدبّت في جسمها روح الحياة والنشاط، فتخرّج منها علماء فطاحل وشعراء مُجيدون، وتفوقت في مركزها الديني المرموق.

وفي الحقيقة أن للبويهيين قصبَ السبق في تمصير أرض كربلاء بعد حادثة الخليفة العباسي «المتوكل»، ولهم القدحِ المُعَلّى في بناء قصبة كربلاء، فقد شهدت كربلاء في عصرهم دوراً ذهبياً كان من خيرة أدوارها منذ ان ضمّت أرضُها جثمانَ سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، ودام هذا الدور طيلة أيام حكمهم إذ اهتموا كثيراً بتمصير كربلاء وعمرانها، فخصّصوا لها الأموالَ الطائلة، وأشادوا مباني الروضة الحسينية المقدسة، وأسسوا فيها مقبرةً لهم، وهم أول من بادروا بتخليد ذكرىٰ الحسين عليه السلام، في يوم عاشوراء من كل عام، ففي محرّم سنة ٣٥٢ هـ، أمرَ السلطان معز الدولة بتعطيل الأسواق، وشلّ حركة البيع والشراء، وسقي الماء للناس المارة في الأسواق، وخروج النساء لاطماتٍ وجوهَهنَّ وناحباتٍ، على الحسين الشهيد عليه السلام.

وتمصرت كربلاء مجدداً في عام ٣٧٢ هـ، على عهد السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة، وعمل لها سوراً، وشقَّ لها قناةً لسقي أهاليها، فباتت كربلاء على عهده مزدهرة عامرةً، و أنشأ حول المرقد الشريف العمارات والخانات، وقطنها كثيرٌ من القبائل العلوية وغيرهم من المسلمين، فأخذت البلدةُ في التوسع شيئاً فشيئاً، ولم ينقض القرن الرابع، إلاّ وكان في كربلاء زهاء (٢٢٠٠) نسمة من العلويين عدىٰ غيرهم من المسلمين، وهكذا اخذت بلدة كربلاء في التوسع والنماء منذ القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا.

وطبيعي أن مثل هذه الظروف الحضارية المُؤاتية، قد هيّأ الأجواءَ المناسبة لظهور علماء و مؤسسات علمية، ففي مطلع القرن الرابع عشر الهجري، برز عالم ديني كبير، وفقيه عبقري، هو «حميد بن زياد النينوى» نسبة إلى قرية نينوى المجاورة لكربلاء، لقد سعى إلى إنشاء أولى مؤسسة علمية دينية في كربلاء، وجلب إليها العديد من العلماء والفقهاء من سائر المدن والبلدان، الأمر الذي أوجدَ لمدينة كربلاء مكانة الرئاسة العلمية والزعامة الدينية، وذلك بفترةٍ تناهز القرن تقريباً، قبل أن تنشأ على أرض النجف الأشرف نواة أولى جامعة علمية على يد شيخ الطائفة وعماد الشيعة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي في سنة ٤٤٣ هـ.

ثم تواصل النشاط العلمي والتدريسي في كربلاء عبر القرون المتتالية، وكثرت و تنوعت حلقات الدرس والبحث المُنتظمة في أرجاءها جيلاً بعد جيل، وبرز على ساحتها الدينية علماء كبار واساتذة اجلّاء، ومراجع ذوو شأن عظيم ودور ريادي، فاستطاعوا بمجهوداتهم العلمية والتدريسية، ونشاطاتهم الاجتماعية الخيّرة، أن يحافظوا على تماسك الحركة العلمية والمؤسسات الدينية فيها متحدّين الصعاب، والمُعوّقات وصامدين بوجه الخطوب والنائيات حتى لوقت قريب.

وإن الميزة الرئيسية التي توفرت لهذه المدينة المقدسة خلال هذه القرون، هي أن قوىً داخلية كانت تهرع لنجدتها و الدفاع عنها أمام كل هجمة أو غارة أو نكبة تعرضت لها خلال كل هذه الفترة الطويلة، وكانت هذه القوى مدعومة من جانب العشائر المؤمنة، وبعض انظمة الحكم التي تعاقبت في حكم العراق وأرض ما بين النهرين، وهو أمر متناقض تماماً مع ما كان الحال عليه في عصر الحكم الأموي أو الحكم العباسي، حيث الحكام أنفسهم كانوا يتخذون موقف المعاداة و التعامل السيء مع قبر الحسين عليه السلام وجموع زواره، ولذلك كانت هذه الغارات والهجمات على مدينة كربلاء و قبر الحسين الشريف بالذات وقتية عابرة في أكثرها، نظراً لتسارع قوىً أخرىٰ لدحر هذه الهجمات والغارات.

وفي الحقيقة أنه بعد مقتل الخليفة العباسي «المتوكل»، على يد أبنه «المنتصر» سنة ٢٤٧ للهجرة، لم يعكر صفوَ الأمن والاستقرار والهدوء في مدينة كربلاء، إلّا بعض الغارات والهجمات التي لم تكن بتلك الصورة التي يختلّ معها مجرى الحياة الروتينية والعادية في هذه البلدة المقدسة، حتى وأن أتّسم بعضها بالقسوة والعنف والوحشية، ممّا أسفر عن قتل أفرادٍ من أهاليها وأدخال الرعب والخوف والقلق في نفوسهم لحينٍ من الوقت، وعن نهبٍ وسلبٍ لأموال من أماكِنها المقدسة، غير أنّها بالرغم من كل ذلك كانت وقتيةً عابرةً، لم تترك تأثيراتٍ سلبية لفترة طويلة يُمكن أن تُقلّب موازينَ الحياة، فتضطرب الحركةُ فيها، بسبب أن أنعدامَ الأمن يُؤثّرُ سلباً على حركة العلم ،

ومجَهودات العلماء، الذين هم أحوجُ الناس للأمن الذي به تصفوُ الأفكارُ وتطمئن القلوبُ وتتوفرّ الفرصُ أمام حركة الخلق، والأبداع والعطاء الفكري الخصب.

كربلاء عرضة للغارات والهجمات:

إن مدينة كربلاء بوصفها، تُمثلُّ الملحةَ البطولية الرائعة الحقة للإمام الحسين عليه السلام، إنّما ترسم للناس المؤمنين منَهجيةَ الحياة الحرة الكريمة، ولذلك كانت دوماً رمزاً شَاخِصاً وبَارزاً، للنزال بين دُعاة الحرية والحق من جهةٍ، والطواغيت من جهة أخرى، ومن هنا كانت على الدوام أيضاً موضع سُخط وغضب من لهم نزعةُ الطُغاة، وميلُ الأشرار، والذين ما أن وجدوا أمامَهم الفرصَة المناسبة حتى أنقضّوا على كربلاء ليُفرغُوا برموزها وأماكنها المقدسة، وأهليها الحُسينّيين أحقادِهم و شُحناتِ الغضبِ والحِنق والكُره التي تعصر نفوسَهم المريضة، وبسبب هؤلاء واجهت بلدةُ كربلاء في فتراتٍ مختلفة تحدّيات تمثّلت في غاراتٍ وهجماتٍ مُباغتة وجَبانة لم تدم طويلاً، ومن أهم هذه التحديات، غارة أمير قلعة «عين التمر»، وأسمه «ضبّة بن محمد الأسدي» الذي هَجَم مع أفراد جماعتهِ على مدينة كربلاء سنة ٣٦٩ هـ ، ونهبَها وحملَ بعضَ أهلها أسرىٰ مقيّدي اليد إلى قلعتهِ، بيد أن عضد الدولة أبا شجاع «فناخسرو»، غضبَ أشدَّ الغضب من فعلتهِ الشنعَاء تلك، فسار بجيشه إليه وحاصَر قلعتَه «عين التمر» لفترةٍ من الوقت ثم استولى عليها ودخلها عُنوةً، وأخذَ أهلَها أسرى إلى كربلاء، فيما أرجعَ أهالي كربلاء الذين كانوا مَوجودين في أسر «ضبّة الأسدي» إلى بلدتِهم، بينما تمكّن هذا الأخير من الهرب بجواده.

ثم غارة جماعة «الخفاجه» في سنة ٤٨٩ هـ، والذين أعَملوا السيفَ في رقاب أهالي كربلاء، فغضب سيفُ الدولة عليهمُ وأرسلَ جيشَه وحاصرَهم في الحائر الحسيني، حيث قتلَ منهم خلقاً كبيراً.

و غارة آل مُهنّا الذين غزوا كربلاء بقيادة أميرهم المدعو «ناصر بن

مُهنّا» في حدود عام ١٠١٣ للهجرة.

غير أن أعنفَ وأشدَّ الغارات والهجمات التي شهدتها كربلاء هي، هجمة الوهابيّين سنة ١٢١٦ للهجرة، وقد كانت من الهول، والقسوة، والعُنف، والبشاعة، بحيث أن المصادرَ التاريخية الغربية وصفتها بالغارة الوحشية المُقززِّة للنفوس، والمُستفِزة لأعمق مشاعر السُخط والغضب.

فقد قال الكاتب الغربي «المستر لونكريك» في كتابه «أربعة قرون من تاريخ العراق» بالحرف الواحد وكما يلي:

حالما أنتشرَ خبرُ اقتراب الوهابيين من كربلاء في عشية اليوم الثاني من شهر نيسان ـ أبريل، حتى سارعَ من بقي في المدينة لأغلاق الأبواب، إذْ أن معظمَ المدينة كانوا في النجف يقومون بالزيارة، غير أن الوهابيين، ويُقدّر عددهُم بستمئة هجّان وأربعمئة فارس، نزلوا فنصَبَوا خيامَهم، وقسّموا قُوتّهَم إلى ثلاثة فِرق، ومن وراء أحد الخانات قاموا بالهجوم على أقرب بابٍ من أبواب المدينة، وتمكنوا من فتحه عُنوةً ثم تسلّلوا إلى داخلِها، فاندهش السكان و اخذتهم حالة من الذُعر، وأصبحوا يفَرّون على غير هُدىً، أما الوهابيون القُساة فقد واصلوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة، وشرعوا في تخريبها فاقلعوا القُضبان المعدنية، والسياج من أماكنها ونهبوا المرايا الكبيرة و النفائس والحاجات الثمينة، بينها هدايا الباشوات وأمراء وملوك الفُرس، وسلبوا أيضاً زخارف الجدران، وقلعوا الذهبَ من السقُوف، وأخذوا الشمعدانات والسجاجيد الفاخرة، والمُعلقّات القيمة، والأبواب المُزخرفة والمُرصّعة، ولم يكتفوا بهذه الأعمال، بل قتلوا قُرابة خمسين شخصاً بالقرب من الضريحِ، وخمسمئةَ شخصٍ آخرِ خارجَ الضريح، أما المدينة نفسها فقد عاث فيها الغُزاة المُتوحشونَ فساداً و تخريباً، وقتلوا من دُون رحمة كلَّ من صادفوه، كما سرقوا كل دار، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يسلم الجميعُ من وحشيتهم، ولا من أسرهم، ولقد قدّر بعضُهم عددَ القتلى بألف نسمة، فيما قدّر الآخرون عددَهم بخمسة أضعاف ذلك.

وحول نفسِ الواقعة، جاء في أعيان الشيعة للعلامة العاملي ما نصّه: في سنة ١٢١٦ هـ، جهّز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي النجدي جيشاً من أعراب نجد، و يقول بعض مؤرخي الأفرنج أنه يقرب من ستمائة هجان واربعمئة فارس، وغزا به العراق و حاصر مدينة كربلاء، مُغتنماً فرصَة غياب جُلّ الأهلين في النجف لزيارة الغدير، ثم دخلها يوم ١٨ ذى الحجة عُنوة، وأعمل في أهلها السيفَ، فقتلَ منهم ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف، وقتل الشيوخ والأطفال والنساء، ولم ينجُ منهم إلاّ من تمكّن من الهرب أو أختبأ في مخبأ ونهب البلدَ ، ونهبَ الحضرةَ الشريفه، وأخذَ جميعَ ما فيها من فرش وقناديل وغيرها وهدم القبرَ الشريف، وأقتلع الشباك الذي عليه، وربط خيله في الصحن المُطهّر، ودقَّ القهوةَ وعملهَا في الحضرة الشريفة، ونهبَ من ذخائر المشهد الحسيني الشيءَ الكثير، ثم كرّ راجعاً إلى بلاده.

وشرحَ ابنُ بشر الحنبلي في كتابه بعنوان «المجدُ في أحوال نجد»، تفاصيل هذه الهجمة على كربلاء، فقال: أن سعوداً قصد أرضَ كربلاء، ونازلَ أهل بلد الحسين عليه السلام، في ذي القعدة سنة ١٢١٦ للهجرة، فحشد عليها قومَه تسوّروا جدرانَها، ودخلوهَا عُنوةً، وقتلوا غالبَ أهلها في الاسواق والبيوت، وهدموا القبةَ برغمِ من أعتقد فيها على قبر الحسين عليه السلام، وأخذوا ما في القبة وما حوَلها، واخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزُمّرد والياقوت، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد، من أنواع الأموال، والسلاح، واللباس، والفرش، والذهب، والفضة، والمصاحف الثمينة، وغير ذلك ممّا يعجز عنه الحصر. ولم يلبثوّا فيها إلا ضحوةً، وخرجوا منها قربَ الظهر بجميع تلك الأموال، وقَتَلَ من أهلها نحو ألفي رجل، ثم ان سعوداً أرتحل منها على الماء المعروف بالأبيض، فجمعَ الغنائَم وعزلَ أخماسَها، وقسمَّ باقيها بين جيشه غنيمة، للراجل سهم وللفارس سهمان، ثم أرتحَلَ قافِلاً إلى وطنه.

وبهذا الخصوص، قال السيد عبد الحسين الكليدار في كتابه «تاريخ كربلاء المُعلّىٰ»: ولم تزل كربلاء بين صُعودٍ وهُبوطٍ، ورُقي وانحطاط، تارة

تنحطّ فتخضع لدول الطوائف و طوراً تُعمّر مُتقدّمة بعضَ التقدم، إلى أن دخلت في حوزة الدولة العثمانية، سنةَ ٩١٤ هـ، واخذت تتنفس الصُعداءَ ممّا أصابها من نكبات الزمان وحوادث الدهر التي كادت تقضي عليها وبقيت وهي مطمئنةَ البال مدةً طويلة تزيد على ثلاثة قرون، ولم ترَ في خلالها ما يُكدّرُ صفوَ سكانِها، حتى إذا جاءت سنة ١٢١٦ هجرية، جهّز الامير سعود الوهابي جيشاً عرمرماً مُؤلّفاً من عشرين ألف مُقاتل و هجم بهم على مدينة كربلاء، وكانت على غاية من الشُهرة والفخامة يرتادها زُوار الفرُس، والترك، والعرب، فدخلَ سعودُ المدينة بعد أن ضيّق عليها و قاتل حاميتَها وسكانَها قتالاً شديداً، وكان سورُ المدينة مُركباً من أفلاك نخيل مرصوصة خلفَ حائط من طين، وقد ارتكبت الجيوش فيها من الفضائع ما لا يُوصف، حتى قيل أنه قتل في ليلة واحدة ،عشرين ألف نسمة، وبعد أن أتمّ الأمير سعود مهمته الحربيةِ، التفت نحو خزائن القبر و كانت مشحونة بالأموال الوفيرة وكل شيء نفيس، فأخذ كل ما وَجد فيها، وقيل أنه فتح كنزاً كان فيه جمة جمُعت من الزوار، وكان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة، وعشرون سيفاً مُحلاة جميعها بالذهب مرصعة بالأحجار الكريمة، وأوان ذهبية وفضية، وفيروز والماس، وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر، وقيل: أن من جملة ما نهبه سعود، اثاثات الروضة وفرشها، منها أربعة آلاف شال كشميري، وألفا سيفٍ من الفضة، وكثير من البنادق، وقد صارت كربلاء بعد هذه الواقعة في حالةٍ يُرثى لها، وقد عادَ إليها بعد هذه الحادثة من نجىٰ بنفسهُ فأصلحَ بعضَ خرابها، وأعادَ إليها العمران رويداً رويداً، وقد زارَها في أوائل القرن التاسع عشر (الميلادي)، أحد ملوك الهند، فأشفقَ على حالتها و بنىٰ فيها أسواقاً حسنة وبيوتاً قَوراء، أسكنَها بعضَ من نُكبوا، وبنى للبلدة سوراً حصيناً، لصدّ هجمات الأعداء، وأقامَ حولَه الأبراجَ والمعاقلَ، ونصبَ له آلاتِ الدفاع على الطراز القديم، وصارت على من يُهاجمها أمنعَ من عُقاب الجو فأمنت على نفسها وعادَ إليها بعضُ الرقي والتقدم.

والجدير بالذكر أن العلماء الإماميين الشيعة في كربلاء كانوا مُستَهدفين

من الغارة الوهابية بعد الحضرة الحسينية و الحضرة العباسية، اللتين تعرضتا للنهب والسلب، و الحرق والتدنيس من جانب عساكر الوهابيين، وفي هذا الوقت كانت الرئاسة العلمية و شؤون الفتيا في حوزة كربلاء من نصيب العالم والفقيه الجليل المرحوم المير السيد على الطباطبائي صاحب الرياض، والذي بحث عنه الوهابيون ليقتلوه، لكنه نجى بأعجوبةٍ من محاولتِهم للقضاء على حياته.

وبهذا الصدد جاء في كتاب «بهجة الآمال في شرح زبدة المقال» للعالم الرجالي «المولىٰ علي العلياري التبريزي» المتوفى في سنة ١٣٢٦ هـ، ما نصُه الآتي: وقد توجّه غالبُ أهل البلد إلى مخصوصة أمير المؤمنين عليه صلواتُ ربِّ العالمين، (زيارة مرقد الإمام علي في يوم الغدير)، ومن عجيب الأتفاق في تلك الواقعة العظيمة، أيضاً بالنسبة إلى سيدنا صاحب الترجمة عليه الرحمة (السيد علي الطباطبائي)، وهو أنه لما وقفَ على قصدِهم الهجوم على داره بعزيمةِ قتلهِ وقتل عياله و نهب أمواله، فأرسلَ بحسب الإمكان أهاليه وأمواله في الخفاء عنهم إلى مَواضع مأمونة، وبقي هو وحَده مع طفلٍ رضيع لم يذهبوه معهم، فحملَ ذلك الطفل معه، وأرتقى إلى زاويةٍ من بيوتاتها الفوقانية مُعدة لخزن الحطب والوقود و أمثاله فيها ليختفي عن عيونهم، فلمّا وردوا وجعلوا يجوسون خلالَ حجرات الدار في طلبه ويُنادون من كلّ جهة منها بقولهم: أين مير علي، ثم عمدوا إلى تلك الزاوية، أخذ هَو (رحمة الله عليه) ذلك الطفل على صدره مُتوكلاً على الله في جميع أمره، ودخل تحت ظرفٍ كان هناك من جُملة ضروريات البيت، فلمّا صعدوا إلى تلك الزاوية ورأوا فيها حزمةً من الحطب موضوعةً في ناحية منها وأعمىٰ الله أبصارهم عن مشاهدة تحت تلك الظرف، وتخيّلوا في أنّ جناب السيد لعلّه اختفى بين الأحطاب والأخشاب، فأخذوها واحداً بعد واحد ووضعوها بأيديهم فوق ذلك الظرف إلى أن تمّت، ويئس الذين كفروا من دينهم فانقلبوا خائبين وخاسرين. و خرج السيد المرحوم شاكراً الله على أنه كيف سَكّنَ ذلك الطفل الصغير الرضيع من الفزع والأنين، وأخمدَ منه التنفس والحنين، ومكروا ومكرَ الله والله خيرُ الماكرين، وهو خيرُ الحافظين وأرحم الراحمين.

ثم أن أولئك الفجرة الفسقة، لمّا فعلوا ما فعلوا وقتلوا ما قتلوا، ونهبوا ما نهبوا، وهدموا أركانَ الدين المُبين، وهتكوا حرمة ابن بنت رسول الله الأمين، بحيث ربطوا الدوابَ الكثيرة في الصحن المُطهّر، وأخذوا جميع ما كان من النفايس في الحرم الشريف، بل قلعوا الضريح والصندوق المنيف، ووضعوا هَاون القهوة فوق رأس الحضرة المقدسة على وجه التخفيف، ودقّوها وطبخوها وشربوها وسقوها كل فاسق غير عفيف، ولم يتركوا حرمة إلاّ هتكوها، ولا شقاوة إلاّ ختموها، ولا عداوة إلاّ أتمّوها، فخافوا على أنفسهم الخبيثة من سُوء عاقبةِ هذه الأطوار، ومن هجُوم رجال الحق عليهم بعد ذلك من الأقطار، فاختاروا الفرار على القرار، ولم يلبثوا في البلد إلاّ بقية ذلك النهار، أرادوا أن يُطفؤا نورَ الله بأفواههم والله مُتمّ نوره ولو كره الكافرون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

ومن بين الذين قُتلوا بيد المهاجمين الوهابيين في الحائر الشريف، السيد عبد الصمد الهمداني الكربلائي، من مشاهير علماء الشيعة في أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، كان عالماً تقياً ضليعاً بالفقه والأصول، والحكمة والفلسفة، واللغة، ترجمة العلامة الأميني في كتابه «شهداء دروب الفضيلة» بقوله: كان من حَمَلة راية العلم فقيهاً مُحققاً، ومحدثاً حكيماً، محيطاً باللغة العربية، وملماً بفروع العلم، سليم النفس، حسن السلوك، زاهداً ورعاً، قُتل ظلماً في كربلاء على أثر هجمة الوهابيّين في يوم الغدير عام ١٢١٦ هـ، وذكره صاحب «أعيان الشيعة» ـ العلامة السيد محسن الأمين ـ فقال: السيد عبد الصمد الحسيني الهمداني الحائري من أحفاد المير السيد عليا دفين همدان، استشهد بيد الوهابين يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ، كان تلميذ البهبهاني (العلامة محمد باقر الوحيد البهبهاني)، له مؤلف في الفقه الاستدلالي مبسوط مع مستطردات ومستطرقات، وله كتاب بحر المعارف في العرفان والتصوّف ـ فارسي وعربي ـ طبع في بمبئى وتبريز، قتله الوهابيون عند أخذهم كربلاء سنة ١٢١٦ هـ فيمن قتلوا، وهو أحد العلماء العرفاء المشاهير، أخذ في كربلاء عن صاحب

«الرياض»، واتصل بعد إقامته في العراق أربعين سنة بنور علي شاه العارف الاصفهاني وأخذ الطريقة عنه وأصبح من جملة مريديه، فانصرفَ إلى رياضة النفس ومجاهدتها، وأُذِنَ له بلقاء الحاج محمد حسين الأصفهاني، ثم عاد إلى كربلاء مُؤثراً المجاورة فيها فقتله الوهابيون.

ونبقىٰ في ذيول غارة الوهابيين على كربلاء لكي نعرف رأي «الحلواني» الذي جاء في كتابه المسمّىٰ «خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق»، فقد قال ما نصه: غزا سعود بن عبد العزيز الوهابي العراق، وحاصر كربلاء وأخذها بالسيف عنوةً، وغنم جميع ما كان في مشهد الحسين عليه السلام، من الذهب والجواهر التي أهدتها الملوك والشيعة إلى ذلك المقام المقدس، وقتل أهلها قتلاً ذريعاً، استباحها، ونهب من المال و الذهب والفضة ما لا يتصوره العقل، وبه تقوّىٰ، واستعدَّ لملك الحرمين، ثم رجع إلى «عارضه» مُتبجحاً بما صدر من عسكره، ويقول: لو لم نكن على الحق لما انتصرنا، وما علم أن ذلك استدراج وأنه على الباغي تدور الدوائر، وأنه من قال: «لا إله إلا الله» فقد حُقن دمه وماله، ولكن الهوىٰ إذا استولىٰ أعمىٰ البصائر، وبأموال كربلاء استفحل أمرُ ابن مسعود، وطمع في مُلك الحرمين وشرع في محاصرة المدينة المنوّرة، فصار في أمره ما سيأتيك بيانُه... الخ.

وأورد عثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلي في كتابه «المجد في أحوال نجد» شرحاً مقتضباً للمصير الذي لقيه ابن سعود بعد أقل من عامين من تاريخ هجمته على كربلاء، فقال بالحرف الواحد: في سنة ١٢١٨ هـ، قتل سعود بن عبد العزيز بن محمد السعود في مسجد الطريق (المعروف في الدرعية)، وهو ساجد في أثناء صلاة العصر، مضىٰ عليه رجل قيل أنه كردي من أهل العمادية (بلدة قرب الموصل في شمال العراق) اسمه عثمان على هيئة درويش، وقيل أنه رافضي (شيعي) خبيث من أهل بلد الحسين «كربلاء» خرج من وطنه لهذا القصد، والله العالِم.

* * *

الحركة العلمية في كربلاء على مرّ القرون:

قلنا إنه بالرغم من كل النكبات والويلات التي حلّت ببلد الحسين عليه السلام، وأهالي كربلاء في فترات زمنية مختلفة، فإن الحركة العلمية بهذه المدينة المقدسة استمرت وتقدّمت أشواطاً إلى الأمام، ذلك أن أسباب تعكير صفو الأمن والإخلال بأجواء الطمأنينة والهدوء فيها خلالَ فترة ما بعد حكم الخليفة العباسي «المتوكل»، كانت وقتيةً تزول بسرعة أو بعد حين، نظراً لتواجد العشائر المؤمنة وبعض القوىٰ الرسمية والشعبية التي كانت تهرع لنجدة كربلاء وأهلها، وردّ كيد العدا عنها بالسرعة الممكنة، وكذا تفادي كل ما كان يحلّ بها من خراب واضطراب في الأمن، وهو أمرٌ مختلف تماماً عمّا كانت الحالة عليه في العهد الأموي، حيثُ كان نظام الحكم نفسُه مُتورطاً في قتل سبط رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي خلق واقعة كربلاء المفجعة، ولهذا كان يُحاول بشتى الوسائل و الإمكانيات المُتاحة له الإجهاض على أية مضاعفات تنشأ عن هذه الواقعة، و أية دلالات لها أو معالم تُشير إليها، أو تلك التي تُبقيها حيةً متفاعلةً في الخُواطر والأذهان، وهكذا كان الحال في العهد العباسي الذي كان على خلافٍ مبدئي مع العلويين وأئمتهم، والذي كان يتوجّس الخطرَ و التهديدَ من جانبهم خوفاً من ضياع السلطة من أيدي العباسيين، و لذا كان هذا الحكم بدوره يُكافح أية ظاهرة أو اتجاه يمنح للعلويين شرعيتهم و أحقيّتهم بتولّي مقاليد حكم المسلمين، خاصةً وأن العلويين مَهّدوا بدورهم الحيوي والحاسم جداً في إسقاط نظام حكم خلفاء بني أميّة، السبيلَ وهيّأوا الفرصة المناسبة أمام بني العباس للاستيلاء على السلطة في بلاد الإسلام، ثم تفرّدوا بها وحرموا العلويين و على رأسهم أئمة الشيعة من أي نصيب فيها.

ولكن يُستثنى من الخلفاء العباسيين بعضُ المُتأخرين منهم، بينهم على سبيل المثال: الخليفة أبو جعفر المنصور المُلقب بالراشد بالله ابن المسترشد العباسي، والذي في عهده مضىٰ خلق كثير لا حصر ولا عدّ لهم، إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام في كربلاء، وكان ذلك في عام ٥٢٩ هـ، وعلى عهده أيضاً

بزغ نجم التشيّع من جديد، وكذا الخليفة المُقتفي لأمر الله العباسي الذي توجه في ربيع الثاني سنة ٥٥٣ هـ، قاصداً زيارة قبر الحسين عليه السلام في كربلاء، وتصدق بمبالغ طائلة للفقراء العلويين الساكنين بجوار قبره الشريف، وذلك إيفاءً منه لنذرٍ كان قد نذره في مرضه ، والخليفة أبو جعفر المنصور، الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله العباسي، فقد بعث في سنة ٦٣٤ هـ بثلاثة آلاف دينار من الذهب إلى نقيب الطالبيين في بغداد أبي عبد الله الحسين بن الأقساسي، ليفرقها على السادة العلويين الساكنين في كربلاء، وكان المستنصر بالله مُكرّماً للعلماء، مُهتماً بإنشاء المدارس والجوامع، والخانات للسابلة في طريق المشاهد المقدسة.

وتأسيساً على ذلك، ظلت الساحة العلمية في كربلاء مُحتفظة برموزها وبالأسماء اللامعة التي أضاءت آفاقَ العلم والفضيلة والمعرفة فيها، أمثال أولئك الذين أوجدوا لكربلاء بمعطياتهم العلمية السخية، تراثاً زاخراً وغنياً يعتبر اليوم كنزاً من كنوز الثقافة الإسلامية العريقة.

ففي القرن الخامس الهجري، لمع اسم الشيخ هشام بن الياس الحائري، كان عالماً فاضلاً صالحاً، له كتاب «المسائل الحائرية»، يروي عن الشيخ أبي علي بن الطوسي، قال فيه صاحب «رياض العلماء»: جاء في بعض الإجازات، أن اسمه الياس بن هشام الحائري، فلعلّ المراد ابنه أيضاً، كذا أفادنا أحد تلامذة الشيخ المعاصر في «أمل الآمل»، وفي ذلك قال أحد تلامذة، الشيخ علي الكركي في رسالته المعمولة في ذكر أسامي مشايخ أصحابنا، ومنهم الشيخ هشام بن الياس الحائري، وهو صاحب «المسائل الحائرية» وهو تلميذ أبي علي بن الشيخ الطوسي توفي في حدود سنة ٤٩٠ هـ ودفن في الحائر الحسيني.

ومن أبرز أعلام كربلاء في هذا القرن، عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي المُكنّى بأبي الحمزة ، من تلامذة شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، قال صاحب «منتخب التواريخ»: لم يعرف تاريخ ولادته ولا وفاته بالضبط، كان من أعلام الإمامية في القرن الخامس الهجري،

دفن في كربلاء في وادي الأيمن بالقرب من باب الطويريج، له مزار يزار يعرف بابن الحمزة، له تصانيف منها: كتاب «الوسيلة» في مسائل الفقه، وكتاب «المثاقب والمناقب»، وفي كتاب «أمل الآمل» جاء ذكره بما يلي: الشيخ الإمام عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي، فقيه، عالم، واعظ، له تصانيف منها: الوسيلة» و«الوساطة» و«الرايع في الشرايع» و«مسائل في الفقه».

ومن أعلام الدين والفضيلة بكربلاء في القرن السادس الهجري، الشريف أبو جعفر أحمد بن إبراهيم العلوي الموسوي النقيب بالحائر على ساكنه السلام، وقد ترجمه صاحب «أعيان الشيعة» فأثنى عليه وأطرى بعلمه وفضله.

وأما في القرن السابع الهجري، فقد برز على الساحة العلمية الدينية في كربلاء، علماء أجلاء تبوأوا مكانة مرموقة في دنيا الفقه، والحديث، والتفسير مثل: العالم والمُحدّث الجليل، السيد فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري، من سلالة السيد إبراهيم المُجاب، حفيد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وكان أحد الأعلام الأفذاذ في كربلاء، توفي سنة ٦٣٠ هـ ودفن في الحائر الحسيني، كان عالماً، أديباً ومحدّثاً، له تصانيف منها: كتاب «الردّ على الذاهب إلى تكفير أبي طالب» وفيه دحض آراء من ذهبوا إلى تكفير أبي طالب، مبرهناً على أن أبا طالب قد رحل عن هذه الدنيا وهو يؤمن بالإسلام إيماناً لا شائبة فيه، يروي عنه المحقق ، وابن إدريس الحلي، وشاذان بن جبرائيل القمي، وغيرهم من أعلام الإمامية، وقال فيه تاج الدين بن زهرة الحسيني في كتابه «غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار»: وبيت فخار في الحلة ومنهم شمس الدين النسابة السيد الفاضل الدّين الفقيه، الأديب، الشاعر، المؤرخ، كان سيداً جليلاً، فقيهاً، نبيلاً، نسابةً، عالماً بالأصول والفروع، متورعاً ديناً، مؤرخاً، صادقاً، أميناً... الخ.

وفي القرن الثامن الهجري، كانت كربلاء تزخر بجيل من العلماء الأعلام يأتي في مقدمتهم: ـ

ـ الشيخ علي بن الخازن الحائري، أستاذ الشيخ أحمد بن فهد الحلي المعروف، وكان على قدر كبير من العلم والورع والتقوىٰ، إلىٰ جانب تبحّره في الأدب، وعلم الفصاحة والإنشاء، وكان محترماً ومُبجلاً لدىٰ العام والخاص.

ـ الشيخ علي بن الحسن الحائري، عالم وفقيه مُحقّق، صاحب رأي ونظر، اشتهر بتعاليقه الكثيرة منها: تعليقُه على كتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول» للقاضي البيَضاني، وتعليقُه على «تهذيب الوصول» للعلامة الحلّي.

ـ السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار بن معد بن أحمد الموسوي، عالم فاضل، ترجمه الشيخ الحُرّ العاملي في كتابه «أمل الآمل»، والسيد محسن العاملي في كتابه «أعيان الشيعة»، كما ترجمه عدد آخر من النُسّاب وأصحاب التراجم وكتب السير.

ـ عزّ الدين الحسيني العبدلي الحائري، ترجمه ابن الفوطي في كتابه «تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب» فقال: عزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن سعد الدين بن حمزة بن سعد الدين بن أبي السعادات الحسيني العبدلي من سكان المشهد الحائري على حالّه أفضل السلام والتحية.

ـ الشيخ أبو طالب إبراهيم بن سيفي بن إبراهيم بن عليٍ بن دريد الحائري، كان من أبرز وأشهر العلماء والمحققين في عصره، لُقّب بفخر المحقّقين.

ـ الشيخ علي بن عبد الجليل الحائري ، من مشايخ علي بن الحسن الحائري، الذي درس عنده كتاب «تهذيب الوصول إلى علم الأصول» للعلامة الحلّي.

ـ السيد عميد الدين عبد المطلب بن السيد مجد الدين أبو الفوارس، كان عالماً، فاضلاً، وشاعراً مُجيداً، و هو من سلالة الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين(عليه السلام) كان مولده في ليلة النصف من شعبان سنة

٦٨١ هـ بالحلة، ووفاته في ليلة الإثنين العاشر من شهر شعبان سنة ٧٥٤ هـ ببغداد، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، وكان الباعث لشهرته هو تدريسه في الحائر الحسيني، وملازمته للروضة الحسينية المقدسة، واحتكاكه بالوافدين من المسلمين المُحبين لأهل البيت عليهم السلام، الذين كانوا يقصدون هذه العتبة المقدسة، و يحضرون مجلسه و يتلقفون منه الدروس في العلوم العقلية والنقلية، قال فيه صاحب «أمل الآمل»: جاء في بعض الإجازات المُعتبرة عند مشايخنا الأمامية: إن السيد عميد الدين عبد المطلب كان حلّي المولد حائري المحتد، وقال فيه صاحب «روضات الجنات»: كان السيد عميد الدين عبد المطلب من أجلّة العلماء الثقاة و مشايخ الروايات، قاصده محققاً أصولياً ماهراً، مجتهداً كابراً، حسن التصرف والتصنيف، وكفاه فخراً، ما قال عنه شيخنا الشهيد الأول (محمد بن الشيخ جمال الملة مكي بن شمس الدين محمد الدمشقي)، الذي عليه منا المرجع والمُعوّل، في إجازاته: درة الفخر، وفريدة الدهر، مولانا الإمام الرباني عميد الدين عبد المطلب، وأثنى عليه وبالغ فيه، يروي عنه السيد حسن بن أيوب الشهير بابن نجم الأطراوي العاملي، والشيخ عبد الحميد النيلي، وولده السيد جمال الدين أبي طالب محمد، والشيخ زين الدين علي بن الحسين الاسترابادي، والسيد تاج الدين بن معية الديباجي، وله جملة تصانيف أكثرها شروح وتعاليق على كتب خاله العلامة الحلي.

ومن دلائل ازدهار النهضة العلمية في كربلاء خلال القرن الثامن الهجري، ما ذكره الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي زار هذه المدينة سنة ٧٢٦ للهجرة، فنوّه بوجود مدرسةٍ عظيمة و زاويةٍ كريمة فيها الطعامُ للوارد والصادر، فالمدرسةُ العظيمة التي أشار إليها، هي جامعُ ابن شاهين، المُلاصق لأبنية الروضة الحسينية الشريفة، وكانت أعدادٌ متزايدة من طلاب العلم والفضيلة ترتاد هذا الجامع للاغتراف من معين الفكر الإسلامي ومناهل الفقه الشيعي الجعفري، بقدر ما يُشفي غليلَ كُلّ طالب علم جاد، وأما الزاوية التي قصدها ابن بطوطة في كربلاء فهي دارُ السيادة التي أقامها

السلطان محمود غازان خان، وجعلَها وقفاً على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل.

وفي منتصف القرن التاسع الهجري، عادت الموجةُ الفكرية و النشاط العلمي المُكثّف إلى ساحة كربلاء، وذلك بعد ما كانت قد انتقلت إلى النجف الأشرف في أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع، بسبب انتقال عددٍ لا بأس به من علماء كربلاء الأجلّاء آنذاك إلى مدينة النجف حيث أسهموا بدورهم في بعث و تنشيط الحركة العلميّة بها، الأمرُ الذي خلَق لها مركزيةً علميةً تبزُّ مكانة كربلاء العلمية.

وكان مردُّ عودة النشاط العلمي الدؤوب إلى كربلاء من جديد، هو انتقال الزعيم الديني الكبير الشيخ أحمد بن فهد الحلي الأسدي إليها، وكان من أشهر فقهاء و مُحدّثي الشيعة في القرن الثامن والتاسع الهجري، وقد ازدهرت الحركة العلمية في كربلاء على عهده، حيث كانت حلقات درسه، وأبحاثه و تقريراته، مليئةً وعامراً بكبار العلماء وأنبهِ الطلبة والتلاميذ المُتفوقين.

وفي هذا القرن، أيْ القرن التاسع، برزَ على ساحة العلم في كربلاء علماءُ وفقهاء فحول أمثال: الشيخ إبراهيم الكفعمي، الذي قال بحقّه صاحبُ «تنقيح المقال» ـ الشيخ عبد الله المامقاني المتوفى سنة ١٣٥١ هـ ـ: هو من مشاهير الفضلاء، والمُحدّثين، والصُلحاء، والمُتورّعين، وكان بين زماني الشهيدين رحمة الله عليهما، وذكره الشيخ الحُرّ العاملي في «أمل الآمل» قائلاً: كان ثقةً، فاضلاً، أديباً، شاعراً، عابداً، زاهداً، ورعاً، له كتبٌ منها: المصباح، وهو «الجنة الواقية والجنة الثمانية» وهو كبيرٌ كثيرُ الفوائد، تاريخُ تصنيفه سنة ٨٩٥ هـ، وله مختصر منه لطيف، وله كتاب البلد الأمين في العبادات أيضاً أكبر من المصباح و فيه شرح الصحيفة، وله «كتاب لمع البرق في معرفة الفِرَق»، وله شعر كثير و رسائل مُتعدّدة، وقال فيه صاحب روضات الجنات: هو العالم، العادل، الورع، الأمين، والثقة الأديب، الماهر المتفنّن، وذكره الحاج محمد هاشم الخراساني في «مُنتخب التواريخ» بقوله:

الشيخ إبراهيم بن علي بن حسن العاملي الكفعمي صاحب كتاب البلد الأمين، والمصباح، وغيرهما، تاريخُ ولادتِه مجهول و وفاتُه سنة ٨٩٥ هـ. ويقول عنه صاحب «أعيان الشيعة»: قد سكن كربلاءَ، وعمل لنفسه أزجاً بها بأرضٍ تُسمّىٰ عقيراً، وأوصىٰ أن يُدفن فيه. وكان كثيرَ التصانيف إذ بلغَ عددُ كتبه ٤٨ كتاباً، أشهرُها كتاب «المصباح»، كما له رسائل وحواشي على بعض الكتب، وكان واسعَ الاطلاع، طويل الباع في الأدب، سريعَ البديهة في الشعر والنثر، مُتيماً ومُغرماً بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وله قصيدةٌ يُوصي أهلَه فيها بأن يدفنونه في كربلاء بأرضٍ تُسمّى عقيراً، يقولُ في مطلعها:

سألتكم بالله أن تدفنوني	إذا مِتُّ في قبرٍ بأرضِ عقيرِ
فاني به جار الشهيد بكربلاء	سليل رسول الله خير مجير
فانيٍ به في حفرتي غير خائف	بلا مِرية من مُنكر ونكير
آمنتُ به في موقفي وقيامتي	إذا الناس خافوا من لظىً وسعيرِ
فاني رأيت العرب يحمي نزيلها	ويمنعه من أن يصاب بضير
فكيف بسبط المصطفى أن يزود	من بحائره ثاوٍ بغير نصير
وعار على حامي الحمى وهو في الحمىٰ	إذا ضَلّ في البيدا عقال بعير

وله أيضاً قصيدة غراء في مديح الإمام علي عليه السلام، ووصف يوم الغدير يبلغ عدد أبياتها مائة وتسعين بيتاً، كما له أرجوزة بمائة و ثلاثين بيتاً بشأن الأيام التي يُستحبُّ فيها الصوم، تُوفّي الشيخ الكفعمي في كربلاء سنة ٩٠٠ هـ، ودُفن في وادي أيمن وكان قبرُه ظاهراً. والكفعمي نسبة إلى قرية «كفعم» من قُرىٰ جبل عامل في الجنوب اللبناني.

كما برز في القرن التاسع على ساحة العلم بكربلاء، السيد عزّ الدين حسين بن مساعد الحائري، كان عالماً مُتبحّراً، وأديباً مُبرّزاً، ومُحقّقاً قوي الحجة، واسعَ الاطلاع، ورعاً، تقياً، اشتهر بمعرفته الدقيقة في الأنساب، حيث عمل عدةَ مُشجّراتٍ بخط يده للعديد من الأُسر العلوية القديمة في كربلاء، وتَرَكَ آثاراً مُصنّفة منها: كتابُه «تحفة الأبرار في مناقب أبي الأئمة

الأطهار»، و هو من سلالة علوية قديمة في كربلاء تُعرف بـ (آل طوغان) الحُسينيين، وعلى ذكر آل طوغان، فقد جاء في كتاب «مدينة الحسين» لمُؤلفه محمد حسن الكليدار آل طعمة: وآل طوغان من المخزوميين الحُسينيين، ومنهم العالم الفاضل النسابة حسين بن مساعد العيسوي الطوغاني الحُسيني، من سلالة عيسىٰ بن زيد الشهيد حفيد الإمام السجّاد عليه السلام، و باسمهم سُميت محلة (آل عيسىٰ) في كربلاء، توفي سنة ٩١٠ هـ. وكان إلى جانب علمه ومعرفته الواسعة بالأنساب، شاعراً سريع البديهة، جميل الأسلوب، له قصائد في مديح أهل بيت رسول الله، ورثاء الإمام الحسين عليه السلام، منها: هذه الأبيات الشعرية:

مصاب رسول الله في آله الألي ... تقاصر زيد عن علاهم كذا عمرو
أئمة هذا الخلق بعد نبيّهم ... بناة العُلى قد طابَ من ذكرهم ذكر
هم التين والزيتون هم شافعو الورىٰ ... هم السادة الأطهار والشفع والوتر
هم مهبط الوحي الشريف وهم غداً ... سقاة الزلال العذب من ضمّه الحشر

وفي الحقيقة أن حياة هذا العالم، والأديب الشاعر، كانت حافلةً بالمآثر و الأعمال و النشاطات الخيّرة من أجل دفع مسيرة العلم و المعرفة إلى الأمام، وقد تطرق لترجمته العديدُ من رجالات المعاجم والسير.

ومن أبرز العلماء في كربلاء إبان القرن العاشر الهجري: السيد وَليّ الحسيني الحائرُي، ترجمه الشيخ محمد علي التبريزي مؤلف كتاب «ريحانة الأدب» فقال: السيد وَلي بن السيد نعمة الله الحسيني الرضوي الحائري، عالم، مُحدِّث، صالحٌ و هو من الأماميّة المُتأخرين، وذكره صاحب «أمل الآمل» بقوله: كان عالماً، فاضلاً، صالحاً، مُحدّثاً، وقال عنه، الشيخ آغابزرك الطهراني، في كتابه «أحياءُ الدائر في مآثر القرن العاشر»، ما يلي: السيد ولي بن السيد نعمة الله الحسيني الرضوي الحائري صاحب كتاب «كنز الطالب» فرغ منه سنة ٩٨١ هـ، وله أيضاً «مجمع البحرين»، و «منهاج الحق»، و «تحفة الملوك»، المصرح فيه بأنه مجاورُ الحائر، نسخةٌ منه عند

المولىٰ حسن يوسف بكربلاء، كما صرّح بمُجاورته أيضاً في كتابه «مصباح الزائرين في فضل زيارة آل العبا» بالفارسية، وقد ألّفه باسم الشاه طهماسب. وكان السيد ولي الحسيني الحائري من مُعاصري الشيخ حسين والد الشيخ البهائي و الشهيد الثاني، ومن مؤلفاته الأخرىٰ «دُرر الطالب في مناقب علي بن أبي طالب»، وقد نقل عنه المير محمد أشرف في فضائل السادات وكذا نقل عنه مُؤلف «الدمعة الساكبة».

والسيد عبد الحسين بن مساعد الحسيني الحائري، وكان عالماً فاضلاً، ذكره صاحب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» فقال: السيد عبد الحسين بن مساعد بن حسن بن علي بن حسن بن طوغان الحسيني الحائري، كتب بخطه «شرح مختصر العضدي»، وفرغَ منه في الخميس رابع شهر رمضان سنة ٩٩١ هـ.

والمولى محمد قاسم الكربلائي، ذكره الشيخ آغابزرك الطهراني في كتابه «أحياء الدائر في مآثر القرن العاشر»، قائلاً: المولى محمد قاسم بن تقي بن محمد الكربلائي، كتب بخطه «مُنتقى الجمان» لصاحب المعالم.

وأمّا في القرن الحادي عشر الهجري، فكانت الساحةُ العلمية في كربلاء زاخرةً بالعلماء، والفقهاء، ورجال الحديث والسير، يأتي في مقدمتهم مَنْ نذكرُهم تواً: ـ

ـ المولىٰ شمس الدين الشيرازي، وكان مجاوراً كربلاء في حُدود سنة ١٠٠٠ هـ، ثم هاجر إلى أصفهان سنة ١٠٠٦ هـ، وإلى مشهد الرضا عليه السلام سنة ١٠١٠ هـ، وفي سنة ١٠٢٩ هـ ذهبَ إلى مدينة ري و تُوفّي بها سنة ١٠٣٥ هـ، قرأ عليه ولدُه المولى القاضي محمد شريف المُتخلّص بكاشف العلوم، وُلد هذا الأخير بكربلاء بحُدود سنة ١٠٠١ هـ، وحينما هاجرَ والدُه «المولىٰ شمس الدين» من كربلاء إلى أصفهان، كان ابنَ خمسَ سنين، واشتهر بتآليفه ومصنفاته الكثيرة و تولّيه منصبَ القضاء لفترةٍ من الوقت في أصفهان، وجاءَ ذكرُه في العديد من كُتب التراجم، فقد قال عنه عمر رضا كحالة في كتابه «معجم المُؤلفين» بما يلي: محمد شريف كاشف الشيرازي

الكربلائي (١٠٠١ هـ - ٠٠٠)، من القُضاة أصلُه من شيراز وُلد بكربلاء، قرأ على والده الأدب، والمنطق، والكلام، تَولّى القضاءَ من قبل السلطان بأصفهان، من مصنفاته «الفرجُ بعد الشدة»، «السراجُ المنير»، «الدُرّة المكنونة»، «حواس الباطن»، وترجمه السيد محسن أمين العاملي في «أعيان الشيعة» بقوله: قرأ على والده الأدبيات، والمنطق، والكلام، وتولّى القضاءَ من قبل السلطان بأصفهان، وحدّث عن نفسه: أنَّ له خمسَ عشرة سنة منصوباً للقضاء، له من المصنفات (خزان وبهار) - الخريف والربيع - في الأخلاق، و«الفرج بعد الشدة» مرتّبٌ بعد المُقدمة على أربعة عشر أساساً: «الصبر، الرحم، الأدب، الطهارة، العبادة، اللطف، اليقين، العلم، النصرة، المروءة، السخاء، الكرامة، الهدية»، وفي طيّ كلٍ فيها يذكر حكاياتٍ عجيبة، وله «السراجُ المنير»، و«الدرةُ المكنونة»، و«حواس الباطن»، ومنشآتٌ متفرقة، ومن مُنظوماته: ليلىٰ ومجنون، هفت بيكر - (الهياكل السبعة) -، عباس نامه، الغزليات، القصائد، الرباعيات، القطعة، التركيب، الترجيع.

- السيد علي بن عبد الحسين بن مساعد الحسيني الحائري، عالم نسّابة، قال المولى محمد كاظم الشريف النجفي في حاشية «عمدة الطالب» ما يلي: إني رأيت مشجرة نسب السيد ربيع الحائري، الذي عمله في سنة ١٠١٩ هـ، وعليه شهادة صاحب الترجمة - السيد علي الحسيني - بخطه.

- الشيخ عباس البلاغي العاملي، عالم، فاضل، جليل، وهو نجلُ صاحب كتاب «شرح الكافي» و قد اقتفى ولدُه الشيخ حسن أثرَ والدِه في تلقّي العلوم والاغتراف من معين الفضيلة والمعرفة، وهذا الأخير هو مؤلفُ كتاب «تنقيح المقال في علم الرجال»، وفيه ترجمَ جَدّه محمد علي البلاغي المُتوفى سنة ١٠٠٠ هـ.

- السيد مساعد بن محمد الحسيني، عالم نسابة، ذكره المولى محمد كاظم الشريف النجفي في «حاشية عمدة الطالب» فقال: رأيتُ المُشجّر الذي عليه شهادته في الحائر سنة ١١٦٦ هـ عند السيد عباس بن حسين من أحفاد

السيد ربيع الحائري، وكتبُ الشهادةَ معاصرُه السيد علي بن عبد الحسين بن مساعد، وكان هذا الأخير عالماً نسابة أيضاً و قد عَمَل بخط يده مُشجرةَ السيد ربيع الحائري في سنة ١٠١٩ هـ.

ـ السيد حسين بن الحسن العسكري الحسيني الحائري وكان من أهل العلم والمعرفة، اهتم بكتابة الدروس للشهيد.

ـ السيد طعمة علم الدين الحائري، كان عالماً مشهوداً له بالفضل في المشهد الحسيني الشريف، ونقيباً للأشراف، ومرجعاً لحل الكثير من المنازعات العشائرية، وكانت له السطوة والجلال، امتلكَ ضياعاً وبساتين وعقارات، وإليه يُنسب السادة آل طعمة، الذين كانوا يعرفون في الماضي البعيد بـ (آل فائز)، ومنهم نشأت عدة أسرٍ معروفة في كربلاء هي: آل السيد وهاب، وآل السيد مصطفى، وآل السيد درويش، وآل السيد جواد، وآل السيد محمّد (بيت الشروفي).

وتميزت الساحةُ العلمية في كربلاء خلالَ القرن الثاني عشر الهجري، بشخصيةٍ علمية فذه و بركنٍ هام من أركان الفقه الجعفري الشيعي، هي شخصيةُ الشيخ يوسف البحراني،صاحب كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، والذي أغنى الفقه الشيعي، ببحوثه، وتتبّعاته، ومُصنّفاته الكثيرة، وكان تواجدُه في كربلاء عاملَ جذبٍ قوي لطلاب العلم والمعرفة، وعاملَ ازدهار للحركة العلمية فيها، وإنه بالرغم من ميله للطريقة الإخبارية، ظلّ سنداً وأسناداً للعلماء المجتهدين، فكتابهُ (الحدائق الناضرة) تُعتبر من كُتب المصادر في الفقه، كما أن شخصيتَه العلمية ظلت مُصانةً من أي نقد من جانب العلماء الأصوليين ودُعاة الاجتهاد الداحضين للطريقة الإخبارية.

ومن أعلام كربلاء في هذا القرن (الثاني عشر)، العالم والمفكر الإسلامي السيد نصر الله الحائري، الذي اشتهر بلقب مُدرّس الطف تارةً، ومُدرّس الروضة الحسينية تارةً أخرى، أخذَ العلمَ منه جمعٌ من طلاب العلوم الدينية وأهل الفضل والمعرفة، ترجمه صاحب «أعيان الشيعة» بقوله: السيد

أبو الفتح عزّ الدين نصر الله ابن الحسين ابن علي الحائري الموسوي الفائزي، المُدرّس في الروضة الحسينية المعروف بالمُدرّس ، نسبتُه الفائزي نسبةً إلى عشيرته، ويُسمّون بآل فائز أو آل أبي الفائز، وفيهم يقول المُترجم (السيد نصر الله الحائري) ضمنَ قصيدة في رثاء والدته:

كيفَ لا وهي آل أبي الفائز   من هديهم به الاقتداء
معشرُ شاد مجدَهم وعلاهم   سيدُ المرسلين والأوصياء
سادةُ قادةُ كرام عظام   علماءُ أئمةُ نقباء

وله قصيدة يتفجّع فيها على مصاب الحسين عليه السلام، في كربلاء يقول في مطلعها:

يا بدُوراً لم ترضَ أفقَ السماءِ   كيفَ غيّبت في ثرى كربلاءِ
يا شموساً في التُرب غارت وكانت   تُبهرُ الخلقَ بالسنا والسناءِ
يا جبالاً شواهِقاً للمعالي   كيفَ وارتكِ تُربةُ الغَبراء
يا بحاراً في عرصة الطف جفّت   بعدَما أورت الورى بالعطاء

ثم يمضي قائلاً:

آهٍ لا يطفىء البكاء غليلي   ولو أني أغترفت من داماء (البحر)
كيف يُطفي والسبطُ نصبُ لعيني   وهو في كُربةٍ وفرط عناء
لست أنساه في الطفوف فريداً   بعد قتل الأصحابَ والأقرباء
فإذا كرّ فرَّ جيش الأعادي   وهم كثرةُ كقطر السماء
كيفَ لا وهو نجلُ سم الأعادي   أسد الله قامع الأدعياء

ذروة الحركة العلمية في كربلاء:

يتبيّن من ذلك أنَّ وجوهاً علمية مُتميزة، ظهرت و تجلّت، وأبدعت على الساحة العلمية في كربلاء من قرنٍ لآخر، وإن هذه الساحة لم تخلو أبداً من علماء، وفقهاء، ومُجتهدين، لكن المُهمّ وأن النهضة العلمية في كربلاء ظلّت مندفعةً إلى الأمام حتى حلول القرن الثاني عشر وبعدَه القرن

الثالث عشر، حينما بدأت مرحلةٌ أخرى غير عادية في ساحة العلم والفضيلة بكربلاء، يمكن وصفُها بأنها، مرحلة حاسمة تفوق وتبّزُ كلَّ المراحل السابقة، التي شهدتها هذه الساحة عَبَرَ القرون الماضية.

وفي الحقيقة أن الحركة العلمية والتدريسية في كربلاء، مرّت بفتراتٍ مختلفة كانت في بعضها فاترةً و راكدةً و في بعضها الآخر مزدهرةً ومنتعشةً، غير أنّ فترةَ زهوها وأوج عطاءها بدأت حينما لمعَ في سماء الغلم والفضيلة بكربلاء، نجمُ المعلّم الكبير والمُربّي العـظيم، العالم المُتتبـع، والفقيه المُحقق، والمُجتهد المُدقّق، والأستاذ المُتفوق، الشيخ الجليل، الآغا محمد باقر الوحيد البهبهاني، الذي فاقَ الجميعَ بغزارة علمه، وطول باعه، وسعة معرفته بدقائق وظرائف الفقه الإسلامي الشيعي، وأصوله وفروعه.

وفي عهد هذا العالم العبقري الفذّ، كانت الحركة العلْمية في كربلاء في ذُروتها و أوج ازدهارها الى الحدّ الذي لم يسبق له مثيلٌ من قبل، إذا تحوّلت هذه المدينة المقدسة إلى مركز هام للدراسات و البحوث الفلسفية، والعلوم العقلية والنقلية، ولذلك توجّه إليها العديد من العلماء والمُجتهدين، الذين ساهموا وشاركوا في تطوير حركتها العلمية والتدريسية، وأدّوا دوراً تاريخياً بارزاً على هذا الصعيد.

وبالرغم من أنَّ الرئاسة العلمية و الدينية الأُولى انتقلت بعد فترةٍ من وفاة العلامة الوحيد البهبهاني، وعلى الخصوص بعد وفاة المُربّي العظيم، والأستاذ البارع، الفاخر، رائد المجتهدين المُحققّين، الشيخ شريف العلماء المازندراني المُتوفّى سنة ١٢٤٥ هـ إلى النجف الأشرف ، وذلك بفضل تواجد رعيل الصفوة من تلامذة الوحيد البهبهاني، وشريف العلماء المازندراني على رأس حركتها العلمية والتدريسية في حينه، أمثال: السيد محمد مهدي بحر العلوم المولود في كربلاء سنة ١١٥٥ هـ و المتوفى في النجف سنة ١٢١٢ هـ، والشيخ جعفر صاحب «كشف الغطاء»، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام»، الذي كان قد أدرك درسَ الوحيد البهبهاني، وهو لا يزال في مُقتبل العمر (حسب رأي العلامة المُحقّق الشيخ محمد رضا

المظفر العميد الأسبق لمنتدى النشر في النجف)، والشيخ مرتضى الأنصاري تلميذ شريف العلماء المازندراني، غير أنَّ الساحةَ العلمية في كربلاء ظلّت تعجّ وتزخر بمجاميع من خيرة العلماء والفقهاء، أمثال: العالم النحرير، والفقيه المحقق، والأستاذ المُربّي، والرئيس الشهير، المير السيد علي الطباطبائي صاحب كتاب «الرياض» المتوفى سنة ١٢٣١ هـ، ونجله السيد محمد الطباطبائي المعروف بالمجاهد، و الذي تبوّأ مكانةً شامخة في الحركة العلمية والتدريسية بكربلاء وتخرّج عليه العديدُ من العلماء، وكذا أمثال:

ـ السيد علي الكبير بن منصور بن أبي المعالي، من ذُرّية زيد الشهيد ابن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، كان من مشاهير علماء وفقهاء زمانه، تتلمّذ على الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق والوحيد البهبهاني، والسيد نصر الله الفائزي الحائري، ترجمه صاحب «أعيان الشيعة» فقال: توّفي في كربلاء سنة ١٢٠٧ هـ ودفن عند أبيه السيد منصور، بين منارة العبد والرواق الشريف، وهو غير السيد مير علي الصغير صاحب الرياض، وإن كان كل منهما ابنَ أخت الآغا باقر البهبهاني، لكن الثاني حسني طباطبائي والأول حُسيني، ذكره الآغا أحمد سبط الآغا البهبهاني في رسالته «جهان نما»، واثنىٰ عليه و وصفَه بغايةِ التقديس والصلاح، رأى له عدةَ تصانيف لم تخرج إلى المبيضة، ولم يمكثُ بعدَ خاله «الآغا البهبهاني» إلّا قليلاً، فلذا لم يشتهر اسمُه و اشتهر اسمُ صاحب الرياض ـ السيد المير علي الطباطبائي ـ لمكثِهِ كثيراً بعدَ خاله، هكذا يُقال والله أعلم بحقيقة الحال... الخ. ومن ذريته العالم الشهير السيد محمد علي هبة الدين الحسيني وأولادُه المعروفون بآل الشهرستاني.

ـ السيد مهدي الشهرستاني الموسوي، المُتوفى بكربلاء سنة ١٢١٦ هـ، والذي اشتهر بدروُسه القيمة في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة.

ـ السيد حسن الطباطبائي، المُلقّب بالحاج آغا ابن السيد محمد المجاهد ابن السيد علي الطباطبائي الحائري صاحب الرياض، كان عالماً، فقيهاً، ذكرَه صاحبُ «الكرام البررة» فقال: كان المُتَرجم وأخوه السيد حسين

سبطي السيد مهدي بحر العلوم، والثاني منهما صهرُ السلطان فتح علي شاه القاجاري كما يأتي، وكان المُتَرَجم من الأعلام في كربلاء المُشرّفة، وقام مقامَه بعدَه السيد الميرزا علي نقي المُتوفّى سنة ١٢٨٩ هـ، والسيد ميرزا أبو القاسم الحجة، المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ وهو من بيت علم جليل، آباؤه وأولادُه وأحفادُه مراجع ورؤساء في كربلاء قضوا بها أدوَاراً مُهمةً.

ـ الشيخ المولى محمد حسن الحائري، كان من تلاميذ السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض وولدِه السيد محمد المجاهد الطباطبائي، له عدة رسائل فقهية وأصولية تدل على تبحرّه و تعمقه في العلوم منها: رسالة في حجيّة الاستصحاب، ورسالة في مسألة تزويج الولي الصبى لامرأة منقطعة لغاية شهر، ورسالة في مسألة موت الزوج قبل الدخول في المنقطعة.

ـ الشيخ خلف بن عسكر الحائري المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ، والذي حظي بسمعة جيّدة، ومكانة مرموقة في العلم والفضيلة.

ـ الشيخ حسن سلطان الحائري، كان من العلماء الأعلام المعاصرين للشيخ خلف بن عسكر، له شرحُ لرسالة الطهارة والصلاة لوالده الشيخ محمد علي سلطان، وقد عدّه المولى حسين المُحيط في جواب بعض مسائله من أصحاب الشيخ أحمد الاحسائي.

ـ الشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب «الفصول الغروية» كان عالماً، حصيفاً وفقيهاً نحريراً، توفي بأرض الحائر الشريف سنة ١٢٥٤ هـ.

ـ الشيخ محمد حسين الطهراني، كان من فقهاء كربلاء المعروفين وأجلّاء العلماء في عصره، له رسالة فتوائية عملية فارسية في الطهارة والصلاة وهي تشتمل على المسائل الاتفاقية، دوّنها بعد وفاة السيد المير علي الطباطبائي صاحب «الرياض»، وفي حياة نجله السيد محمد المجاهد الطباطبائي و في مقدمة هذه الرسالة، ذكر أنه مُجاور للحائر الحسيني الشريف، وأنه ألّفَ قبلَ ذلك «رسالة النجاة» من فتاوى استاذه «صاحب الرياض»، كما ألّفَ رسالة «قوت لا يموت»، ورسالة «أقل الواجب» من فتاوي

الميرزا القمي، ورسالة «لب اللباب» من فتاوي السيد محمد المجاهد الطباطبائي، ورسالة أخرى في المسائل الاتفاقية بين العلماء من الأموات والأحياء، ويبدو من رسائله هذه أنه كان تلميذاً للميرزا القمي والسيد محمد المجاهد، إلى جانب استاذه الأكبر السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض.

- الشيخ المولى حسن القراجه داغي من العلماء الأعلام في كربلاء، كان من تلامذة الشيخ أحمد الإحسائي، وتلميذه السيد كاظم الرشتي الحائري، وكان من المتشرّعة متأكداً من موافقة أستاذه الشيخ الإحسائي للعلماء المتشرعين في مسألتي المعاد والمعراج، كما صرّح هو في كتابه «البراهين الساطعة في المبدأ والمعاد»، له كتاب في شرح خطبة الإمام الرضا عليه السلام، المروية في «عيون الأخبار»، وشرح «حياة الأرواح في المبدأ والمعاد» للمولى محمد جعفر شريعتمدار الاسترابادي، وفيه جواب لاعتراضات الاسترابادي على الشيخ أحمد الإحسائي، وله «لمعات أنوار الهداية» وعليه تقريض من استاذيه الإحسائي والرشتي، وقد وصفه الشيخ أحمد الإحسائي بقوله: الابن الأعز العالم الفاضل المؤتمن الوفي، وقال عنه السيد كاظم الرشتي: العالم المتقن، والفاضل المؤتمن، وله رسالة في إثبات ضلالة الحاج كريم خان الكرماني، وكان تاريخ وفاته بعد سنة ١٢٦١ هـ.

- السيد ابراهيم القزويني صاحب «الضوابط» المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ، كان فقيهاً بارعاً، ضليعاً بالعلوم العقلية، ومحيطاً بالعلوم النقلية، وأستاذاً قديراً في تربية العلماء.

- الشيخ المولى محمد حسين اليزدي الحائري، عالم جليل كان معاصراً للسيد ابراهيم القزويني صاحب الضوابط، له من المؤلفات: حاشية على «القوانين» للميرزا القمي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ إلى بحث «الحقيقة الشرعية»، قام بتدوينها تلميذه وتلميذ صاحب «الضوابط» المولى محمد سميع بن محمد علي اليزدي، وفيها أشاد بأستاذه «المولى محمد حسين اليزدي» وقال عنه: العالم الفاضل الكامل النابه، فخر المحققين وزبدة المدققين، رأس العلماء ورئيس الفقهاء زين الإسلام، وركن الإيمان وعضد

الأعلام الوحيد الفريد... الخ، وإن هذه الأوصاف لا بـد وأن تدل على مكانته العلمية المتميزة.

ـ الشيخ الآغا محمد حسين الأردستاني اليزدي الحائـري المعروف بـ «باشنه طلائي»، كان من أعاظم العلماء في عصره، ولد ونشأ في مدينة يزد، ثم سافر الى اصفهان، فقرأ على الحاج محمد ابراهيم الكلباسي صاحب «الإشارات»، وهاجر إلى العراق فحضر في النجف الأشرف درس عند الشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام»، والشيخ مرتضى الأنصاري حتى حاز مرتبة عالية في العلوم، ثم هبط في مدينة كربلاء مجاوراً الحائر الشريف ومشتغلاً بالتدريس وتعظيم شعائر الدين، تخرج عليه جماعة من العلماء، بينهم السيد هاشم القزويني الحائري (المتوفى سنـة ١٣٢٧هـ) والشيخ علي البفروئي (المتـوفى سنة ١٣٢٤هـ) توفي في سنة ١٢٧٣ هـ ودفن بمقبرة ركن الدولة في الصحن الصغير للروضة الحسينية الشريفة، ترك مؤلفات عديدة منها: «الكلمة الباقية» في الأخلاق، و«القسطاس المستقيم» في المنطق، و«الفلك المشحون» في الأصول، و«مقاليد الأحكام» في الفقه.

ـ الشيخ المولى حسن بن علي الكثنوي اليزدي الحائري، كان من العلماء وأئمة الجماعة في كربلاء، يُقيمها في مدرسة حسن خان العلمية الدينية إلى أن توفي سنة ١٢٩٧ هـ، له تصانيف عديدة منها: «أنوار الشهادة»، و«أنوار الهداية»، و«موائد الفوائد»، ورسالة في العصمة، وأخرى في حقوق آل محمد على الشيعة، وثالثة في ردّ العامة وُجدت نسخةٌ منها في مكتبة الشيخ علي أكبر النهاوندي بمدينة مشهد في خراسان.

ـ الشيخ محمد حسين القزويني المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، من فحول العلماء وكبار الفقهاء ومشايخ التدريس في كربلاء، ذكره صاحب «الكرام البررة» فقال: كان في كربلاء من تلاميذ شريف العلماء المازندراني، وكان في النجف من أكابر تلاميذ صاحب الجواهر، بل من مُعاصريه ومُعاصري صاحب الفصول ـ الشيخ محمد حسين الأصفهاني ـ جاور كربلاء فكان رئيساً مُقدَّماً، ومُدرِّساً كبيراً، وخطيباً جليلاً، ومُفتياً يُرجَعُ إليه في أحكام الشرع،

وكان له تبحّر غريب في الفقه والأصول تنطق به آثارُه وتشهد مآثرُه، تُوفي في ٤ محرم سنة ١٢٨١ هـ وهي السنة التي توفي فيها الشيخ المرتضى، عن ثلاثٍ وستين سنة، فولادتهُ في سنة ١٢١٨ هـ ودفن بمقبرة ركن الدولة في الصحن الصغير المهدوم فعلاً وله من الآثار: «نتائج البدائع في شرح الشرائع» خرجَ منه أكثرَ أبواب الفقه، و«نتيجة البديعة في علم فروع الشريعة» عندي المجلد الثاني من طهارته، وهو من الدماء إلى آخر أحكام الموت بخطّه الشريف... الخ، وذكره السيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي في كتابه «أحسن الوديعة» فقال: العالم الفاضلُ، والفقيه الكامل، الشيخ محمد حسين القزويني الأصل الحائري المسكن، كان من أكابر المُجتهدين ورؤساء الدين، له مؤلفات في الفقه والأصول، تدلُ على كثرة تبحّره في العلوم العقلية والنقلية، وقفتُ على بعضها عندَ بعض المُعاصرين بخط بعضهم، وكان عمدةُ تلمذِه على شيخ مشايخنا صاحب الجواهر وعليه تخرّج، ذكره في الصفحة ١٥٦ ـ السطر ١٨ من كتابه «المآثر والآثار» وأشار إلى أنه كان من فحول المُجتهدين وفقهاءِ زمانه وله منزلة رفيعة وجاه عظيم.

ـ الشيخ عبد الحسين الطهراني المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ، وكان من مشاهير العلماء والمُجتهدين في عصره توفرت له الزعامة والمرجعية في الأحكام الشرعية في كربلاء، ذكره الشيخ الميرزا حسين النوري في كتابه «مُستدرك الوسائل» فقال عنه: شيخي وأستاذي، ومن إليه في العلوم الشرعية استنادي، أفقه الفقهاء وأفضل العلماء، العالم الرباني الشيخ عبد الحسين بن علي الطهراني أسكنه الله بحبوبةَ جناتِه، كان نادرةَ الدهر، وأعجوبةَ الزمان في الدقة والتحقيق، وجودة الفهم، وسرعة الانتقال، وحسن الضبط والاتقان، وكثرة الحفظ في الفقه والحديث، والرجال والتفسير، حامي الدين ودافع شبه الملحدين... الخ، وترجمه صاحبُ «أعيان الشيعة» بقوله: وكان عالماً، فقيهاً، أصولياً، رجالياً، أديباً، حافظاً للشعر العربي، حاوياً لجُملةٍ من الفنون، هاجر أبان الطلب (عندما كان طالباً) من طهران إلى النجف الأشرف، وأخذَ عن الشيخ مشكور الحولاوي، والشيخ عيسى زاهد، وصاحب الجواهر،

ورجع بعد أجازته إلى طهران فرأسَ وتصدَّر فيها، وتقدَّم عند الشاه و وزرائه وحصل له القبول عند الخاصة والعامة، ثمَّ خرج منها بأهله وسكن كربلاء سنة ١٢٨٠ هـ، وفوّض إليه الشاه عمارةَ المشاهد في كربلاء، والكاظمية، وسامراء، وأقامَ على تذهيب القبة في سامراء، وبناء الصحن وزخرفته وتوسعة الحرم الحائري، وكان جامعاً للكتب خصوصاً المخطوطة منها و له من ذلك مكتبة نفيسة أوقفَها، وقد تلف جملةٌ منها وتفرّق باقيها أيدي سبأ، وكان فيها مجلّدات من رياض العلماء، وقد سألنا عنها في زيارتنا للعراق سنة ١٣٥٢ هـ في كربلاء، فأُخبِرنا بتلفها واحتراق بعض أجزاء رياض العلماء الذي كان فيها، وهكذا تذهب آثارنا النفيسة ضحية الإهمال والفوضى، وله مدرسة غربي المشهد الشريف ملاصقة له تُنسب إليه... الخ.

ـ الشيخ محمد صالح آل كداعلي المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ، وكان من مراجع التقليد في عصره ومن أهل الصلاح والورع، ترجمة الشيخ آغا بزرك الطهراني في «الكرام البررة» وممّا قال فيه ما يلي: وكان المُترجَمَ له من أجلّاء تلاميذ السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، وغيره من علماء كربلاء الأعلام في عصره، وقد كتب بخطه في حياةِ أستاذهِ كتابه المذكور ـ الضوابط ـ وفرغَ منه في محرم سنة ١٢٥٢ هـ، وامضاؤه أقلُ الطلبة محمد صالح بن محمد مهدي المدعو بـ«كداعلي بيك» رأيت النسخةَ عند العلامة المرحوم الشيخ علي القمي في النجف الأشرف، ونبغ في العلم والفضل، وتقدّم في الفقه والأصول، وأشتهر بينَ مختلف طبقات أهل كربلاء، وعُرف بالبراعة، والكمال، والصلاح، والتقوىٰ، وأصبحَ من العلماء الأعلام والمراجع الأفاضل، وغلب عليه الورعُ، والنُسك، والزهد، وعُرِفَ بذلك بين الجميع، وصار محل ثقة الخاصة والعامة، وكان يقيم الجماعةَ في الصحن الشريف فتصلي وراءه الألوفُ المؤلفة لا سيما في مواسم الزيارات، فكانت جماعتُه تتضاعف بشكل لم يتفّق لأحدٍ من العلماء في كربلاء، حيثُ كان يقف في الزاوية الجنوبية الغربية عند باب الزينبية و تمتد جماعتُه إلى الزاوية الشمالية الشرقية عند باب مدرسة حسن خان، تركَ مُؤلفات تعالج أبوابَ الفقه

الجعفري، و هي محفوظة لدىٰ أحفاده المُتأخرين الذين لا يزالون موجودين فِي كربلاء، وكان يسكن في زقاق يتفرّع عن شارع الحسين، عُرف باسمه «كداعلي».

ـ المولى محمد صالح البرغاني، هو ابن المولى محمد تقي البرغاني القزويني، كان عالماً فحلاً، وفقيهاً مبرزاً يُشار له بالبنان، أشتهر في حوزة كربلاء، وتصدّر شؤون الفتيا والتدريس بها، ترجمه صاحب «الكرام البررة» فأطرى به وأشاد بعلمه وفضله، وقال عنه: هو الشيخ المولى محمد صالح بن الآغا محمد البرغاني القزويني من مشاهير العلماء، ومن أسرة البرغانيين الكبيرة التي ظهر فيها غيرُ واحد من أعاظم الفقهاء وأساطين الدين، كان من رجال العلم الأكابر و حجج الإسلام الأفاضل، وفقهاء الأمة الأعلام، وهو شقيق الحجة المولىٰ محمد تقي البرغاني، الشهيد على يد البابية سنة ١٢٦٤ هـ، أدرك السيد علي الطباطبائي في كربلاء، وتلمّذ على ولده السيد محمد المجاهد وأُجيزَ منه ومن السيد عبد الله الشُبّر وغيرهما، وتُوفي في الحائر الشريف فجأةً سنة ١٢٨٣ كما رأيتُه بخط بعض أولاده في آخر (مفتاح البكاء) له، ودُفن في رواق الحسين عليه السلام في طرف الرأس الشريف، له ترجمة في «قصص العلماء»، و«التكملة» وغيرهما، وجاء شرحه في «معجم المؤلفين» بما يلي: محمد صالح بن محمد القزويني الكربلائي فاضل من آثاره: «بحر العرفان في تفسير مفتاح الجنان»، و«مفتاح البكاء في مصيبة خامس آل العباء»، فرغ من تأليفه سنة ١٢٧٠ هـ، كما ترجمه صاحب «أعيان الشيعة»، وممّا قال عنه: كان من أجلّاء العلماء، تلمّذ في إيران على الميرزا القمي ثم انتقل إلى النجف و تلمّذ على الشيخ جعفر صاحب «كشف الغطاء» ثم انتقل إلى كربلاء وتوفّي فيها، له من المصنفات: ١ ـ غنيمة المعاد، ٢ ـ مسالك الراشدين، ٣ ـ بحر العرفان، ٤ ـ كنز الأخبار في أحوال النبي والأئمة، ٥ ـ كنز الأبرار في أحوال الأئمة الأطهار، ٦ ـ مجمع الدُرر في اللطائف والحكايات، ٧ ـ ذخيرة المعاد في أصول الدين، ٨ ـ كتاب في أصول الفقه، ٩ ـ مفتاح البكاء في مصيبة سيّد الشهداء، ١٠ ـ معدن البكاء،

١١ ـ كنزُ المصائب. . . الخ.

ـ السيد محمد باقر بن زين العابدين اليزدي الحائري، عالم وفقيه مُتبحّر، ومُصنّف مُكثر، كان من تلاميذ السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، وتلمّذ على السيد المّيرزا علي نقي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ، وغيرهما من فقهاء كربلاء ومُدرّسيها يومذاك، له آثار هامة ومتنوعة منها: «مصابيح الأنوار» في شرح كتاب «نتائج الأفكار» لأستاذه السيد إبراهيم القزويني، و«مقاليد الإفهام» في شرح «شرائع الإسلام» كتبه من تقريرات أستاذه الطباطبائي في مبحثي القضاء والنكاح، و«مقاليد الأصول وموازين العقول»، أجازه الميرزا علي نقي المذكور وأجازه خالُه الشيخ محمد حسين الطالقاني القزويني المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، كما أجازه الشيخ أبو تراب القزويني الشهير بميرزا آغا، توفي قبل سنة ١٣٠٠ هـ.

ـ الشيخ حسين البلوجي، هو الشيخ حسين بن الشيخ إسماعيل الفارسي الحائري البلوجي، وسبب لقبه «البلوجي»، أنه كان يسكن في محلة بمدينة كربلاء تُسمّى بمحلة البلوج، عالم فقيه كان من أجلاء العلماء الاعلام في كربلاء في عصره، له من المؤلفات: «إجماعيات الفقه» في ثلاث مجلّدات فرغ من تأليفها في سنة ١٢٨٨ هـ، وقد وجدت نسخ منها في مكتبة الخطيب الأديب الشيخ محمد علي اليعقوبي في النجف الأشرف، توفي بعد سنة ١٢٨٨ هـ.

ـ المولى الشيخ حسين الأردكاني المُتوفى سنة ١٣٠٥ هـ، كان عالماً جليلًا، وفقيهاً مُتبحراً، وزاهداً ورعاً، وأستاذاً مُربيّاً للمُجتهدين، هاجر من بلدته في إيران إلى كربلاء فأدركَ درسَ وأبحاثَ شريف العلماء المازندراني، وكتبَ من تقريرات أستاذه الكبير مبحثَ البيع الفضولي في باب التجارة، وشارك أيضاً درسَ السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، تخرّج من حلقة درسه وأبحاثه الفقهية والأصولية جمعٌ من كبار العلماء المُجتهدين أمثال: السيد الميرزا محمد حسين المرعشي الشهرستاني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيد محمد الأصفهاني، والسيد حسن الكشميري، والشيخ

على البفروئي، و الميرزا محمد الهمداني و غيرهم، وقد نشطت الحوزة العلمية في كربلاء على عهده و ازدهرت وعادت إليها نضارةُ عصر الوحيد البهبهاني إلى حد ما، وتوفّرت له رئاسةٌ دينية يكاد لا يُنازعه عليها أحد، أطرىٰ على شخصيته العلمية المُتميّزة الكثيرُ من مؤلفي كُتب الرجال والمعاجم منهم: الأصفهاني الكاظمي في كتابه «أحسن الوديعة»، ومحمد خان اعتماد السلطنة في كتابه «المآثر والآثار».

ـ السيد صالح الداماد، عالم مُحقّق وفقيهٌ مُتتبّع، وُلِدَ ونشأ في كربلاء، واشتهرت أسرتُه في هذه المدينة بالداماد، نظراً لأن والده السيد حسن صاهرَ المير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، قرأ على خالِه السيد مهدي بن السيد علي الطباطبائي، وتلمّذَ على السيد إبراهيم القزويني وغيره، اشتغلَ بالتدريس فتخرّجَ من تحت منبره جمعٌ من العلماء الأفاضل، وانتهت إليه الرئاسة الدينية والزعامة العلمية في كربلاء، تُوفيّ سنة ١٣٠٣ هـ وﺩُفن في رواق الحضرة الحسينية الشريفة، من أهم مؤلفاته: «زهر الرياض»، و «حاشية على الروضة البهية»، و «المهذّبُ في الأصول»، و «التجزّي والاجتهاد»، ذكره صاحب «معجم المؤلّفين» بقوله: محمد صالح عرب بن حسين الكربلائي الشيعي الإمامي الشهير بعرب، فقيهٌ أصولي من تصانيفه «زهر الرياض»، و «المهذّب في الأصول».

ـ السيد زين العابدين بن السيد حسين بن السيد محمد المجاهد الطباطبائي الحائري، كان عالماً عامِلاً، وفقيهاً صالحاً، ترجمه صاحبُ «الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة»، بقوله: كان من مشاهير علماء كربلاء وأكابر مراجع الدين بها، ومن أهل الزهد، والنُسك، والصلاح، وَرِثَ الزعامةَ الدينية عن أبيه وجدّه لكنه كان سخيّاً بها لم يقم لها وزناً، ولم يحتفل بها أبداً، وقد رأسَ رئاسةً مُحترمةً و أقبلت عليه الجموعُ بشكلٍ نادرٍ، لكنه كان مشغولاً بوظائفه الدينية لم تُشغله عنها العناوينُ الفارغة، فقد استمر على وضعه السابق و هو منطوٍ على نفسه إلى أنْ أنتقلَ إلى رحمة ربّه في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٩٢ هـ، ودفن في مقبرة خاصة به مقابلَ مقبرة

جدّه السيد المجاهد المشهورة في كربلاء، وقد كان من أجلّاء تلاميذ الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، ومَنْ في عصرِه من الأبطال، وقال السيد الصدر في كتابه «التكملة»: رأيتُ له مصنفاتٍ في الفقه والأصول بخطه في عدّة مجلدات. . . . الخ.

ـ الشيخ زين العابـدين المازنـدراني الحائـري، كان شيـخ الفقهاء والمُجتهدين، واحدَ مراجع المسلمين في عصره، أشتهر أمرُه في التقليد لا سيّما بين الشيعة في بلاد الهند وذاعَ صيتُه وشهرتُه، درسَ في حوزة كربلاء على المولىٰ محمد سعيد المازندراني المعروف بسعيد العلماء، المُتوفّى سنة ١٢٧٠ هـ، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، كما درسَ في النجف على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ مرتضى الأنصاري، ذكره خيرُ الدين الزركلي في كتابه «الأعلام»، فقال: زين العابـدين (١٢٢٧ ـ ١٣٠٩ هـ) ابن كربلائي مُسلِم المازندراني الحائري، فقيهٌ إمامي جاورَ الحائر إلى أن تُوفي، له «ذخيرةُ المعاد» في الفقه، و «مناسك الحج» وترجمه العلامة السيد محسن العاملي في «أعيان الشيعة» وممّا قال عنه: ولمّا عاد إلى كربلاء اشتغل بالتدريس والتصنيف، والإمامـة والإفتاء، ونال حظاً عظيماً وجاهاً كبيراً في كربلاء، ونُفذّت أحكامُه وهَابَه الحكامُ وأطاعوه، رأيتُه بكربلاء وقد طُعِن في السنّ ولم يترك التدريسَ في أيام شيخوخته ونسخَ عدةً من الكتب بخطه فإنه في أول عمره كان يستنسخ كلَّ كتابٍ يقرأه حتى القوانين، انتهت إليه الرئاسة العلمية بكربلاء كان مرجعاً للمؤمنين، وملاذاً للمسلمين، وكان مرجع شيعة الهند وكثير من بلاد إيران وبُخارىٰ والعراق. توفي في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ عن ٨٢ سنة، ودفن في باب الصحن الحسيني الشريف الخارج إلى سوق البَزّازين العرب المسمّىٰ بباب قاضي الحاجات.

ـ السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٥ هـ، نشأ وترعـرع في كربـلاء، درسَ على والده السيـد الميرزا محمـد علي المرعشي و المولى الشيخ حسين الأردكاني، مباحثَ الفقه والأصول، وله إجازات عديدة من أساتذته، وكان مُلماً أيضاً بعلوم الرياضيات، والهيئة،

والفلك، والفلسفة، والكلام، والحكمة، ترك مؤلفات تزيد على ثمانين كتاباً، بضمنها رسائل فارسية وعربية ظلت مخطوطة غير مطبوعة، وردت ترجمته في العديد من كتب الرجال منها: «ريحانة الأدب» و «الكُنىٰ والألقاب»، و «أعيان الشيعة»، و «الكرام البررة»، وكان السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني من كبار المجتهدين و فحول العلماء في زمانه، ولمعرفته الدقيقة والجيدة بعلوم الحساب، والهيئة، والنجوم والأسطرلاب، والهندسة، إلى جانب ضلوعه بالفقه والأصول، عُرف بالشيخ البهائي العاملي في عصره.

وخلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ظلّت مدينة كربلاء مسرحاً لصولة العشرات بل المئات من كبار العلماء وأعاظم الفقهاء المحققين، الذين حافظوا على مسيرة العلم والمعرفة والفضيلة فيها، بينما كانت النهضة التجديدية في النجف الأشرف تمرّ بفترةِ ازدهارٍ غير عادية، بحيث يُمكن وصفُها بأنه فترة تاريخية حاسمة بالنسبة لبلورة و ترسيخ الفقه الاجتهادي الأُصولي، ثمَّ عادت مدينة كربلاء لتُمسك من جديد برئاسة الحركة العلمية، وذلك حينما انتقلت المرجعية الدينية الكبرى إلى العالم المُتبحّر والفقيه المحقق والزعيم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، الذي قاد بجدارة وأهلية مُدهشتين حركة المسلمين الثوريين في العراق ضدّ الاحتلال البريطاني لأرض هذه البلاد الإسلامية.

ومن أبرز أعلام كربلاء المشاهير في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري إضافةً إلى أولئك الذين وردت أسماؤهم من قبل، أذكر منهم ما يلي:

ـ السيد عبد الوهاب الزحيكي، هو السيد عبد الوهاب بن السيد علي بن السيد سليمان الوهاب الزحيكي الحائري، كان من أهل الفضل في كربلاء، برع في الفقه، والأصول، والنحو، واللغة، والأدب، والشعر، وكانت له اليد العليا في العلوم العقلية وخاصة الرياضيات، والجفر، والرمل، والأوفاق، قرأ على الشيخ جعفر الهر، ثم على السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي، فصرّح هذا الأخير باجتهاده، وكان والده من كبار الرؤساء في كربلاء، ولبيتهم سمعة

ووجاهة، توفي سنة ١٣٢٢ هـ، عن عمْر يناهز إحدى وثلاثين سنة ودفن بجنب مرقد السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، له شعر جيّد في رثاء الحسين عليه السلام، يقرأ في المناسبات بكربلاء.

ـ السيد هاشم القزويني الذي كان من مشاهير العلماء والفقهاء في كربلاء، اهتمَّ بالتدريس ونشر العلوم الدينية، واتّصف بالورع والصلاح والفضيلة، درس في النجف على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري، ثم عاد إلى كربلاء وساهم بشكلٍ فاعل ومؤثر في الحركة التدريسية بها، ذكره صاحب «أمل الآمل» بقوله: هو عالم أصولي فقيه من تلامذة الشيخ الأنصاري والسيد محمد القزويني، وصفة العالم الرجالي الميرزا حسن النوري بالعالم الفاضل الورع التقي، كانت له رياسة ووجاهة في كربلاء، والإمامة في الجماعة في صحن مشهد أبي الفضل العباس عليه السلام، وكان معروفاً بالصلاح، والتقوى، والوثاقة في كربلاء، وهو نجل السيد محمد علي القزويني وابن عم السيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، تُوفّي في كربلاء سنة ١٣٢٧ هـ، ودُفن إلى جانب ابن عمه صاحب الضوابط.

ـ السيد الميرزا جعفر الطباطبائي، من أحفاد السيد على الطباطبائي صاحب الرياض، كان فقيهاً مُتتبعاً لفروع الفقه، ومُتبحراً بقواعد علم الأصول ورئيساً مطاعاً متبصراً بالأمور والقضايا، درسَ على والده السيد علي نقي الطباطبائي والميرزا عبد الرحيم النهاوندي وكذا خاله السيد علي الطباطبائي صاحب «البرهان القاطع» والسيد حسن الكوهكمري، كما تتلمذ على فحول العلماء والمشاهير في النجف وحاز على إجازاتٍ من كبار علماء عصره، عاد إلى كربلاء حيث تقلّد منصبَ الإفتاء والإمامة والمرجعية الدينية، تُوفّي سنة ١٣٢١ هـ، له مُصنفات فقهية وأصولية، وقد عدّها صاحبُ «أعيان الشيعة»، ومعظمُها على شكل رسائل خطية.

ـ الشيخ عباس الأخفش المتوفّى سنة ١٣٢٩ هـ، ذكره العالم النسابة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «نقباء البشر» فقال: هو الشيخ المولى عباس بن رضا بن أحمد الأبرندآبادي اليزدي الحائري الشهير بالأخفش، عالم

بارع، وأديب جليل، كان من علماء كربلاء و أئمة الجماعة الاتقياء المُوثقين، له في العلم قدم راسخة، وكان من أهل الورع والصلاح المعروفين، تلمّذَ في أوائل أمره على الفاضل المولى حسين الأردكاني، ثم على الشيخ علي اليزدي الحائري المُدرّس، وقد تقدم في علوم الأدب ولا سيما النحو نبغ في ذلك نبوغاً باهراً، حتى لُقّبَ بالأخفش وعُرِفَ به، وكان يُدرّس في سطوح الفقه و الأصول وغيرها، ولكن تدريسه في علوم الأدب أكثر و قد قلّل منه في أواخر عمره، واتجه إلى تدريس علوم الشريعة أكثر من السابق، توفي في ١٣ شهر رمضان سنة ١٣٢٩ هـ، وخلّف ولديه الجليلين الشيخ علي أكبر والشيخ محمد علي (الملقبين بسيبويه) وهما من أهلِ الفضل وأجلّاء الخطباء وأهل المنبر، وله شعر رأيتُ منه بخطه قولَه مُخمّساً لبيتٍ من قصيدة في مدح الإمام علي عليه السلام:

يا علياً علت بك العلياء وتناهىٰ في وصفك الأطراء
كل شيءٍ سوىٰ ولاك هباء كنتَ نوراً تجلّى به الظلماء
حينَ لا آدم ولا حواء

ـ الشيخ علي سيبويه الحائري المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، كان من رجال العلم والفضل شهيراً بمقدرته الأدبية والنحوية، والتصدّي لتدريس علوم اللغة العربية وخاصة علم النحو والقواعد، ولذلك لُقّب بسيبويه، وكان ورعاً تقياً خيّراً اتّسم بالنُسك، والتقى، والفضيلة، والصبر، وماتَ بلا عقب.

ـ السيد محمّد باقر الحجة الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٣١ هـ، كان عالماً مُبرّزاً كثيرَ التصانيف منها: كتاب «الزكاة»، و«الشهاب الثاقب»، ومنظومة «مصباح الظلام في أصول الدين و علم الكلام»، وكتاب «النكاح»، و«الأطعمة والأشربة»، وكتاب «الحج»، و«تكملة الدُرّة»، تقلّد الرئاسةَ الدينية في كربلاء، فكان مرجَعاً للقضاء والتدريس والفتيا، وكانت داره منتدىً للعلماء والأدباء، ورُواد الفكر والثقافة، كان من أجلّاء تلامذة الشيخ محمد حسين الأردكاني في كربلاء، والميرزا حبيب الله الرشتي في النجف، طفحت صفحات كتب التراجم والرجال بترجمة حياته العلمية والرئاسية في كربلاء،

بضمنها «أعيان الشيعة»، و«نقباءُ البشر».

ـ السيد إسماعيل الصدر، كان من مراجع التقليد والفتيا في كربلاء، وهو نجلُ السيد صدر الدين العاملي الأصفهاني، ينتهي نسبُه إلى إبراهيم المرتضى «الأصغر» ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ذكره صاحبُ «الذريعة» بقوله: تتلمذَ في الفقه على العلامة الشيخ محمد باقر الأصفهاني، وتشرّفَ إلى النجف، سنة ١٢٧١ هـ، وحجَّ البيتَ بها أيضاً ورجع فلازَم بحثَ العلامة الفقيه الأوحد الشيخ مهدي بن علي ابن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء المُتوفّى سنة ١٢٨٩ هـ، ثم اختص بالمُجدّد الشيرازي (السيد الميرزا محمد حسن) مدةَ حياته، وهاجرَ بعدَ هجرتِه إلى سامراء بقليلٍ، فكانَ في سامراء إلى سنة ١٣١٤ هـ، ثم هاجرَ إلى الحائر الشريف (كربلاء) مُروّجاً للدين، وحافظاً للعلماء، ومُساعداً للمُشتغلين، وعوناً للضعفاء والمساكين، تُوفّي سنة ١٣٣٨ هـ.

ـ السيد محمد صادق الحجة الطباطبائي، هو السيد محمد صادق بن محمد بن باقر أبي القاسم بن حسن بن السيد محمد المجاهد الطباطبائي الحائري، فقيه فاضل وعالم بارع، قرأ مقدمات العلوم واتقن علوم الأدب، وحضر على والده وسواه من العلماء في الفقه والأصول والكلام والفلسفة وغيرها حتى برع وبرز في المعقول والمنقول، وبلغ مرتبة الاجتهاد وهو حديث السن، وحضر في النجف درس المولى الشيخ محمد كاظم الخراساني، وكتب أكثرَ تقريرات دروسه في مختلف المواضيع، نبغ في النظم والنثر وبرع في عدَة علوم، توفي والده في سنة ١٣٣١ هـ، فانتقلت إليه رئاسة أبيه، ونهض بالأمر وقام بالإمامة وغيرها من الوظائف، توفي سنة ١٣٣٧ هـ عن اثنين وثلاثين عاماً تقريباً، له من المؤلفات: رسائل في الطهارة، والخمس، والوقف، والطلاق، والرضاع، وكتب ورسائل عديدة أخرى، بضمنها: كتاب الرهن، وكتاب في التقية، وتقريرات في قاعدة «لا ضرر»، إلى غير ذلك.

ـ السيد محمّد رضا القزويني، ذكره صاحب «نقباء البشر» فقال في ترجمته: هو السيد محمد رضا بن السيد هاشم الموسوي القزويني الحائري،

عالم جليل كان من علماء كربلاء، وأجلّاء أهل الفضل فيها، وكان من تلاميذ والده العلامة (السيد هاشم) والمُجازين منه ومن غيره، قامَ مقامَه بعد وفاتِه في إمامة الجماعة وغيرِها من الوظائف، إلى أن توفي في ٢٠ شعبان سنة ١٣٤٨ هـ.

ـ الشيخ علي بن محمد الشاهرودي، كان عالماً مُحققاً، وفقيهاً فحلاً، وأستاذاً بارعاً، ترأسَ الحركةَ التدريسية في كربلاء، وساهمَ في تربية جيل من العلماء والفقهاء لفترة خمس عشرة سنة، وكان مرجعاً كبيراً للتقليد والفتيا، توفي سنة ١٣٥١ هـ.

ـ الشيخ محمد سعيد الحائري، ترجمه العالم النسابة الشيخ آغا بزرك الطهراني بقوله: هو الشيخ محمد سعيد بن الشيخ محمد حسين الفارسي الحائري، عالم جليل ومُدرّس فاضل، ذكره لنا تلميذهُ الفاضل الشيخ جعفر بن الميرزا علي رضا بن محمد حسن من أحفاد الميرزا لطف علي خان تاش الرشتي، المُدرّس والمُدير في «المدرسة الهندية» بكربلاء قال: إنه كان من تلاميذ الشيخ المولىٰ محمد كاظم الخراساني في النجف فقد حضرَ بحثَه مدةً، كما كان مُجازاً من العلامة السيد ميرزا محمد علي الشهرستاني، وصارَ من المُدرّسين في كربلاء، إلى أن تُوفّي في حدود سنة ١٣٥٠ هـ.

الحركة العلمية في كربلاء بالنصف الثاني للقرن الرابع عشر:

في أعقاب وفاة العالم المجاهد والفقيه الورع الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، انتقلت الرئاسةُ والزعامةُ الدينية الأولىٰ إلى النجف الأشرف، غير أنَّ فترةَ ما بعدَ الزعيم الشيرازي امتداداً إلى آخر النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، إلَّا ما استُثني منه عقدُه الأخير، كانت في الحقيقة فترةَ ازدهار حقيقية بالنسبة للحركة العلمية، والتدريسية، والدعوة الإسلامية، والوعي الثقافي الديني في مدينة كربلاء، إذْ لمعَ في سماء العلم والفضيلة بها نجمُ العالم الكبير والفقيه التقي السيد الحاج آقا حسين القمي المُتوفّى سنة ١٣٦٦ هـ، فقد كانت حلقةُ درسه وأبحاثه بمثابة عامل جذبٍ وشدٍّ قوي

لطلاب العلم والفضيلة نحو كربلاء، كما برز وتجلّى خلال الفترة ذاتها صفوة مُنتقاةٌ من كبار العلماء والفقهاء الأصوليين، أمثال: السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي، الذي انتعشت الحركة العلمية والتبليغ الديني في عهد رئاسته العلمية والدينية بكربلاء، والذي أسهم بشكلٍ فاعلٍ ومُؤثر في تربية وتخريج جيل مُتميز من العلماء، والفقهاء، والمبلغين الإسلاميين، الذين انتشروا في أرجاء العالم الإسلامي مُروّجين للدين الحنيف ومُبلّغين لرسالته السامية ومبادئه الروحية السمحاء.

والعالم الأصولي السيد هادي الميلاني الذي أغنىٰ الحوزة العلمية في كربلاء، بدروسه وأبحاثه الموسعة في الفقه والأصول، فتخرّج عليه العشرات من الفقهاء والعلماء، لكنه هاجر فيما بعد إلى مدينة مشهد المقدسة حيث ترأس الحوزة العلمية فيها لفترة تربو على عقدين من الزمن إلى أنْ وافاه الأجلُ المحتوم سنة ١٣٩٥ هـ، وجدتُ ترجمةً لحياته في كتابٍ صدر أخيراً. فقد ترجمه م ـ جرفادقاني صاحب كتاب «أكابر علماء الشيعة من الكليني إلى الخميني» ـ فارسي ـ فقال: آية الله الميلاني المتوفى في مشهد سنة ١٣٩٥ هـ، هو الحاج السيد عبد الهادي الميلاني ابن العلامة السيد جعفر الميلاني، أحد مشايخ الفقهاء والمراجع العظام في مشهد في القرن الأخير، كان فقيهاً كاملاً، ومجتهداً أصولياً، وحكيماً عارفاً، ومتكلماً صادقاً، وعالماً جامعاً للعلوم العقلية والنقلية، ولد سنة ١٣١٣ هـ بمدينة النجف في بيت علم وسيادة، وكان والده وكذا جده السيد أحمد الميلاني من العلماء والسادة المحترمين، كما أن جدّه من أمه ـ الفاضل المامقاني ـ وخاله الحاج الشيخ عبد الله، كانا من العلماء والمراجع في عصرهما، تلقّى في عُنفوان شبابه مقدمات العلوم ودروس السطح في الفقه والأصول، وتتلمذ على السيد جعفر الأردبيلي والحاج ميرزا علي الإيرواني والشيخ أبي القاسم المامقاني والشيخ غلام علي القمي، (إلى هنا انتهى).

وقبل رئاسة هذين العالمين، وأعني بهما السيد الميرزا مهدي الشيرازي والسيد هادي الميلاني، للحركة العلمية والتدريسية في كربلاء، كانت آفاق

العلم والفضيلة بهذه المدينة المقدّسة، موهجة ومشرقة بنجوم لامعة، ومضيئة بنور العلم والمعرفة والتقىٰ والصلاح أمثال:

ـ العالم والمرجع الديني إلسيد الميرزا هادي الخراساني الحائري، أحد أساطين الفقهَ وعلم الأصول في عصره.

ـ السيد عبد الحسين الحجة الطباطبائي، كان عالماً فحلاً، انتهت إليه رئاسة شؤون الفتيا والقضاء الإسلامي وزعامة بيت الحجة الطباطبائي في كربلاء.

ـ الشيخ علي أكبر الحائري، عالم محقق وفاضل نابه، ترجمه صاحب «نقباء البشر» فقال: هو الشيخ علي أكبر بن المولى عباس الشهير بسيبويه بن محمد رضا اليزدي الحائري، فاضل متتبع، وباحث بارع، كان من أهل الفضل النابهين في كربلاء ومن أهل المعرفة والكمال والاطلاع، ولع بالتأليف فأنتج عدة آثار مفيدة للخطباء وأهل المنبر منها: «مفجع القلوب»، و«مقرح الأكباد»، و«نخبة الحكم»، و«تحفة المتقين»، و«مطلوب الطالبين»، و«غاية المطلوب»، و«جمال الواعظين»، و«مصباح المُصلّين»، و«القمر المنير في قضية الغدير»، ومجاميع أخرى مختصرة، توفي يوم الخميس ثالث جمادي الأولى سنة ١٣٦٣هـ، وكانت ولادته في سنة ١٢٩١هـ كما حدثّني رحمه الله، وهو أكبر من أخيه العلامة المعاصر الشيخ محمد علي (سيَبويه) المُدرِّس والمقيم للجماعة في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام.

ـ الشيخ الميرزا يحيى زرندي، كأن من علماء كربلاء الأجلاء، حظي بمكانة علمية مرموقة تُبجلّه الأوساط العلمية والحوزوية الدينية، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، تقياً، اشتغل بالتدريس في حوزة كربلاء لسنين طويلة، وكان يقيم الجماعة في مسجد الترك، توفي فجأة قبل سنة ١٣٦٥ هـ، ودفن في رواق الحضرة الحسينية المقدسة.

كما لمعَ فيما بعد، نجمُ العالم المُحقّق، والفقيه المجتهد، الشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي، الذي اشتهرت حلقةُ درسه وأبحاثه الأصولية

والفقهية، لكونها ضمّت نخبةً من أفاضل وأجلّاء طلاب العلوم الدينية، الذين برزوا بدورهم على الساحة العلمية في كربلاء فيما بعد، وكان من أهم دعامات وركائز الحوزة العلمية، وقد افتقدته الساحة العلمية بكربلاء حينما اضطر إلى مغادرتها والهجرة إلى مدينة مشهد المقدسة بحدود سنة ١٣٩٠ هـ، وقد تُوفي بهذه المدينة سنة ١٣٩٧ هـ.

كما برزَ على ساحة العلم والفضيلة بكربلاء، خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر:

ـ العلامة والفيلسوف الإسلامي المُحقّق الشيخ محمد رضا الأصفهاني الذي كان بحق مفخرةً علميةً، فقد اشتهر بغزارة علمه، وسعة اطلاعه، وأحاطته وإلمامِه بالمدارس الفلسفية الإشراقية منها وغير الإشراقية، إلى جانب تحلّيه بأسمىٰ السجايا والفضائل الإنسانية، نالَ صيتاً ذائعاً في البلدان الإسلامية، وكان كبارُ علماء المسلمين من سائر البلدان يقصدونَه في كربلاء لمعرفة آراءه الإسلامية ونظرياته الفلسفية، والتباحث معه بشكل جدلي متعمّق وموضوعي حولَ بعض أوجه الخلاف بين المذاهب الإسلامية، وقد أسهم بدوره في إغناء الحوزة العلمية بكربلاء و تربية جيلٍ من العلماء المُتفقهين، تُوفّي ودُفن في كربلاء سنة ١٣٩٣ هـ، وكذا:

ـ السيد أسد الله الأصفهاني، عالم مجتهدٌ، اشتغل بالتدريس في كربلاء لفترةٍ طويلة، تتلمّذ على الشيخ علي الشاهرودي وحصلَ على إجازته منه، اتسم بالزهد والتقوى والورع والتهجد، له رسالة عملية لمُقلّديه، هاجر إلى مدينة آبادان في جنوب إيران بطلبٍ من أهاليها حيث تولىٰ شؤون الفتيا وإمامة الجماعة، إلى حين وافاه الأجلُ سنة ١٣٩٢ هـ.

ـ العلامة المفضال آية الله الحاج الشيخ محمد الشاهرودي الحائري، عالم مُتبحّر، وفقيه مُحقق، وأستاذ بارع، تفرغ للتدريس والتحقيق في حوزة كربلاء العلمية، لفترة تُناهز نصفَ قرن، وكانت حلقة دروسه وتقريراته الفقهية والأصولية من أهم الحلقات التدريسية في حينه خُصوصاً عندما شرع بإلقاء درس الخارج، تخرّج عليه العشرات من الطلاب في دروس السطح و درس

الخارج ممّن أصبحوا فيما بعد علماء وفضلاء أجلّاء في مُدنهم وبلدانهم، وكان يُقيم الجماعة في صحن الروضة الحسينية المقدسة لأكثر من ثلاثين عاماً، هاجر كربلاء بحدود سنة ١٣٩٢ هـ، وقدم إلى إيران واستقر في مدينة طهران تُوفي صبيحةَ يوم الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٩ هـ، ودفن في روضة سيدنا الشاه عبد العظيم الحسني، بمدينة ريّ القريبة من طهران، وقد أرخَ وفاتَه الشاعر والخطيب النجفي الشيخ محمد باقر الإيرواني في قصيدةٍ منها هذه الأبيات:

وبفقهِ أهلِ البيت أفنى عمَره ... وهو الوفّي بعهده المعهود
وبقلبهِ حُبَّ الولاية ثابتٌ ... وهو السعيدُ بطاعة المعبود
وإذا فقدنا شخصَه فمثالُه ... وسطَ القلوب وليس بالمفقود
صوتُ الوِلا والعلم قال مُؤرخاً: ... «بالخُلد فوزُ محمد الشاهرودي»
-١٤٠٩-

ـ العلامة الكبير آية الله العظمي السيد محمد الحسيني الشيرازي، خلَّف والدَه المرجع الديني الكبير السيد الميرزا مهدي الشيرازي في شؤون الفتيا والإمامة، والتدريس بحوزة كربلاء مُهتماً بشؤون التوعية الإسلامية والتبليغ الديني و تشجيع حركة التأليف و النشر لحين مغادرته العراق في سنة ١٣٩١ هـ.

الشيخ محمد حسين المازندراني الحائري، فقيه فهوم، ومدرس قدير، اشتغل بالتدريس والتحقيق في حوزة كربلاء لفترة طويلة، مُخلِّفاً والدَه المرحوم الشيخ علي المازندراني الحائري الذي كان من أجلاء العلماء والفقهاء في كربلاء، وهو الآن نزيل مدينة قم المقدسة حيث ينشط في مجال التدريس والتحقيق بحوزتها الدينية.

وهناك وجوهٌ علمية كثيرة أخرى، برزت وتجلّت على ساحة العلم والفضيلة في كربلاء، وبالأخص في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وأسهم كلٌ منها في دفع عجلة العلم والمعرفة إلى الأمام بهذه المدينة المقدسة، وفي إثراء ودعم التراث الفقهي الأمامي، سوف نتطرق لبعضها الآخر فيَ أبحاثنا القادمة بإذن الله.

الفصل الثاني

تاريخ الحوزة العلميّة في كربلاء

قبل الحديث عن تاريخ تكوين الحوزة العلمية العريقة في كربلاء، والتطورات المتلاحقة التي شهدتها في حِقب زمنية مختلفة، من المُستحسن بنا أن نتفهّم جيداً في البداية بعض المفردات والمصطلحات الشائعة والرائجة كثيراً في الأوساط العلمية الدينية، والتي بمدلولاتِها التفصيلية والدقيقة مفهومة، وواضحة تماماً لكل عالم ديني أو طالب العلوم الدينية، لكنها قد لا تكون واضحة المعنى على الوجه الأكمل بالنسبة لأفراد كثيرين ممن لا تربطهم صلة مباشرة بالمحافل والجهات العلمية الدينية، ومن بين هذه المفردات والمصطلحات، الحوزة العلمية بالذات، والتي كثيراً ما تتردّد على أفواه الناس، وكذا الاجتهاد، والشخص المجتهد، ومبدأ التقليد، وغيرها.

ماذا تعني الحوزة العلمية؟

إنَّ مُسمى الحوزة، هو أوسع بكثيرٍ من مُسمى الجامعة أو المعهد العلمي، أو أية مؤسسة تعليمية أو علمية، فالحوزة العلمية هي عبارة عن مجموعة من المدارس، وفصول الدرس، وحلقات البحث والمُناقشة والتي تُقام وتُنتظم عادةً في الجوامع، والمساجد، والأماكن المُقدّسة، والزوايا الدينية، والمدارس العلمية أو في بيوت العلماء والأساتذة أنفسهم، وبعبارةٍ أخرى، يمكن أن يُصبح أيُ مكانٍ في ذات المدينة التي تُوجد فيها حوزة

علمية، مدْرساً يتجمّع فيه العشرات والمئات من الطلاب والأساتذة، بهدف إلقاء درس، أو مُحاضرة، أو مُباحثة علمية (النقاش الجدلي العلمي)، وليست هناك من ضوابط مُحدّدة، أو لوائح منهاجية تُقيّد الطالبَ أو الأستاذ بمكان، أو زمان أو تصرّف مُعيّن، بدليل أن الدارسَ شخصٌ هاوي مُندفع من تلقاء نفسه لتلقى العلوم الدينية، كما أن المُدِّرس نفسَه هاوي أيضاً، فهو راغب ومُتحمّس لتعليم وتثقيف عددٍ من الطُلاّب، لأنه غير مأجور أو مُوظّف مفروض عليه إلقاء الدرس لواجب إداري أو وظيفي.

صحيح أنَّ هناك واجباً يمتثل له الطالبُ والأستاذ معاً، وهو واجبُ تلقى العلوم الإلهية من جهةٍ، وواجب تربية جيل من العلماء الدينيين من جهةٍ أخرى، بيد أنَّ لهذا الواجب حوافزَ روحية تتفاعل في باطن الشخص، إذ أنَّ العلوم الحديثة التي يندفع لتعلّمها وتلقيها الطالبُ في عصرنا الراهن لها جاذبٌ مادي مُغْري، حيثُ أن طالبها سوفَ يُصبح على سبيل المثال طبيباً، أو مهندساً، أو تقنياً، أو خبيراً في الإدارة والمحاسبات وغيرها، لكي يعيشَ بعد ذلك عيشةً مريحة، وليحظى بموقع اجتماعي مُتميز، وليحصل على الأموال الطائلة، غير أن طالب العلوم الدينية، تنتفي عنده مثلُ هذه الحوافز والمُغريات المادية، فهو مندفعٌ بحافز روحي ورغبة نفسية لتلقّي هذه العلوم، ليكون بعد ذلك في خدمة الناس المؤمنين ولتدبير قضاياهم الروحية، وتسيير شؤونهم الدينية، وليعيشَ في ذات الوقت على الكفاف، زاهداً بمباهج الدنيا، ومُبتعداً عن زيناتها وبريقها، حتى يُصبح القدوةَ والأُمثولة، وليضربَ من نفسِه المثلَ الحميد، فيقتدي به الناسُ ويحذووا حذوَه، وفي غير ذلك يفقد مصداقيته بوصفه رجلَ دينٍ وحاملَ قيمِ السماء.

وفي الحقيقة أن رجلَ الدين الحقيقي، هو كالطبيب يُداوي الناسَ رُوحياً فيُرشدهم ويَهديهم إلى ما يُهدِّىء من روعهم، وما يمنحهم السكنيةَ والرضا، وما فيه خيرُهم وصلاحهم، ليس في هذه الدنيا التي نعيشها فحسب، بل وفي الدنيا الآخرة كذلك، فطبيبُ الأمراض يجعل جسدَ الإنسان مُعافى من غارات الجراثيم والفيروسات، لكن عالم الدين يجعل روحَ الإنسان مُعافى من هجمة

الآثام والمُوبِقات، وهكذا إذا انتظمت الروحُ، انتظم الجسمُ معها.

إذنْ فالحوزةُ العلمية مُسمّى مُطاطي يمكن أن يمتد فتصبح المدينةُ التي توجدُ فيها مدْرساً بأرجاءها المختلفة و المُتمثلة ببيتٍ، أو جامعٍ ، أو مسجد، أو مكان مقدّس، أو أرض فضاء، أو قاعة عامة أو خاصة، أو مقبرة، أو حسينية، أو زاوية دينية، إلى جانب المدارس الدينية ذاتها، أو أن ينكمش هذا المُسمّى فيتحدد بمدرسةٍ واحدةٍ، أو حسينية، أو جامع واحد، على سبيل المثال، فتُصبح هي وحدَها دون غيرها الحوزة العلمية في تلك المدينة المُعينة.

وهنا يبرزُ دورُ الأفراد و مكانة الأستاذ أو المرجع الديني، فإذا ما لمع في سماء العلم والفكر بمدينةٍ ما نجمُ مرجعٍ ديني كبير، أو أستاذ بارع مُتبحرّ وفهّام في العلوم الدينية، تتوسع وتقوى الحوزة العلمية تبعاً له، ويدبُّ النشاطَ والحركة في أوصالها، وتتعـدّدُ حلقاتُ الـدرس، وتتنوّع مجـالسُ البحث والمناقشة الإستدلالية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أنه عندما نقل المرحوم العالم الكبير، والفقيه المُجدّد، والزعيم الديني الأوحد السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي صاحب فتوى حُرمة تدخين التبغ في إيران، حلقةَ درسه ومقر زعامته الدينية من النجف إلى مدينة سامراء لأسبابٍ خاصة، رأى فيها الصلاحَ والفلاحِ، أصبحت الحوزةُ العلمية في هذه المدينة تحظى بأهمية كبيرة جداً، إذ باتَ لها عاملُ جذبٍ قوي لكثير من العلماء والطُلاب المُبتدئين والمُنتهين، الذين توجّهوا نحوَها من كلّ حدبٍ وصوب، فتعددت وتنوعت بهم حلقاتُ الدرس و البحث حتى أصبحت سامراء كتلةً من النشاط، والحركة، والحيوية على صعيد العلم و الفضيلة، واحتفظت بقوةِ هذا الاندفاع العلمي لفترةِ عقدٍ أو عقدين، حتى بعد وفاة المجدد الشيرازي الكبير رحمه الله سنة ١٣١٢ هـ.

وإلى جانب ذلك، فإن نطاق مرجعية العلماء له تأثيره الكمي والكيفي في تطوير الحركة العلمية والتدريسية داخلَ حوزةٍ ما، وكلّما توسّـع هذا النطاق كلما انتعشت الحركة العلمية بالنسبة ذاتها، ففي عهد المرحوم السيد

أبو الحسن الأصفهاني مرّت الحوزةُ العلمية في النجف بمرحلةِ الذورة، نظراً لأن النجف كانت قد تحولت إلى مركز إسلامي دولي يشد انتباهَ الجميع في العالم، كما أن الحوزة العلمية في مدينة قم، لم تزدهر على نطاق واسع، إلاّ على عهد المرحوم السيد البروجردي رحمه الله.

ثم أن الحوزة العلمية في كربلاء، مرّت خلال القرنين الهجريين الاخيرين، بثلاث مراحل الذورة من النشاط العلمي والتدريسي، كان أولاها: في عهد المُربّي العظيم، والفقيه الفحل، الآغا الوحيد البهبهاني، والثانية: في عهد الزعيم الروحي المجاهد ، الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، والثالثة: في عهد الزعامة الدينية للعالم الورع، السيد ميرزا مهدي الشيرازي الحسيني الذي كان امتداداً لعهد السيد القمي.

وهذا يعني أن ظهور الشخصيات العلمية الكبيرة في حوزةٍ ما، له تأثيره المباشر في توسيع وتطوير هذه الحوزة، وبغياب مثل هذه الشخصيات تنكمش الحوزة على نفسها بشكل أو بآخر.

ولكن ما هي نوعية الأفراد المُتخرّجين من الحوزات العلمية؟ إذ أننا نعرفُ أن الجامعات والمعاهد العلمية الحديثة، تُخرّج سنوياً أفواجاً من الأطباء، والمُهندسين، والتقنيين، والإداريين، والأدباء، والفنّيين، والكوادر التي يحتاج لها المجتمعُ البشري في حركتهِ الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتقنية، ولكن ما هو نتاجُ الحوزات العلمية؟ الجواب على ذلك، هو أن العلماء المُجتهدين هم هذا النتاج، ولكن من هو العالِم المُجتهد؟ وما هي ضرورةُ الاجتهاد؟

* * *

الاجتهاد:

إن معنى الاجتهاد هو أوسع من معنى الإبداع، و كما أن قوة الإبداع لا تتأتى بالجدّ والكدح وحدهما، لكونها قوةً ذاتية غير مُكتسَبة، فإن الاجتهاد

أيضاً هو موهبة ربانيّة، ومكرمة قُدسية، ومرحلة من مراحل الإلهام، لا ينالها إلّا ذو حظٍ عظيم، وقد وردَ في الحديث: «إن العلم ليس بكثرة التعلّم، وإنّما هو نورٌ يقذفه الله في قلبِ من يشاء».

إذنْ الاجتهاد هو في الحقيقة، تلك القوة الخارقة التي يتمكن بها العالم المُجتهد من فهم حقائق وظرائف الأحكام الشرعية فهماً دقيقاً ومُتعمقاً، بحيث تتسنّى له المقدرةُ الكاملة على إرجاع فروع الفقه إلى أصوله التي تتفرّع عنها، واستنباط الأحكام الشرعية في الأحداث الكبيرة والصغيرة.

و بعبارةٍ أخرى تمرسّ الشخص العالم الفقيه في معرفة وفهم أصول وفروع الفقه، والإحاطة الشاملة بها، والإلمام بتفاصيلها، وما يرتبط منها بهذا الحديث أو ذاك، وبهذه الرواية أو تلك، إلى الحدّ الذي تتوفّر له معه ملكةُ (السليقة) الربط و الخلط بينها ربطاً عقلياً وشرعياً بما يُؤدّي إلى استنباط الأحكام الشرعية في القضايا والمسائل الطارئة.

وقد أوصى الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بالسعي المُتواصل والجهد الدؤوب، والترويض المستمر، لنيل هذه الغاية المتسامية، داعين لطالبيها والساعين إليها الهداية، والتوفيق، والصلاح من الباري سبحانه وتعالى.

وهذا يعني أن الاجتهاد بالرغم من أنه قوة ذاتية، لا يتمُّ تحصيلها بالجد والكدح وحدهما، فإنه يمكن التوفر عليه بالسعي المُتواصل الدؤوب، والعمل الجاد المخلص على تهذيب النفس وتصفيتها من شوائب الأكدار والأقذار، وتنقية الجوهر، وتطهير القلب، عَبْرَ الالتزام القوي بأوامر الله ونواهيه، والابتعاد عن ملذات الدنيا، وكبح هوى النفس، إلى جانب التفقّه المُستمر والمُتعمّق في العلم والفضيلة.

وحينما يصلِ الإنسان إلى هذه المرتبة من علو النفس وغزارة العلم، فإنه سيصبح مؤهلاً وجديراً بأن يمنّ عليه الله بتلك القوة الخارقة المتمثلة في ملكة الاجتهاد، وبذلك يمكن أن يكون مجتهداً مُقلَّداً، بفتح اللام، يأخذ عنه الناسُ العاديون أحكامهم الشرعية بحسب اجتهاده.

شروط المجتهد المُقلَّد:

من أجل تمييز المجتهد الحقيقي من مُدّعي الاجتهاد، تُوجد قواعد ثابتة ومُحدّدة، إذْ من الواجب في الشخص العالِم بعدَ أن يكون الله سبحانه وتعالى قد منحَه تلك القوة الخارقة الآنفة الذكر، أن تتوفر فيه شروطٌ ضرورية، حتى يكونِ جديراً ومؤهلاً للاجتهاد، ومُقلَّداً من جانب الآخرين، وأهم هذه الشروط هي كما يلي:

١ ـ أن يكون ذا ذوقٍ سليم يُمكنّه من معرفة مضامين و دلالات الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة والأخبار المنقولة عن الأئمة (عليهم السلام)، وهذا ما يُعرف عند العلماء بالمَلَكة أو السليقة المُستقيمة، وهي لا تحصل بالكسب وحده وإنما تنبعُ من الطبع أيضاً.

٢ ـ أن يكون عادلاً، والعدالةُ هنا تعني القيام بالفرائض الدينية، وترك المحرمات، والانصراف عن مباهج الدنيا، وتجنب لذاتها المحرمة، وكذا صون النفس أمام شهواتها، ورغباتها، وميولها، ونزواتها، وبهذا الخصوص فقد وردَ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله: «أمّا مَنْ كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مُخالفاً لهواه مُطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يُقلِدوّه.

٣ ـ أن يكون مُتحلّياً بالعقل السليم.

٤ ـ وبالذكورة.

٥ ـ والإيمان.

٦ ـ وطهارة المولد (وهذا الشرط إجماعيٌ بين العلماء).

٧ ـ أن يكون أعلم الموجودين وأفضلهم (على المشهور) أما إذا تساوى مُجتهدان في العلم، تخيرّ بينهما إلاّ إذا كان أحدُهما أعْدل أو أكثر ورعاً فالأولى تقليدُه.

٨ ـ أن يكون عالماً مُلمّاً بتفسير القرآن الكريم، إذ أن من مُستلزمات العالم المجتهد الذي رُجعت إليه مقاليدُ الأمور، ودانت له البلادُ والعباد،

وأُسندت إليه الرئاسةُ العامة و نيابةُ الإمام الغائب، أن يأمرَ و ينهى، ويحكم بالقسط والعدل، فالمفتي يحتاج بالضرورة إلى تفهم ومعرفة حقائق القرآن والسُنة، ومواطن الإشارات، والاجماع والاختلاف، والإحاطة بالأصول التي اجتمعوا عليها أو ما اختلفوا حولَه، وإلى حُسن الاختيار والتصرف السليم والتحلّي بالحكمة والتقوى.

وقد جاءَ في الأخبار أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قال لقاضٍ: هل تعرف الناسخَ والمنسوخ؟ قال: لا، قال عليه السلام: فهل أشرفتَ على مُراد الله عز وجلّ في أمثالِ القرآن؟ قال: لا، قال عليه السلام: إذنْ هلكت وأهلكت.

هذا هو العالم المجتهد عند الشيعة الإمامية، إنه نائب للإمام والمرجع العام، وبنظرةٍ على تاريخ الشيعة من بعد غيبة الإمام الثاني عشر «المهدي المنتظر» عليه السلام إلى وقتنا هذا، يتبيّن لنا بوضوح أن الشيعة قد دُرجوا على هذا الطريق، فقدْ هَيّأ الله تعالى لهمْ مراجع للتقليد يستقون منهم أحكامهم ويعرفون بواسطتهم حلالَهم وحرامَهم، ولكن ما هي ضرورة التقليد؟

التقليد عند الإمامية:

قال الله العلي القدير في كتابه الكريم: ﴿**فاسئلوا أهلَ الذكر إن كنتمُ لا تعلمون**﴾، وقال سبحانَه: ﴿**فلولا نفرٌ من كلّ فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون**﴾.

وقال الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «الفقهاء أمناء الرسُل ما لم يدخلوا في الدنيا»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ماتَ وليس له إمام مات ميتة جاهلية»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدول، ينفون عنه تحريف الجاهلين، وانتحال المُبطلين وتأويل الغالين».

ورُوي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مجاري الأمور و الأحكام على يد العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه».

وجاء في كتاب الكافي، عن أحمد بن إسحاق القمي أنه قال: سألتُ

أبـا الحسن الإمام الهادي عليه السلام وقلتُ له: من أعـامِـلْ، وعن من آخـذُ، وقولَ من أقبلُ؟ قال عليه السلام: العَمْري[1] ثقة، فما أدّىٰ إليك فعنّا يُؤدي، وما قال لك فعنّا يقول، فاسمعْ له وأطعْ فإنه الثقة المأمون.

وقال الصادق عليه السلام: «ولايةُ أهل العدل الذين أمرَ الله بولايتهم وتوليتهم وقبولها والعمل لهم، فرضٌ من الله وطاعتهم واجبة، ولا يحل لمن امروه بالعمل لهم أن يتخلف عن أمرهم».

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «انظروا إلى من كان منكم قد روىٰ حديثنا، ونَظَر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فارضوا به حاكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكم فلم يقبل منه، فإنه بحكم الله أستخف وعلينا ردَّ والرّادُ علينا كافر رادٌّ على الله وهو على حد من أشرك بالله».

وقال الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام: «... ويقال للفقيـه يوم القيامة، يا أيّها الكافل لايتام آل محمد (عليهم السلام) الهادي لضعفاء فحبَّهُم ومواليهم، قفْ حتى تشفع لمن أخذ عنك أو تعلّم منك، فيقفُ ويدخل الجنةَ معه فئاما وفئاما وفئاما... (حتى قالها عشراً)، وهم الـذين أخذوا عنـه علومَه....» الخ.

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: حدثّني أبي عن آبائه (عليهم السـلام) قـال: «أشد من يتم اليتيم الـذي انقطع عن أبيه، يتمُ يتيم انقطع عن أمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري حكمَه فيما يُبتلىٰ به من شرايع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المُنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه بشريعتنا كان معنا في الرّفيق الأعلىٰ».

وقال الحجة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: «وأما الحـوادث الواقعـة فارجعوا فيها إلى رُواة احاديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله».

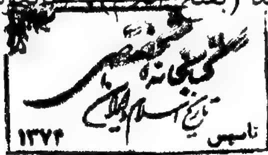
---

(١) العمري ـ أبو عمرو بن سعيد الأسدي، النائب الأول للإمام الغائب.

مما تقدم يتوضّح بجلاء أن المسلمين في الالتزام بشرعة دينهم الحنيف، عليهم أن يعرفوا حكم الله في الحالات الطارئة التي لم يرد بشأنها حكمٌ شرعي مُحدّد، ونظراً لأن هذه المعرفة لا تتأتىٰ لعامة الناس، لذا يجب عليهم أن يقبلوا بالحكم الذي يُصدره الفقيه المُجتهد الذي قلنا عنه سلفاً، أنَّ له المقدرة التامة على ربط فروع الفقه بأصوله عن وعي وبصيرة ودرايه، ومن ثم استنتاج الأحكام الشرعية منها بما يتصل بالحالات المُستجَّدة التي تحتاج بالضرورة لحكم شرعي محُدّد.

وبناءاً عليه فالعالم المجتهد يُصبح المرجعَ الذي يُصدر الأحكام الشرعية، فهو مُطَاع في حكمه، بينما الشخص الذي يأخذ منه الأحكام مُطيع له، أو أنه تابع والمجتهد متبوع، ونظراً لأن المجتهد متبوع في تصرفاته فهو مقلَّد (بفتح اللام)، وأما الشخص الذي يتبعه في تصرفاته فهو مُقلِّد (بكسر اللام) إذن فالتقليد معناه اللغوي هو التشبه والتشبيه، أي أن يعمل شخصٌ بما يشبه عمل شخصٍ آخر.

وطبيعي أن الشخص المجتهد يتصرف في مسلكه الديني والشرعي بوحي من اجتهاداته، لأنه قد وصل في استنباطه للأحكام الشرعية إلى مرحلة القناعة التامة، أو اليقين الحقيقي أو التنزيلي، باستثناء المسائل الشرعية الاحتياطية، ومن هنا فهو أولُ من يُطبّق هذه الاستنباطات أو بالاحرىٰ الاجتهادات، وعندما يُتابعه الناس فيها يُصبحون مُقلِّدين له، أيْ أنهم يتصرفون بما يشبه تماماً تصرف المجتهد، فهو أذن مُقلَّد (بفتح اللام)، ومتابعوه مقلِّدون (بكسر اللام).



دراسة أخرىٰ في مسألة التقليد:

لقد فرضَ الله سبحانه وتعالى لكل شيءٍ حُكماً تتوجّب على كل فردٍ من الأفراد معرفتُه، ثم أن هذه المعرفة لا تتيسُّر ما لم يكن هناك ترابطٌ بين الربّ وخلقه، ومن هنا بعثَ عزّ وجلَّ الانبياءَ والرُسُلَ، الذين نهضوا في العباد هادين ومُبشّرين ومُبلِّغين أوامرَ الله لعباده، وسعوا لنشر القسط والعدل بين الناس،

حتى أخرجوهم من الظُلمات إلى النور.

وكان آخرُ وخاتمُ هؤلاء الانبياء والرُسُل هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي بلَّغ رسالةَ ربّه على أكمل وجه، ولم يَرحل عن هذه الدنيا إلاّ وقد أدى آخرَ فرضٍ من فُروض شرعتهِ، بأن أكملَ الدينَ للناس واتم لهم النعمة، إذْ خلّف فيهم ما أن تمسّكُوا بـه لن يضلُوا أبـداً: كتـابَ الله وعتـرتَـه أهـلَ بيتهِ (عليهم السلام)، فكتابُ الله طافحٌ بالأوامر والنواهي، والإرشـادات، والعبادات، والمعاملات، وهؤلاء العترةُ مُعبِّرون ومُفسِّرون وشارحون له، أي لكتاب الله، فكانَ الناسُ بعدَ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يرجعون إليهم ويأخذون عنهم، إمّا بالحضور إليهم والسماع منهم بصورةٍ مُباشرة ووجهاً لوجه، أوعن طريق وكلائِهم ونُوابهم بصورةٍ غير مباشرة، وكانا أمورُ الناس جاريةً على هذا المنوال، إلى أن جاء دورُ الإمام الثاني عشر «المهدي المنتظر» عليه السلام فحصلت غيبتُه الصُغرى عن أنظار الناس بإرادةِ الله جلَّ وتعالى، وفي هذه المرحلة أيضاً، ظلّت الأمورُ مستقرةً وجاريةً بطريق السفارة بينه وبين شيعته، إذ كانت البلاغاتُ والتعليمات والأوامر تصدر عنه إلى نوابه الأربعة، الذين تعاقبوا على السفارة والوكالة واحداً بعد الآخر، وهم:

أولاً: الشيخ الجليل والعالم الثقة أبو عمرو عثمان بن سعيد العَمْري (بفتح العين) ويقال له الأسدي لأنه من بني أسد، والعسكري لأنه من عسكر سامراء، أختاره الإمامُ العاشر «الهادي» عليه السلام ومن ثم ابنُه الإمـام الحسن العسكـري عليه السلام وكيـلاً على الشيعـة، وهـو الـذي حضـرَ غســلَ الإمـام العسكري عليه السلام وتولى تكفينه، وتحنيطه، ودفنه، وكانا البلاغاتُ الموقعة من جانب الإمام المنتظر عليه السلام تخرج على يديه إلى شيعته ومواليه.

ثانياً: أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد، أي أنه نجل السفير الأول، قام بأمر الشيعة مقامَ أبيه بنصٍ منه قُبيل وفاته وبتوقيع من الإمام المُنتظر عليه السلام الخارج إليه بعد وفاة أبيه.

ثالثاً: أبو القاسم الحسين بن روح ابن أبي بُختر النوبختي، الذي نهضَ

هو الآخر بأمر الشيعة بوصية أبي جعفر الأنف الذكر، وقد خرجت على يده تواقيعُ كثيرة من جانب الإمام المنتظر عليه السلام، وكان جليل القدر مُبجّلاً عند العامة كما هو عند الخاصة.

رابعاً: أبو الحسن علي بن محمد السيمري، الذي قام بالأمر بوصية أبي القاسم المُتقدّم الذكر، وقبل أن يتوفّى الأخيرُ ويَلقَىٰ وَجَهَ ربّهِ، أخرجَ للناسِ نصاً موقعاً من جانب الإمام المنتظر عليه السلام جاءَ فيه: «بسم الله الرحمان الرحيم، يا علي ابن محمد السيمري عَظّم الله أجر أخوانك فيك، فإنك ميتٌ ما بينَك وبينهم غيرُ ستة أيام، فاجمع أمرك ولا تُوصي إلى أحدٍ يقومُ مقامكَ بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبةُ التامة، ولا ظهور إلاّ بعد أذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وأمتلاء الأرض جوراً. . . .» إلى آخره، وكانت وفاته سنة ٣٢٩ هـ.

وكان هؤلاء النواب والوكلاء، كلٌ في عهده، يقومون بتسيير أمور الناس ويعدلون الزيغ، ويلمّون اُلشعث، ويُرشدون للتي هي أقوم، حتى حصلت الغيبةُ الكبرىٰ وأنقطعت السفارةُ ووقعت الحِيرةُ.

وفي هذه الحالة، كان يتعين على الناس أن يراجعوا بأنفسهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه، ليتفهموا بأنفسهم أحكامَهم ويعرفوا حلالهم وحرامهم، وفي هذا صعوبة و ارتباك، وحيرة، وجهالة، وتخبّط، إذ أن الشارع المقدس قد صرَّح بالأحكام الكليةّ، ولم يُصرّح بالجزئية منها، علاوةً على أن المُصرّح منها عام، وخاص، ومُجمل، ومقيّد، ثم أن الصحابة الذين تناقلوا الأحاديث لم يكونوا متساوين في آلأذواق، وفي تفهم أسرار الأحكام ودقائقها، فقد اختلفوا في تأدية بعض ألفاظِها الأمرُ الذي سَبّب عرقلةٍ وصعوبةٍ في التطابق بينها، فتبدو في الظاهر مُتعارِضةً حتى وإن كانت موُافقة في واقع الأمر، أضفْ إلى ذلك تباعد العهد وطول الزمن، فلم يعد من السهل والميسور على كل فرد أن يتفهم القرآن ويُميز بين ناسخه ومنسوخه، وبين مُحكمه ومتشابهه، ومُجمله ومُبينه، ومُطلقه ومقيّده، ولا من السُنة حقيقتها ومجازها، واستعارتها وكنايتها، ولا من الأحكام واجبها وحرامها، ومكروهها ومباحها، إذ ليست

القضية سهلة ومبسطة بل أنها مرتبطة بعبـادات، ومعامـلات، وطهارات، ونجاسات، وأحكام أحياء وأموات، وصوم وصلاة، وخمس وزكاة، وأرباح وتجارات، وقصاص وديات، وخلع ومباراة، وغيرها مما يصعبُ على كل فرد فهمها، والتوصل إلى أسرارها، والمغزىٰ الكامن فيها.

وإلى جانب ذلك، هناك الكثير من الأفراد الذين دخلوا في زمرة الرُواة والمُحدّثين، ممن لم يتورعوا عن الدس والتسميم والتلفيق، وهكذا وُضعت ودُوّنت أحاديثٌ وروايات مُلفقة ومدسوسة، وجرىٰ في بعضها مزجُ الرأي بالرواية، ثم أن في رجال الحديث من هم ثقة وموثق، وحسن وأحسن، وضعيف، ومعلوم ومجهول، وصحيح ومستقيم، ممّا يطلب فرزها إلى جُهد كبير جداً، وتكريس سنوات طويلة من العمر.

ومن هنا، كان يتعيّن على الناس أن ينقسموا إلى فئتين، فئة كبيرة وعامة تنصرف إلى الكسب، والمَعاش، وتنظيم شؤون الحياة المادية، وفئة أخرىٰ تختصّ بتحصيل العلوم الدينية، وصولاً إلى مرحلة الاجتهاد والفتيا، وفي هذه الحالة تستقي الفئةُ الأولى، أصولَ دينها وأمورَ آخرتها وزادَ تقواها وسبيلَ فلاحها وصلاحها من الفئة الثانية، ونعني بها فئةَ العلماء المُجتهدين، الذين هم جديرون بتفقّد الفئةِ الأولى، والسهر على مصلحتها، وما يُؤمّن راحتَها النفسية، ويُهدّيء من روعها ويمنحها السكينةَ والرضا، لأن الفرَد المجتهد له الصلاحية في ردع المُعاند وتأديب الجاني والأنتصار للمغلوب على أمره ومنع القوي عن التطاول على الضعيف، وزجر الظالم والأنصاف للمظلوم، وبتواجدِ هؤلاء على الساحةِ الاجتماعية يكثرُ الصلاحُ ويقلّ الفسادُ ويأمنُ العبادُ، لأنهم في الحقيقة نوابُ الإمام عليه السلام والإمام هو وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فذلك الشخصُ هو المُقلَّد (بفتح اللام)، وسائرُ أفراد الأمة بالنسبة له مقلِّدين (بكسر اللام).

كُبار علماء الشيعة على مرّ العصور:

بعد وفاة آخر نائبٍ مُباشر للإمام المهدي المُنتظر عليه السلام من نُوابه الأربعة،

الذين ذُكرت أسماؤهم من قبل، وأعني به السُيمري (رحمه الله) في سنة ٣٢٩ هـ، وانقطاع السفارة بين الإمام الغائب وشيعته ومواليه، لزم الأمر الرجوع إلى العلماء المُجتهدين العادلين لأخذ الفتاوي منهم ، أو بالأحرىٰ تقليدهم في اجتهاداتِهم الشرعية، وذلك حسبما شرحتُه آنفاً، وقد هيّأ الله سبحانَه وتعالىٰ للمسلمين الشيعة، مُجتهدين ثُقاة ومُحدِّثين ثُقاة، تبوأوا على مرّ العصور منذُ وفاةِ السيمري وحتى يومنا هذا، مكانةَ الزعامة الروحية والرئاسة الدينية، نذكرُ فيما يلي أسماءَ مشايخهم ومن هم أكثر علماً وفضلاً وشهرة وعطاءاً رُوحياً: -

- ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق «الكليني» صاحب «الكافي» المتوفى سنة ٣٢٩هـ، والمدفون ببغداد.
- رئيس المُحدّثين الحجة، الثقة الشيخ «الصدوق»، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، وقبره بمدينة الرِي.
- رئيس الملّة أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، المتوفى سنة ٤١٣ هـ، وقبرُه في الكاظمية.
- ذو المجدين علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (الشريف المُرتضى)، صاحب «الشافي» في الإمامة المُتوفى سنة ٤٣٦ هـ، وقبرُه بكربلاء.
- العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجُكي، صاحب «كنز الفوائد»، المُتوفى سنة ٤٤٩ هـ.
- شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن علي بن الحُسين الطوسي، المُتوفّى سنة ٤٦٠ هـ، وقبرُه في النجف.
- عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي، المُكنّى بابن الحمزة، قبرُه في كربلاء.
- الفقيه الثقة أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، صاحب

(مجمع البيان في تفسير القرآن) المُتوفّى سنة ٥٤٨ هـ، وقبرُه بخراسان.

- أبو المكارم حمزة بن علي (ابن زهرة الحلبي)، صاحب (الغُنية وقبس الأنوار) المُتوفّى سنة ٥٨٥ هـ، وقبرُه في حلب.

- الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي (ابن شهر آشوب)، صاحب (المناقب ومعالم العلماء) المُتوفّى سنة ٥٨٨ هـ، وقبرُه في حلب.

- العلامة الكبير محمد بن أحمد (ابن أدريس الحلى)، صاحب (السرائر) المُتوفّى سنة ٥٩٨ هـ.

- المُحقق العظيم فخر الزمان محمد (ابن نما) الحُلّي، المُتوفّى سنة ٦٤٥ هـ، وقبرُه في النجف.

- صاحب المآثر والمكارم رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ابن طاووس)، المُتوفّى سنة ٦٤٤ هـ.

- شيخ الإسلام والمُعلّم الأكبر «الخواجه نصير الدين الطوسي»، المُتوفّى سنة ٦٧٢ هـ، وقبرُه في الكاظمية.

- شيخ الفقهاء جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد (المُحقّق الحلي)، صاحب «الشرائع» المُتوفّى سنة ٦٧٦ هـ، وقبرُه في الحلة.

- رئيس الملّة الحسن بن يُوسف بن مُطهّر (العلامة الحلي)، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ، وقبره في النجف.

- العلامة المُحقّق علي بن محمد (نصير الدين القاشي) البغدادي الحلّي، المُتوفّى سنة ٧٥٥ هـ، وقبرُه في النجف.

- العالم الجليل محمد بن الحسن بن يوسف بن مُطهّر الحلي (فخر المحققين)، صاحب «شرح القواعد» المُتوفّى سنة ٧٧١ هـ.

- الشيخ الأجل أبو عبد الله محمد بن جمال الدين العاملي (الشهيد الأول)، صاحب «اللمعة» المقتُول سنة ٧٨٦ هـ.

- العلامة أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين ـ الفاضل المقدادي ـ صاحب «كنز العرفان» المُتوفّى سنة ٨٢٦ هـ، وقبرُه ببغداد.

- العلامة والفقيه الزاهد الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي، المُتوفّى سنة ٨٤١ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- الفقيه الثقة الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسين بن محمد بن صالح الحارثي الكفعمي، المُتوفّى سنة ٩٠٠ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- ثقة الإسلام الشيخ نور الدين علي بن عبد العال العاملي (المُحقّق الكركي)، المتوفى سنة ٩٠٤ هـ.

- الفقيه الأجلّ زين الدين ابن نور الدين علي بن أحمد (الشهيد الثاني)، صاحب «شرح اللمعة» المقتول سنة ٩٦٦ هـ.

- العالم الرباني أحمد بن محمد «الاردبيلي»، صاحب «آيات الأحكام» المتوفى سنة ٩٩٤ هـ، وقبرُه في النجف.

- العالم المتبحّر محمد علي بن محمد (البلاغي)، صاحب «شرح أصول الكليني» المُتوفّى سنة ١٠٠٠ هـ.

- شيخ الإسلام وعماد المسلمين محمد بن الحسين بن عبد الصمد (الشيخ البهائي العاملي)، المتوفّى بأصفهان سنة ١٠٣١ هـ، وقبره بخراسان (مشهد).

- الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد (الطريحي)، المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ، وقبره في النجف.

- شيخ الإسلام والمسلمين محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، صاحب «بحار الأنوار» المتوفى سنة ١١١١ هـ، وقبرُه في أصفهان.

- العلامة الكبير الشيخ أحمد الجزائري، صاحب «آيات الأحكام» المُتوفّى سنة ١١٥٠ هـ، وقبرُه بالنجف.

- المُحدّث الكبير الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم الدرزاني

البحراني، صاحب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» المتوفى سنة ١١٨٦ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- العلامة المحقق المولى محمد باقر الوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- العلامة الفهّامة السيد محمد مهدي بحر العلوم (الطباطبائي)، المتوفى سنة ١٢١٢ هـ، وقبرُه في النجف.

- الشيخ الأكبر جعفر الجناحي النجفي، صاحب «كشف الغطاء عن مُبهمات الشريعة الغراء» المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ، وقبرُه في النجف.

- العالم النحرير والرئيس الكبير السيد علي الطباطبائي، صاحب «الرياض» المتوفى سنة ١٢٣١ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- المربّي الكبير المولى محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري (شريف العلماء)، المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- مربّي المجتهدين الفقيه الكبير السيد ابراهيم بن محمد باقر الموسوي القزويني، صاحب «الضوابط» المُتوفّى سنة ١٢٦٢ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- شيخ المشايخ والمجتهد الأكبر محمد حسن النجفي، صاحب «جواهر الكلام» المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ، وقبره في النجف.

- الرئيس العظيم والعالم الأكبر الشيخ مرتضى بن محمد أمين الأنصاري، صاحب «الرسائل والمكاسب» المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، وقبرُه في النجف.

- العلامة الكبير السيد محمد مهدي القزويني، المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ، وقبرُه في النجف.

- العالم الجليل الشيخ المولى حُسين الفاضل الأردكاني الحائري، المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- المولى محمد بن محمد باقر الايرواني، المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ، وقبره في النجف.

- المجتهد الأكبر الشيخ زين العابدين بن مُسلم البارفروشي المازندراني الحائري، المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- آية الله المُجدّد الكبير السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي، المتوفى سنة ١٣١٢ هـ، وقبرُه في النجف.

- الشيخ الأجل المعلّم الكبير المولى محمد كاظم الخراساني، صاحب «كفاية الأصول» المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ، وقبرُه في النجف.

- آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، صاحب «العروة الوثقى» المُتوفّى سنة ١٣٣٧ هـ، وقبرُه في النجف.

- الزعيم المجاهد الفقيه الورع الشيخ محمد تقي الشيرازي، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ، وقبرُه في كربلاء.

- حجة الإسلام الشيخ فتح الله شيخ الشريعة الأصفهاني، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ، وقبره في النجف.

- الفقيه المحقق الشيخ علي بن محمد الشاهرودي، المتوفى سنة ١٣٥١ هـ، وقبرُه في النجف.

- الشيخ الجليل والأستاذ البارع الميرزا حسين النائيني، المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ، وقبرُه في النجف.

- المرجع الديني الأكبر العلامة الفهامة السيد أبو الحسن الأصفهاني، المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ، وقبره في النجف.

- آية الله العظمى السيد آقا حسين القمي، المتوفى سنة ١٣٦٦ هـ، وقبره في النجف.

- آية الله العظمى عبد الكريم الحائري، المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ، وقبره في قم.

- المرجع الأكبر آية الله العظمى السيد آقا حسين البروجردي، المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، وقبرُه في قم.

ـ آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الشيرازي، المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، وقبره في كربلاء.

ـ آية الله العظمى العالم المجاهد السيد محسن الحكيم، صاحب «مستمسك العروة الوثقى» المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ، وقبره في النجف.

ـ آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي، المتوفى سنة ١٣٨١ هـ، وقبره في النجف.

ـ آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري المتوفي سنة ١٤٠٦ هـ، والمدفون بقم.

الدراسة في الحوزات العلمية:

إن الدُروس التي تُعطى لطُلاب العلوم الدينية، في مسَيرتهم الدراسية المُتقدِّمة بخطًى وئيدة وصُولاً إلى مرحلة الاجتهاد «الإفتاء»، هي حسب العُرف المُتّبع منذ عهد مشايخ الشيعة الأوائل وحتى يومنا هذا، تتحدّد عادةً بالموضوعات التالية:

١ ـ اللغة العربية: من نحوٍ وصرفٍ وبلاغة، لما في معرفة هذه اللغة واتقانها من تقويمٍ للّسان، وتفتّحٍ للأذهان، وذلك تمهيداً لأعدادِها لفهم السُنّة ومعاني القرآن.

وفي الحقيقة، إنه لا يتسنّى لمن لا يُحسنُ ولا يُتقِنُ هذه اللغة بصورة علمية مدروسة، أن يتذوق ويتفهم أسرار ورموز الكلام العربي الفصيح، وأن يتعرف على معاني الجملات ومضامينها، ودلالاتها المُبطنة والظاهرية، وقد جاء كلامُ القرآن بأعلى درجات الفصاحة، وحذت السنةُ النبوية وأحاديثُ أهل بيت النبوة (عليهم السلام) حذوَ القرآن، فجاء كلامُ الأئمة المعصومين دونَ كلام الخالق وفوقَ كلام المخلوق، وكم في الكتاب والسنة من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وفصل ووصل، وشرح وإيجاز، وأطناب ومترادف، وحقيقي ومجازي، وتشبيه واستعارة وكنايةُ، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين، وغيره ممّا

لا يُحيط به الا المتبحرون والعارفون جيداً بقواعد وعلوم اللغة العربية.

٢ ـ العلوم الرياضية: كالحساب، والفلك، والهندسة، وهي العلوم التي يتوقّف عليها قسمٌ كبير من الأحكام الشرعية، فالفرائض، والهبات، والمبيعات، والعتق، والأوقاف، وحساب ماء الكُرّ الشرعي الذي لا يتنجسّ، والأوزان، كلُّها في حاجة إلى معرفة قواعد علم الحساب، كما أن معرفة حقوق الله من زكاة وخمس، تعتمد على قواعد الحساب، ثم أن علم الهندسة ضروري بالنسبة لجملةٍ من الأمور الدينية، إذ عليه تتوقف خرائط الجوامع، والمساجد، والمآذن، والمحاريب التي لها أشكالها ومقايسُها الخاصة في الشرع، إضافة إلى المؤشر الشمسي (الشاخص)، الذي يُميزّ ميلَ أشعة الشمس لمعرفة مواقيت الصلاة، وكذا الخطوط المُستقيمة للمصلين خلفَ الإمام بحيث لو انحرفت لانحرف اتجاه المُصلّين عن القبلة، والخطط التي تلزم معرفتُها وقتَ الجهاد الشرعي، وغيرها من الأحكام.

وإن علم الفلك ضروري لمعرفة اتجاه القبلة والكواكب التي يتخذّها المُصلي إماراتٍ للتوصّل إلى القبلة، وكذا معرفة وقت الفجر، ودلوك الشمس، وغسق الليل، ومعرفة الأهلّة بالنسبة للإفطار، والصوم، والحج، وأمور أخرى تتعلق بالزواج والسفر.

٣ ـ العلوم الاجتماعية: كالتاريخ، والجغرافيا. فالتاريخ ضروري لمعرفة الناسخ والمنسوخ في الكتاب والسنة، والتعرف على رجالات الحديث والرواة، وعلى هذه المعرفة تتوقف أحكامُ الدين، أما الجغرافيا فترتبط بها أمورٌ منها: معرفة الأرض المعدنية وعلاقتها بالمُصلّي، والأرض المخسوفة بالنسبة للصلاة، والأرض المغضوب عليها وعلى أهلها، كمنازل ثمود التي مرّ بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونهى عن الشرب من آبارها إلاّ بئر الناقة، وأرض بابل التي اجتازها الإمام علي عليه السلام، فلم يصلّ عليها حتى فاتت العصر، وتُعيّن بالجغرافيا مواقع المساجد الهامة، ومساحاتها الأصلية قبل حدوث الزيادة والنقصان فيها.

٤ ـ العلوم العقلية: كالمنطق والحكمة، بما تنطوي عليه من استدلالات

وبراهين عقلية، وهذه العلوم ضرورية لفهم أحكام الدين، لما بين الدليل الشرعي والدليل العقلي من تطابق على تفصيل مقرر في قاعدة (الملازمة).

وقد جرت العادة في أن يكون مجرى الدرس في مرحلة المقدمات، من علوم اللغة، والمنطق، والحساب، والهندسة، والفلك، ومبادىء الفقه، وعلم الأصول، على صورة دروس (السطوح)، بمعنى أن يتقدم طالب أو طالبان أو أكثر بكتبهم المُعّينة لدى استاذ في علم من هذه العلوم، فيشرح لهم بطريقة قراءة الكتاب سطحاً أي من على صفحات الكتاب مواد ذلك العلم فصلاً بعد فصل وباباً بعد باب، وبذلك يتلقى الطالبُ العلمَ ولكن عبر المناقشة والتدقيق والتحقيق، ثم يتدعم الدرسُ بالتباحث الجدلي بين طالبين أو أكثر لنفس الدرس وذات الموضوع، ولا يخفى ما يكمن في هذا البحث الجدلي من تركيز وترسيخ العلم في ذهن طالبيه، ممّا لا يتيسر لغيرهم من طُلّاب العلوم الحديثة.

كما جرت العادة على أن تُتبع دروسُ السطح بدراسةٍ متعمقة وفي أعلى المستويات للفقه، وأصوله، وللتفسير، والحديث، وتُعرف هذه الدروس بـ «درس الخارج»، ومعنى هذا الإصطلاح هو أن يجتمع الطلاب بالعشرات أو المئات ممن أكملوا دروس المقدمات لدى أحد الأساتذة المُبرزّين، حيث يُلقى عليهم الدرسَ في موضوع الفقه أو علم الأصول وما يرتبط بهما من تفاسير وأحاديث، وذلك على شكلٍ مُحاضرة دونَ الإستعانة بالكُتب، مُستعرضاً فيها ما توصّل إليه باجتهاده، واستنتاجاته، وتقريراته، مُؤيداً ومُفنداً، ناقِضاً ومُبرِماً، ماراً على الروايات والرُواة، والأدلة والسيرة، والإجماع والعقل، والسُنة والكتاب، وذلك بحسب الموضوع المُثار للبحث وما يقتضيه من شُروحاتٍ، واستدلالات، وتعبيرات عقلية ونقلية، وإن الطلاب المُشاركين في مثل هذه الدروس المُتعّمقة جداً يتعيّن عليهم أن يكونوا على مستوى الدرس، وإلّا فإن مشاركتهم في غير هذه الصورة تُصبح نوعاً من العَبث، ليس إلّا.

وإن هذه الدروس تُتيح الفرصةَ المُناسِبة لتفوق طالب على طالب آخر،

وتقدّمْ مجتهدٍ على نظيره، لأنه بهذه الوسيلة المثلى تُرهف الأسماع صاغيةً، وترنو النواظرُ شاخِصةً و«مُميِّزة»، هذا عن ذاك وبالتالي تُنطق الألسنُ مُشعِرةً بتفوق الأقران وتمايزِ الأعلام.

تكوين الحوزة العلمية في كربلاء:

لقد جاءَ من قبل، أن أرض كربلاء بعدما أصبحت سَرحاً لواقعة تاريخية دموية، أفجعت قلوبَ المسلمين وبثّت الحُزن والأسىٰ واللوعةَ في نفوسهم، وبعدما حوت لقبرِ أعزّ شهيد، وأكـرم ثائـر، وأشجـع حُرّ أبيّ، هـو سبط رسول الله محمـد صلى الله عليه وآله وسلم الإمـام الحسين بـن علي عليه السلام، شهـدت النمـاءَ والعمـران والازدهار في وقتٍ مُبكر جداً، لما اكتسبت من قُدسية مُتزايدة ورُوحانية مُتسامية، حتى أصبحت في فترةٍ قياسية مَوئِلاً ومَلاذاً، لكل صاحب عقيدة وكل داعية حق وحقيقة.

لقد أضحت كربلاء تجسيداً لكل معاني السماء وقيم الدين ومفاهيم الدفاع المُستميت عن شرعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان طبيعياً أن تُصبح بالتدريج محط رجال علماء الدين والفضيلة، وأن تتحول إلى مسرحٍ يحوي كل ذي علم وأدب وإبداع فكري، وكل صاحب إيمان حقيقي.

وفي الحقيقة أن البيئة التي يدرس فيها العالِمُ، والمُحقق، والباحثُ، أو الشاعرُ والأديب، لها تأثيرُها المباشر على سير تحصيله وجهده الفكري، فالأجواءُ والظروف السائدة في هذه البيئة، تخلق له من الحوافز والدوافع ما تُساعده وتُسهّلُ له الدراسةَ والبحث والتفكير.

وعلى سبيل المثال نجد أن المهندس المُتخصص في شؤون الزراعة يُواصل دراساتِه وأبحاثه في بيئةٍ زراعية، أي في بيئة تنسجم مع نوع العلم الذي يدرسُه، وكذا الطبيب يدرس ويتلقى تدريباتِه ودروسَه الأولية قبل أن يُصبح طبيباً مهنياً في داخل المستشفيات والمستوصفات والعيادات الطبية، أو في مُختبرات التحاليل الكيمياوية، وعلى شاكلته يُواصل طالب الهندسة دروسَه وأبحاثه داخلَ المباني والطرقات، والجسور والمطارات والشوارع،

التي هي في طور البناء والإنشاء.

ذلك أن أجواء البيئة التي يدرس فيها المرء بما ينسجم مع العلم الذي يتلقاه، تُوحي له بكل ما يرتبط بهذا العلم، وتُشجّعه على دراستِه مثلما تُسهِل له أمرَ التدريس والتحقيق، فالبيئة لها تأثيراتُها التلقائية في نفس الإنسان، فهو عندما يجد نفسَه داخل حديقةٍ غناء يبتهجُ وينعش تلقائياً، أو عندما يرىٰ مشهداً محزناً ومُؤلماً يتألم ويحزن، أو حينما يرىٰ نفسَه في مكان روحاني مُقدس ومبارك تمتلىء نفسُه بمعاني الروحانية والصفاء والنقاء القُدسي، تماماً مثل الشخص الذي يؤدي مناسك الحج، فالجو الروحاني السائد في الديار المقدسة خاصة في موسم الحج، يُؤثر عليه دون أن يدري هو، فتجده في هالةٍ من الصفاء النفسي والنقاء الروحي ممتلئاً بمعاني الصدق والخلوص، على غير عادته في الأوقات العادية.

وانطلاقاً من ذلك، فإن طالبَ العلوم الدينية أو العالم الديني يختار لدراستِه وأبحاثِه بيئةً تُناسب العلمَ الذي يطلبه، أي بيئة مُقدسة ومباركة مفعمة بمُؤشرات الدين وقيمه وتعاليمه، بدليل أن العلم الذي يدرسه هو علم إلهي وسماوي فلا جَرَمَ أن تكون البيئة التي يتواجد فيها بيئةً تشع منها معاني السماء والقيم الروحية، ولهذا تجده ينجذب لمكانٍ مُقدّس ومُتبرّكٍ، إن لم يكن لكل فترة حياته، فخلال سنوات دراسته وتحصيله العلوم الدينية على أقل تقدير، غير أن ذلك لا يعني أن تحصيل العلوم الدينية في أماكن عادية غير ممكن، كلّا أنه ممكن في كل الأمكنة وفي كل الأحوال، لكن تحصيل هذه العلوم في البيئات المقدسة والدينية ينطوي على حوافز مُشجعة، ومُمهدات وظروف تجذب الفرد نحو الدرس والبحث، والتقصي العلمي ممّا لا تتوفر أو قد تنعدم في البيئات العادية وغير المُقدّسة.

ومن هنا نجد ظاهرةَ انتشار الحوزات العلمية الدينية في المدن المقدسة مثل النجف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء، وقم، ومشهد، أن حوزات هذه المدن بقيت محتفظةً باستمراريتها وديمومتها، وذلك بالرغم من أنها مرت بفترات فُتور، لكنها ظلت متمسكة بهويتها وخصوصياتها على مرّ التاريخ،

صحيحٌ أن حوزات أخرى ظهرت في مدنٍ تفتقدُ لقُدسية المدن الآنفة الذكر، غير أنها كانت حوزاتٍ وقتية لم تدمْ طويلاً مثل حوزة حلب في سوريا والتي ازدهرت على عهد العالم الجليل أبو المكارم حمزة بن علي «ابن زهرة الحلبي» صاحب «الغنية وقبس الأنوار» المتوفى في حلب سنة ٥٨٥ هـ وقبره بها، واستمرت هذه الحوزة في ازدهارها على عهد الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي «ابن شهر اشوب»، صاحب «المناقب ومعالم العلماء» المتوفى سنة ٥٨٨ هـ وقبرُه في حلب، أو مثل الحوزة العلمية في مدينة الحلة، حينما نهض فيها علماء وفقهاء أجلّاء أمثال: العلامة الكبير محمد بن أحمد «ابن ادريس الحلي»، صاحب كتاب «السرائر» المتوفى سنة ٥٩٨ هـ، والمحقق العظيم فخر الزمان «ابن نما» الحلى المتوفى سنة ٦٤٥ هـ، وقبره في النجف، وشيخ الفقهاء جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد «المحقق الحلي»، صاحب «الشرائع» المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، وقبره في الحلة، ورئيس الملة الحسن بن يوسف بن مطهر «العلامة الحلي»، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ، وقبرُه في النجف، ونجله العالم الجليل محمد بن الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي «فخر المحققين»، صاحب كتاب «شرح القواعد» المتوفى سنة ٧٧١ هـ، أو مثل حوزة أصفهان التي لاقت رواجاً وازدهاراً على عهد ملوك الأسرة الصفوية، ولمع في سماءها نجم شيخ الإسلام محمد ابن الحسين ابن عبد الصمد العاملي «الشيخ البهائي»، صاحب المؤلفات والمصنفات العظيمة المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، وقبره في مشهد، وشيخ الإسلام والمسلمين محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، صاحب كتاب «بحار الأنوار في علوم أهل البيت الأطهار» المتوفى سنة ١١١١هـ.

لكن هذه الحوزات إما اندثرت، وإما انحسرت وانكمشت على نفسها، نظراً لأنَّ كيانها ارتبطَ بشخصياتِ علماءٍ عظام برزوا في صدفهم، فكانت حلقاتُ دروسهم وأبحاثهم وتقريراتهم تستلفت الأنظار، فتجذب النفوسَ إليها، ولكن ما أن رحلوا وتُوفّوا حتى فقدت الحوزة التي أقاموها أهميتها رويداً رويداً فاندثرت وانمحت، غير أن لبعض هذه الحوزات أسبابها السياسية الوقتية

كشأن الحوزة العلمية في مدينة أصفهان، التي أوجدها أصلاً ملوك الأسرة الصفوية بدافع من نزعتهم وميولهم نحو المذهب الشيعي الإمامي، فاستقدموا علماء الدين من مختلف البلدان وخاصةً من جبل عامل في الجنوب اللبناني حيثُ المهدُ العريق للشيعة الإمامية بعد العراق، وذلك في محاولة منهم لترويج وإشاعة المذهب الشيعي الجعفري في إيران.

والجدير بالذكر هنا، أن بلاد إيران ترسخ وازداد انتشار المذهب الشيعي فيها على عهد الشاه صفي، مؤسس السلالة الصفوية، والذي اختار مدينة اصفهان عاصمة لملكه وظلت هذه المدينة عاصمة لإيران لفترة أربعمئة عام من الزمن.

ولكن عندما انقرضت السلالة الصفوية وانتقلت السلطة في إيران بعد فترةٍ من الزمن إلى الأسرة القاجارية، وبعدما اختار رأسُ هذه الأسرة «الآغا محمد خان قاجار» بلدةَ طهران الصغيرة وقتها عاصمةً لإيران قبل مئتي عام تقريباً، فقدت حوزةُ اصفهان أهميتَها وانكمشت على نفسها، بينما أصبحت الحوزة العلمية في طهران تحظىٰ بالأهمية والأولوية، لحينما تأسست الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة.

صحيح أن حوزة أصفهان أو حوزة طهران لم تندثر بل استمرت على نطاق ضيق نسبياً، وذلك لأسباب سياسية، فمدينة طهران هي عاصمة إيران وهي مدينة كبيرة جداً وفيها العديد من المعاهد والمدارس الدينية، كما أن في مدينة أصفهان من الآثار والمخلفات الإسلامية ومن مكانة دينية، بوصفها معقلاً لأُولىٰ دولةٍ إسلامية شيعية ترىٰ النور في إيران ما يجعلها مؤهلةً، لأن تضم بين ظهرانيها حوزةً علمية، إن لم يكن على نطاقٍ واسع فلتكن على نطاق ضيق.

بيد أنه نجد في المقابل، الحوزة العلمية في مدينة قم والتي لم تنشأ إلّا قبل سبعين عاماً، حينما نقل إليها المرحوم المؤسس آية الله العظمي الشيخ عبد الكريم الحائري حوزة درسه من مدينة أراك، قد احتفظت بهويتها وتماسكها بعيداً عن المؤثرات السياسية والزمنية، نظراً لأن المكان الذي نشأت

عليه هو مكان مقدس لدى الشيعة، كونه يضم مرقد السيدة معصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام، فأصبحت مدينة قم البيئة المناسبة لظهور أقوى وأوسع حوزة علمية في إيران على الإطلاق، حوزة واصلت مسيرتَها المتقدمة فمرت بفترة الذروة على عهد المرحوم آية الله العظمي البروجردي وتمرّ اليوم بفترة أخرى مماثلة، فهي اليوم تقف في قمة ازدهارها وتطورها.

ومن جانب آخر احتفظت الحوزة العلمية العريقة في مدينة مشهد المقدسة، باستمراريتها وديمومتها، بسبب ارتباطها بموقع تاريخي مقدس حيث الروضة المباركة لسيدنا الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام.

من كل ذلك، نتوصّل إلى نتيجةِ أنَّ الحوزات العلمية الدينية تنشط وتستمر وتزدهر وتتطور في الأماكن المقدسة أكثرَ بكثيرٍ جداً من الأماكن العادية، ففي الأماكن الدينية المقدسة جاذبٌ وحافزٌ لا يُوجدان في خلافها، وإن من أكثر الأماكن قدسية وتبركاً لدى الشيعة، هي أرض كربلاء ومدينة الحسين المُشرّفة.

لقد أخذت مدينة كربلاء، بعدما انحسرت عنها إجراءات الردع، والقمع، والأعمال القسرية والزجرية، التي كان يُواجهها جموع زُوّار قبر الحسين عليه السلام، على يد زبانية الخلفاء الأمويين والعباسيين، تعجّ بالعلماء والفقهاء، وذلك منذ أواخر القرن الثالث الهجري، حينما بدأت أعداد كبيرة من العلويين تفِدُ إلى كربلاء للسكنىٰ بجوار قِبر الحسين عليه السلام، ثم تضاعفت نسبة الوافدين من السادة العلويين وخاصة من ذرية الإمام موسى الكاظم عليه السلام، المعروفين بالسادة المُوسويين، في عهد الدولة البويهية، مثلما رحل إليها طلاب العلم والفضيلة من الأقطار والمدن القريبة والنائية، فنشطت في أرجاءها الحركةُ العلمية وباتت حلقات الدرس والبحث تُعقد في جنبات صحن الروضة الحسينية الشريفة، وفي بيوت الشعر والأكواخ التي كانت تحيط حولَ الروضة الشريفة، وذلك نظراً لأن أرض كربلاء لم تتخذ شكل مدينة متكاملة مُتمصرة بمعنى الكلمة، إلاّ على عهد البويهيين في مطلع القرن الرابع الهجري، فالبويهيّون هم أولُ من اهتم بتشييد وتعمير أرض كربلاء

المقدسة، إلى جانب اهتمامهم الكبير بخلق حركة علمية فيها.

ومما زاد من تطور حركة العلم والمعرفة والفضيلة بمدينة كربلاء ومهّد السبيلَ أمام ظهور أعرق وأقدم حوزة علمية للشيعة الإمامية على أرضها الطاهرة، هو بزوغ نجم عالم كبير وفقيه فحل فهوم، كان له دوره التاريخي في دفع مسيرة العلم أشواطاً بعيدة إلى الأمام. وهذا العالم الكبير هو «حُميد بن زياد بن حماد بن هواز الدهقان أبو القاسم النينوى»، الذي اشتهر بغزارة علمه وكثرة تصانيفه وباعه الطويل في البحث، والدرس، والتحقيق، والمناظرة الاستدلالية، وسعيه وجهده الدؤوب في تربية جيل من العلماء والفقهاء.

وقد ذكره الشيخ الطوسي في كتابه المسمّىٰ بـ «الفهرست»، فقال: حميد بن زياد من أهل نينوى، قرية إلى جانب الحائر على ساكنه السلام، ثقة كثير التصانيف، روىٰ الأصول أكثرَها، له كتبٌ كثيرة على عدد كتب الأصول، أخبرني برواياته وكُتبه أحمد بن عبدون عن أبي طالب الأنباري عن حميد، وأخبرني عدةٌ من أصحابنا عن أبي المفضل عن حميد، وأخبرنا بها أيضاً أحمد بن عبدون عن أبي القاسم علي الكاتب عن حميد. وذكره في رجاله فيمن لم يروَ عنهم (عليهم السلام) فقال: ابن حبشي بن قوني بن محمد حميد بن زياد من أهل نينوى قرية إلى جانب الحائر على ساكنه السلام، عالم جليل، واسع العلم، كثير التصانيف، قد ذكرنا طرفاً من كتبه في الفهرست.

وقال عنه «النجاشي» في رجاله ما يلي: حميد بن زياد بن حماد بن زياد الدهقان أبو القاسم، سكن «سوراً» وانتقل إلى نينوى، قرية على العلقمي إلى جانب الحائر على ساكنه السلام، كان ثقة واقفاً وجهاً فيهم، سمع الكتب وصنع وصنّفَ: ١ ـ الجامع في أنواع الشرائع ٢ ـ الخمس، ٣ ـ الدعاء، ٤ ـ الرجال، ٥ ـ من روى عن الإمام الصادق عليه السلام، ٦ ـ الفرائض، ٧ ـ الدلائل، ٨ ـ ذمّ من خالف الحق وأهله، ٩ ـ فضل العلم والعلماء، ١٠ ـ الثلاث والأربع، ١١ ـ النوادر، وهو كتاب كبير، أخبرنا أحمد بن علي بن نوح: حدثنا الحسين بن علي بن سفيان، قرأت على حميد بن زياد كتاب الدعاء، وأخبرنا الحسين بن عبد الله: حدّثنا أحمد بن جعفر بن سفيان عن حميد بكتبه، قال

أبو المفضل الشيباني: أجازنا سنة ٣١٠ هـ، وقال أبو الحسن علي بن حاتم: لقيته سنة ٣٠٦ هـ، وسمعت منه كتابه «الرجال» قراءة، وأجاز لنا، ومات حميد سنة ٣١٠ هـ.

وجاء في كتاب «إيضاح الاشتباه»: حُمَيْد مُصغراً ابن زياد بن حماد بن حماد «مرتين» ابن زياد هواز بفتح الهاء والواو بكسر الزاي المهملة (بمعنى رئيس القرية).

كما أن ترجمته الوافية والتفصيلية، وردت في كتاب الرجال للمامقـاني، ذكر فيها تعداد آثاره المصنفة وتلامذته، ومن أخذوا إجازاتِهم عنه.

وفي ضوء النشاطات العلمية والفقهية والتدريسية المكثفة التي قام بها حميد بن زياد النينوى من موقعه بمدينة كربلاء، يُمكن القول أنه كان مؤسساً ومُنشِئاً لنواة أولى حوزة علمية عريقة في كربلاء، لأن في زمانه ظهرت وبرزت نهضةً علمية وحركة تدريسية تطورتا، وتوسعتا، وتواصلنا على مرّ القرون في ساحة كربلاء المقدسة.

ومن مؤشرات تواصل واستمرار هذه النهضة العلمية جيلاً بعد جيل، في أعقاب وفاة هذا العالم والفقيه المؤسس هو ظهور عالم عظيم، وفقيه مُتبحّـر، وأستاذ بارع فهّام، هو عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي المُكنى بابن حمزة، الذي لعبَ دوراً فاعلاً ومؤثراً في تربية جيـل من الفقهاء والعلماء، مثلما خلف تركةً علميةً وفقهية غنية، فمن تصانيفه: الوسيلة، الواسطة، الرايع في الشرايع، مسائل في الفقه ومنتخب الدين.

تتلمذ ابن حمزة في بغداد على يد شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، فعندما أنهى دراسته في حوزته قفل راجعاً إلى كربلاء، لما على ساحتها العلمية من جاذبٍ شدّه إليها، بسبب أن عالم الدين لا جرم ينجذب لبيئة تُناسب علمَه، ولم تكن في هذا الوقت بعد بغداد والكاظمية على مقربةٍ منها، بيئةٍ علمية أخرى سوى مدينة كربلاء.

وفي هذا الوقت لم تكن مدينة النجف قد نشأت بعد، ولم تكن قد رأت

النورَ، إذ لم يكن على أرضها الطاهرة المُقدّسة، سوى قبر الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام ومبنى غير كبير مُخصّص لاستراحة زُواره يقع على مقربة من القبر الشريف.

وعلى ضوء ما تقدم، نتوصل إلى حقيقة أن مدينة كربلاء كانت مؤهلة تماماً لأن تضمّ في رحابها وبين ظهرانيها أُولى وأعرق حوزة علمية للشيعة، فلها من آيات القُدسية، والبركة، والكرامة، والشرف، القسطُ الأوفر والنصيبُ الأكبر، خاصةً أن تشكيلة الناس الذين سكنوها هي تشكيلة اجتماعية ذات اتجاه علمي، وأدبي، وديني قوي وإن نسبةً كبيرة ممّن قطنوها خلال القُرون الأُولى من نشأتها وتمصّرها، هي من العلويين والسادة الموسويين الذين ينتسبون للأئمة الأطهار، والذين من المُفترض فيهم أن ينهضوا لترسيخ دين وشرعة جدّهم الأكبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولتدعيم أُسس الإمامة والولاية، الأمرُ الذي وَفَّر جَواً دينياً ورُوحياً متسامياً في كربلاء، كان لا بد أن ينشأ ويترعرع في وسطه دُعاةُ الدين والفضيلة، ومُبلغّو القيم الروحية.

وإلى جانب كلّ ذلك، كان الجاذبُ الحسيني يقوى ويشتدّ عقداً بعد عقد، وجيلاً بعد جيل، نظراً لأن العقبات والعراقيل والصعوبات التي كانت تقف في وجه حركة الهجرة والمُتزايدة بإتجاه مدينة كربلاء أو في وجه وفُود الزائرين لمرقد الحسين عليه السلام، أخذت تزول بالتدريج وذلك بسبب زوال الحُكام الطغاة، الذين اتخذوا موقف العداء والحقد والكراهية أزاءَ حُماة الحسين عليه السلام، وأنصاره وتابعيه وزائري قبره، وعُشاق ملحمته التاريخية، بل وعلى العكس من ذلك بدأ بعضُ الملوك والأمراء والحكام يتبارون في التقرب لهذه الأرض الطاهرة، والتسارع لتشييد الروضة الحسينية وتوسيعها وتطويرها، والإسهام الفاعل في دفع عجلة العمران والنماء والازدهار في مدينة كربلاء، إضافةً لتسابقهم في تنشيط الحركة العلمية في ربوعها.

فمنذ مطلع القرن الرابع الهجري، وبالتحديد منذ عهد البويهيين، بدأت كربلاء تشهد مرحلة متميزةً من حركة العمران والازدهار، فيما تجدّد بناءُ الروضة الحسينية كما جرت أعمال التعمير والتشييد للحائر الحسيني في عهد

السلاجقة خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وجرت تعميرات وترميمات إضافية للروضة الشريفة في عهد الجلائريين، أما النقلة النوعية في عمران وتنمية كربلاء والمشهد الحسيني الشريف، فقد بدأت منذ عهد ملوك الأسرة الصفوية واستمرت في فتراتٍ مُتعاقبة حتى العصر الحديث.

ومن منطلق ما جاء ذكره آنفاً، فقد أخذت مدينة كربلاء تسيرُ وفقَ منطق التاريخ، والمُعطيات العلمية والمؤُشرات الدينية، التي برزت على ساحتها باتجاه أن تأخذ قصبَ السبق في أن تكون الحوزة الرائدة وأن تحظى بالمرتبة الأولى بين الحوزات العلمية الرئيسية لعلماء الشيعة، ولم يكن حتى هذا الوقت قد ظهر ما يُشير إلى مُصطلح الحوزة، بل كانت هناك حلقات درس وبحث تُعقد هنا وهناك، لكن ظهور هذا المصطلح وتبلّوره ورواجه بين علماء الإمامية لم يتحقق إلّا بظهور المؤسسة العلمية الدينية في النجف.

بيد أن مهدَ العلم والمعرفة في هذه الحقبة الزمنية، كان في بغداد بوصفها عاصمة للخلفاء العباسيين ومركزاً مُتألقاً للعلم، لتوفرها على المدارس الكبيرة والمعاهد العلمية المُتقدمة مثل: مدرسة المستنصرية التي كانت تقف في قمة المعاهد العلمية في ذاك الوقت.

ومن جُملة العوامل الرئيسية التي دفعت بعلماء الشيعة لكي يتوجهوا إلى بغداد للدراسة وتحصيل العلم فيها، إضافةً إلى جاذبيتها العلمية القوية، هو أنَّ النواب الأربعة للإمام المهدي المنتظر آخر أئمة الشيعة عليه السلام، كانوا يقطنون فيها أو يتردّدون عليها من مدينة سامراء، حيث مقر الإمام الحسن العسكري وموقع إنطلاق المهدي المنتظر عليه السلام نحو غيبته الصغرى، ومن ثم إلى غيبته الكبرى التي استمرت حتى يومنا هذا.

ولكن عندما تُوفيّ آخر نائب «للإمام المهدي المنتظر»، وحلت غيبتُه الكبرى كان لا بدّ من ظهور علماء مجتهدين يتولّون مهمة تسيير وتوضيح شؤون الناس الدينية والروحية، من مُنطلق إنهم نوابُ للإمام الغائب بصورةٍ غير مباشرة، وذلك تطبيقاً لمقولة الإمام المهدي نفسه عليه السلام و «وأما الحوادث

الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله».

ومن هنا، وكما أشرنا من قبل، لزم رجوع الناس إلى العلماء المجتهدين حتى يحين موعد ظهور الإمام الغائب عليه السلام بإذن الله، فكان أن برز طلائعُ الفقهاء المجتهدين والمُحدّثين، منهم رئيس المحدثين الشيخ الصدوق صاحب المؤلفات الكثيرة والمتوفى سنة ٣٨١ هـ، ورئيس الملة أبو عبد الله محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) المتوفى سنة ٤١٣ هـ، وذو المجدين علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى «الشريف المرتضى» صاحب كتاب «الشافي في الإمامة» المتوفى سنة ٤٣٦هـ، والعلامة الجليل أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان «الكراجكي» صاحب كتاب «كنز الفوائد» المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، وشيخ الطائفة عماد الشيعة أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.

كان مقرُ زعامة وحلقاتُ دروس وأبحاث هؤلاء في بغداد أو على مقربة منها في الكاظمية، نظراً لأن التركة الدينية للنواب الأربعة للإمام المهدي الغائب عليه السلام، كانت لا تزال تتفاعل في بغداد، فكان طبيعياً أن يكون الأخلافُ قريبين من موقع هذه التركة.

بيد أن مدينة بغداد تعرضت فيما بعد لسلسلة من حوادث الفوضى والاضطرابات، والقلاقل، والشغب من جانب الغُزاة المَغوليين والتتاريين، مما سلبَ الأمنَ والطمأنينةَ من أهاليها، وحينما يُصبح زمامُ الأمن في بلدٍ ما فلتاناً وسائباً تنعدم معه الأرضيةُ المناسبة لظهور وبروز القُدرات الذاتية والإبداعات الفكرية، ذلك أن الجو المُتوتّر والمُشبع بالهواجسُ والتوترات والتشنّجات النفسية يُفقِدُ العقول هدوءها، والنفوسَ طمأنينتَها، والأفكارَ نقاءَها وبذلك تصبح الحالة غير مناسبة بالمرة، لأن تسير الأمور وفقَ مجراها الطبيعي والعادي، خاصةً إذا كانت هذه الأمور ترتبط بالعلم، حيث أن العلماء وطلاب العلم هم أحوجُ الناس لجو الأمن والاستقرار.

وبفعل الحوادث الدامية والأجواء المُتشنّجة والمُتوترة على الساحة

السياسية في مدينة بغداد، كان طبيعياً يُهاجرها العلماء والفقهاء إلى مكانٍ آمن، يحظى في نفس الوقت بمظاهر القُدسية وآيات التبرك والروحانية، بدليل أن علماء الدين في مسيرتهم العلمية والدراسية ينجذبون عادةً إلى الأماكن المقدسة حيث البيئة والأجواء تناسب طبيعة العلم الذي يتلقونه كما ذكرت سابقاً.

وكان منطقياً جداً أن يتوجه هؤلاء المهاجرون من بغداد إلى مدينة كربلاء، إذ ليس هناك من مدينة مُقدسة أخرى تُضاهيها في ازدهار العلم والفضيلة، ثم بفعل تكاثر هؤلاء العلماء وكثرة نشاطاتهم العلمية و تجمع التلامذة حولهم، كان لا بدّ أن تبرز للوجود تلك الحوزة الأصيلة التي كان الشيعة وعلى رأسهم علماؤهم الأفاضل، يتطلعون إليها منذ وقت طويل.

هكذا كان منطق التاريخ يقضي بأن تُصبح كربلاء مقراً ومسرحاً لأُولى حوزة علمية على أوسع نطاق، وكانت الأمور تسير في هذا الاتجاه على ما يبدو، خاصةً وإن نواة مثل هذه الحوزة كانت قد وُجدت فيها من قبل أي منذ حوالي قرنٍ قبل هذا التاريخ، لكن منطق التاريخ شيءٌ، ومشيئةُ الله شيءٌ آخر.

فالتاريخ عادةً يأخذ مسارَه الطبيعي بمتقضى الظروف السائدة والمُؤثرات الجانبية، لكن هذا المسار العادي يتقطّع في فواصل معينة فيصبح مسارُه عندئذ ذا مُنعطفات لوقوع حادث مفاجيء وغير مرصودٍ وغير منظور بالمرة، وهنا تفرض المشيئة الإلهية نفسَها، فتتجلّى في حادثٍ أو قرار شخص فيتغير مجرى التاريخ.

إذ أن مشيئة الله سبحانه وتعالى تبرز وتتجّلى دائماً في إطار حوادث ووقائع ومُفاجئات خارجة عن الحساب والتخطيط، كما تبرز في اندفاعات الأشخاص وقراراتهم الحاسمة والمُلهمةَ لهم بوحي باطني، فعندئذ تكون هذه الاندفاعات أو القرارات عاملاً من عوامل صُنع التاريخ. حيث تُصبح للأشخاص أدوارهم في هذا الصنع، وتبعاً لذلك يُصبحون أشخاصاً تاريخيين

بسبب أنهم غيّروا من مسار التاريخ في فاصلةٍ مُعينة منه، فاوجدوا له مُنعطفاً تتناسب اهميتُه مع مدى أهمية الحدث أو الدور الذي أدوّه.

وتوضيحاً في التعبير نقول: إن كل ما يجري في الكون ما هو، إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، لكنه جَلّت قدرتُه جعلَ لهذا الجري قانونَه وناموسَه، فكل شيءٍ يجري في الكون بميزانٍ دقيق ووفقاً لنظام مُخطط بكل عناية، وحكمة وبصيرة، ولكن في أزمنة معينة وبفواصل مُحدّدة، يختل الجري وتضطرب الحركةُ لفترةٍ ما لحين إنسحابها للنظام المُخطط الموزون من جديد، وهنا تتجلى مشيئة جديدة من جانبه عزّ وعلا، اقتضتها مصلحتُه، فهو العليم والقدير بكل شيء، غير أنَّ هذه المشيئة الإلهية لابدّ أن تتجسّد في شيءٍ ما أو فعلٍ ما، أي أنه لا يمكن أن تبرز المشيئةُ في الفراغ، بل يجب أن تتجسّد مادياً لتترك أثرَها الملموس والمحسوس.

وغالباً ما تبرز هذه المشيئة في قالب أشخاص، أو في إطار القرارات الهامة التي تصدر عنهم، فالأنبياء والرسل المُنزلون والمبعوثون من عنده هم التجسيد العملي لمشيئته سبحانه وتعالى، كما أن القرارات التاريخية لأشخاص عظام هي التجسيد العملي، كذلك لهذه المشيئة الإلهية، إلى جانب الحوادث والوقائع العظيمة التي شهدها التاريخ والتي لم يكن لأبناء البشر أي دور فيها مثل الكوارث الطبيعية وغيرها. صحيحٌ أن لكل فرد دوراً في حركة التاريخ التي هي التشكيلة الجامعة لكل أدوار أبناء البشر، لكن دور الفرد في هذه الحركة يختلف من واحدٍ لآخر إنطلاقاً من مُعطيات الفرد نفسِه، ويقيناً أن دور العلماء العظام والشخصيات الكبار على مختلف الأصعدة، هو دورٌ أهم وأكبر، لما لهؤلاء من مُعطيات كثيرة وغنية خدمت وتخدم البشريةَ بشكلٍ أو بآخر، بيد أنه يبرز من بين هؤلاء أيضاً العباقرة ودُعاة قدسيون ومُصلحون عظام، فتكون أدوارُهم تاريخية متميزة تماماً مثل الأنبياء والأولياء الصالحين الكبار، فهم بافكارهم، وحركاتهم، وتصرفاتهم، وسيرهم، ومواعظهم، ونصائحهم، يُجسّدون المشيئة الإلهية، لأنهم يتحركون بوحي إلهي أو إلهام ربّاني، ويُفكرّون ويتصرفون بوحي إلهي لتكون بالتالي سيرتهُم

إطاراً عملياً مُجسداً لمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وعلى كل حال، كان بغداد مسرحاً لقلاقل واضطرابات دموية حينما أغار عليها السلاجقة بقيادة ملكهم الأول طغرل بيك، وفي هذا الوقت كان العالم الجليل والفقيه الكبير الشيخ أبو جعفر محمد الطوسي، يعقد حلقات درسه الزاخرة بالعلوم العقلية والنقلية، في منطقة الكرخ على الجانب الآخر لضفاف نهر دجلة المار من وسط مدينة بغداد، وكان يجهد في تربية جيل متميز من الفقهاء الربانيين، وكان هو قد تتلمذ من قبل لدى زعيم المذهب الشيعي يومذاك شيخ الأمة وعلم الشيعة أبي عبد الله محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد البغدادي، فكان يُلازمه ملازمةً الظل، وعكف على الاستفادة منه وأدرك شيخَه (أستاذ الشيخ المفيد)، الحسين بن عبد الله ابن الغضائري المُتوفّى سنة ٤١١ هـ، وشارك النجاشي في جُملة من مشايخه، وبقي على إتصال بشيخه حتى اختار الله استاذه لدار بقاءه في سنة ٤١٣ هـ، فانتقلت زعامة الدين ورئاسة المذهب إلى تلميذه المبرّز علم الهدى السيد المرتضى، فانحازَ إليه الشيخ الطوسي ولازم الحضور تحت منبره، وعنى به السيد المرتضى وبالغَ في توجيهه وتلقينه، وبقي مُلازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة حتى تُوفّي السيد المُعظّم علم الهدى سنة ٤٣٦ هـ، فاستقل الشيخ الطوسي بالإمامة وتولى الرئاسة.

وقد نال الشيخ الطوسي مرتبة أعلم علماء دهره، وحاز على كرسي الكلام أو بالمصطلح الحديث «منصة المحاضرة»، والذي كان يحوزُ به من أثبت جدارتَه وأهليتِه لمرتبة أعلم العلماء على الإطلاق، وكانت له في ذات الوقت مكتبة عامرة تحتوي على أكثر من عشرة آلاف كتاب قيم جداً، والتي كانت قد أنشأها أبو نصر سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة البويهي، كما كانت تحت تصرفه مكتبة استاذه السيد المرتضى التي كانت تضم ثمانين ألف كتاب.

ومن هنا، توفرت له مُستلزمات زعيم ديني، وعالم كبير مُتتّبع يشدّ انتباهَ الجميع لشخصيته التاريخية، وينال محبةَ وتقديرَ جموع المسلمين، ويحظى

بطاعتهم وانقيادهم له، وكان لابدّ والحالة هذه أن لا يسلم من بطش وتنكيل السلاجقة، الذين اتخذو من بغداد مسرحاً سهلاً لصولاتهم وجولاتهم، يقتلون ويعتقلون، يهدمون ويحرقون، وقد أمرَ ملكهُم طغرل بيك بهدم بيت الشيخ الطوسي وإحراق كرسي كلامه ومكتبته العامرة، ولكن قبل أن يُصبح الشيخ نفسُه عرضةً لتنكيل هؤلاء الغزاة، قرر الهجرةَ من بغداد واللجوء إلى أرض النجف، والتماس الحماية والوقاية من الإمام علي عليه السلام حيث مرقده الطاهر الشريف يقع في زاوية من هذه الأرض، وكان لهذا القرار تأثيرُه المُباشر في تغيير مجرى التاريخ، إذ تحول الاهتمامُ الأول والأكبر من كربلاء إلى النجف.

نشأة مدينة النجف:

كانت النجف قبل أن يهبطها رئيسُ الملة وعمادُ الشيعة وشيخ الطائفة، أبو جعفر الطوسي رحمه الله عام ٤٤٨ هـ، أرضِ فضاء تخلو من المباني ومن أي شيء يُنبىء عن مظاهر التمصّر والمدنية، ولم يكن عليها سوى القبر الشريف للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقريباً من القبر يقوم مبنى متواضع مُخصّص لاستراحة الزائرين والوافدين للتشفع به والتبرك بذكر أسمه الكريم، ولم يكن يشقها نهر أو يخضّرها زرع أو كلأ، حيث كانت تفتقد لكلِ عوامل النماء والعمران، ولهذا لم تمتد لها يدُ العمران إلّا في وقت مُتأخر جداً، وحتى أن التعمير المتأخر الذي طالها لم يكن ليتحقق إلّا لكونها أرضاً مقدسةً شرفّها الله، بأن تكون حاوية في جوفها لقبر وصي رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن ميزتها الرئيسية إلى جانب قدسيتها هي أنها تقع على مقربة من مدينة الكوفة العامرة والمزدهرة آنذاك ذات الهواء العليل، والنخيل والأشجار، ونهر الفرات العريض الذي يشّقها، فالمسافة بينها وبين هذه المدينة لا تتجاوز أربعة عشر كيلو متراً.

وقد يكون قربها من مدينة الكوفة السبب في التأخير الذي حصل في تعميرها وتحوّلها إلى مدينة ذات مقومات ذاتية، نظراً لأن زائري قبر الإمام علي عليه السلام كانوا يحلون أولاً بمدينة الكوفة، ومن ثم يتوجهون إلى حيث يقوم

القبر الشريف فيقضون يوماً أو نصف يوم، ثم يعودون إلى الكوفة تمهيداً للعودة إلى مدنهم وقراهم، وإذا كان القلائل من الناس يريدون المبيت إلى جانب القبر الشريف، فهناك مبنى متواضع بعدةِ غرف قديمة ونصف خربة يُوفرّ لهم المكان اللازم، إضافة إلى أن قبر الإمام علي عليه السلام، ظل مجهولاً أو بالأحرى مخفياً عن الأنظار لفترة طويلة.

هكذا كانت الحالة في أرض النجف الجرداء القاحلة عندما هبطها شيخنا الطوسي لاجئاً ولائذاً بقبر الإمام علي عليه السلام، وهو كعادة الناس الآخرين انجذب أولاً إلى مدينة الكوفة، حيث أقام حلقةَ درسه وشرع نشاطه التدريسي المكثف وأصبح مقرُه في هذه المدينة يشد انتباه المسلمين الشيعة وخاصة العلماء والفقهاء وطلاب العلوم الدينية، لكنه لم يكتفي بذلك بل سعى إلى إنشاء جامعة علمية على أرض النجف قريباً من القبر الشريف.

وكان إنشاء هذه الجامعة وتمركز علماء الدين فيها عاملاً أساسياً في خلق موجة هجرة بشرية باتجاه أرض النجف، إنطلاقاً من القرى والقصبات الواقعة على ضفاف نهر الفرات وفي منطقة الحلة وغيرها من المناطق التي اشتهر أهلها بُحبّ آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت هذه الهجرة البشرية المتعاقبة هي البداية في مسيرة تعميرها وتشييدها بالتدريج لتبرز إلى الوجود مدينة ذات قدسية متزايدة سميت باسم أرضها النجف، والتي بات اسمها يرمز إلى العلم والفضيلة من منطلق أنها اكتضت منذ بداية عهدها بالتمصير، وفي المراحل اللاحقة حتى يومنا هذا بمجموع العلماء وصفوة الفقهاء وخيرة الأساتذة البارعين، والمحققين اللامعين، ومن مختلف الجنسيات، إضافة إلى أنها تضم باباً لمدينة العلم، فالإمام علي عليه السلام هو الباب العالي لمدينة العلم لقول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

فهذه المدينة بُنيت أصلاً ومنذُ البداية باسم العلم، وعلى دعامات من الفضيلة والتُقى وأُقيمت جدرانُها ومَرافقُها بإسم الله وعلى بركة الله، حيثُ منها تسطع أنوارُ الشريعة ويجري عَبَرها ينابيعُ الحكمة، وتُغطيها بحورُ العلم وتلفّها هالاتُ المعرفة.

ولهذا فإن ميزتها الرئيسية الأصيلة هي أنها نشأت ووُجدت من أجل العلم والدين، بسبب أن العلماء هم أول من سكنوها، ومن ثم جلبوا بسكناهم في هذه الأرض الناسَ الآخرين لكي يُهيّئوا المرافق وأسباب العيش ومُستلزمات الحياة عليها، حتى تظلّ مُسيرةُ العلم والفضيلة دائمةً وجارية في ربوعها، وهي ميزة قلما اكتسبتها مدينة أو بلدة أخرى في التاريخ القديم على أقل تقدير.

أولى حوزة علمية للإمامية:

لقد شاء الله سبحانه وتعالى في أن يكون مقرُ أُولى وأعرق حوزة علمية شيعية بمعنى الكلمة، في النجف الأشرف ومن حول مرقد وصي رسوله وخاتم أنبياءه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهيّأ لها من الأسباب والممكنات، فكان قرارُ الشيخ الطوسي بالتوجه إلى الكوفة، ومن ثُمَّ إلى النجف مُؤسّساً لنواة أعرق حوزة علمية على أرضها.

وقد تكمن المصلحة الألهية في أن تُصبح أرضُ النجف عامرةً مزدهرةً، وناشطةً بالعلم والمعرفة، وأن تتحوّل إلى مركز أشعاع الأنوار الإلهيّة، وذلك تكريماً وتشريفاً لعبده الصّفي، الزكي التقي، الطاهر الأمين، وصّي رسوله الكريم، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ لولا هجرةُ الشيخ الطوسي لها لما كانت ترىٰ العمران والأزدهار، ولما برزت شامخةً ومرموقةً، وساطعةً بأنوار العلم والفضيلة، حتى بعد عدة قرون، أي أن حركة الشيخ الطوسي كانت حركة إلهية تكمن فيها مشيئةُ الله سبحانه وتعالى كما نوهّت من قبل.

لقد أضحت النجف منذ أنْ رحلَ إليها الشيخ الطوسي كعبةَ العلم وأمّ العواصم الدينية، ومُلتقى العقول ومأوىً لعظماء العلماء وكبار رجال التشريع، وزعماء الدين ومراجع التقليد، فالنجف بالنسبة لهؤلاء مسكن في الحياة، ومدفن عند الممات، ومن لم يُوافه الموتُ على أرضها أوصىٰ بأن تنقل رفاتهُ إليها تبركاً بتربتِها وتشرفاً بُمجاورتها، وليس في هذه المدينة من عائلة عريقة

إلّا، وكان سببُ سكناها فيها هجرةٌ علمية أو نقلة دينية.

وهكذا برزت وتجلت وأشرقت النجفُ بفضل الإرادة الإلهية، فحوزتها منذ النشأة الأولى ومُروراً بالقرون الهجرية التسعة الأخيرة وحتى يومنا هذا، كانت ولا تزال مزدهرة وزاخرة بالآلاف من العلماء والفقهاء، وبالعديد من مراجع التقليد ورؤساء الدين، ويتخرّج من حلقات الدروس الكثيرة والمتنوعة المُنتشرة في أرجاءها وزواياها المئاتُ بل الآلاف من الطلاب المُنتهين، أو ممن نالوا درجة الاجتهاد والتفقه الكامل في الدين.

وعلى أية حال، كانت حوزةُ النجف مزدحمةً بالادمغة والعقول المُعطاءة، ومعرضاً لآثارهم العظيمة، وواجهةً لمُخلفاتهم الفكرية في الفقه والأصول، وعلوم المعقول والمنقول.

لقد كانت ولا تزال أمنيةَ كل طالب علم مُتفوق أن يحظى بشرف المثول بين يدي جهابذة العلم والفضيلة، وأجلاء المُحققين والباحثين المُدقّقين، الذين تزخر وتعج بهم حوزةُ النجف، فتجد بين هذه الصفوة المتألقة، مَنْ آلت إليه رئاسةُ الفقه ومن يُمسك برأسِ طبقة المُحدثّين، ومن أُسندت إليه مهمةُ التدريس في الأصول على أعلى المستويات، ومن هو بأوحد المُتكّلمين، ومن يبرز بوصفه النحوي المُتفوق، ومن تُشاهده يحل هنا وينتقل إلى هناك يلتقطُ من كلّ شجرةٍ اطيبَ ثمارها فلا يلبثُ حتى يُصبحَ جامِعاً للمُحسّنات.

بيد أن الحوزة العلمية في النجف لم تكن لتصل إلى هذا المستوى العلمي المُتّقدم لو لم يكن هناك من عوامل مُساعدة وداعَمة لها، فكان هذا الدعم يأتيها من الحوزة العلمية في كربلاء بالدرجة الأولى.

الحوزة الفقهية في الحلة:

تزامناً مع رحلة شيخ الطائفة وعماد الشيعة الطوسي (رحمه الله) إلى

النجف، هرباً من بطش وتنكيل غُزاة بغداد من المغول، وبعد أن تم احتلال مدينة بغداد من قبل جيش هولاكو، شرع الكثير من علماء الشيعة المُقيمين والدارسين والمُدرسّين في بغداد، بُمغادرة هذه المدينة طلباً للأمن والأمان، وبحثاً عن مكان يُمكنهم فيه من مواصلة دروسُهم وأبحاثهم، وما يُساعدهم على تنظيم حلقات دروسهم من جديد، وذلك بعدما أصابَها الاضطرابُ على مسرح العلم في بغداد.

في هذا الاثناء، قام أهالي مدينة الحلة بإرسال وفدٍ عنهم إلى قيادة الجيش المغولي، يلتمسون الأمان لبلدتهم فاستجابَ لهم كبيرُهم «هولاكوخان» وآمنهم على بلدتهم بعدما أختبر صدقهم.

وبهذه الصورة بقيت الحلةُ مأمونةً من مضاعفات النكبة التي حلت بسائر البلاد، فيما أخذت تستقطب المهاجرين من بغداد بضمنهم الطلاب والعلماء والاساتذة والفقهاء.

وانتقل مع هؤلاء قسمٌ من النشاط العلمي في بغداد إلى الحلة، وبرزت فيها من جرّاء ذلك، حوزة فقهيةٌ لمعَ في سماءها الفكري فقهاء كبار، كان لهم دورٌ كبير في تطوير وأغناء الفقه الإمامي وأصوله، وتجديد صياغة الاجتهاد، امثال المُحقّق الحليّ، والعلامة الحلي، ونجله فخر المحققين، وابن نما، وابن أبي الفَوارس، والشهيد الأول، وابن طاووس، وابن ورَّام، وكثيرين غيرهم من فطاحل العلماء ورجال الفكر، غير أن معظم هؤلاء وغيرهم لم يبقوا طويلاً في الحلة، بل رحل بعضهم إلى النجف وبرز وتجلى بحوزتها العلمية، والبعض الآخر رحل إلى كربلاء ولمع في سماء العلم والفضيلة فيهامثل العلامة الكبير والزاهد الورع، الشيخ ابن فهد الحلّي، الذي أزدهرت الحوزة العلمية في كربلاء على عهده.

وبرحيل رموز العلم والفضيلة من الحلّة إلى النجف أو كربلاء، خفّ بريقُ الحوزة الفقهية في هذه المدينة، ثم أنكمشت على نفسِها إلى الحد الذي لم يعد بالإمكان القول: بأن مدينة الحلّة تضم حوزةً بين ظهرانيها.

الموقف في حوزة كربلاء:

في أعقاب القرار التاريخي الهام الذي اتخذه شيخنا الأجل الطوسي (عليه الرحمة) في ظروف عصيبة للغاية، والذي تمثل بلجوئه إلى قبر سيدنا الإمام علي عليه السلام في أرض النجف، والتطورات اللاحقة التي أدّت إلى نشأة مدينة النجف وظهور حوزتها العلمية الأولى، كان لابدّ أن تتطور الحالةُ على الساحة العلمية في كربلاء، لتتمخض عنها الحوزة العلمية التالية بعد حوزة النجف، نظراً للترابط الروحي والجغرافي القائم بين هاتين المدينتين المقدستين.

ويمكن القول أن نشوء وبلورة الحوزة العلمية الرائدة في النجف لم يحد من النشاط العلمي والفكري في كربلاء، بل أدّىٰ إلى تحريكه وتطويره بوتائرَ عالية، ومن ثمَّ إلى نشأة حوزة مكملة أو رديفة لحوزة النجف، بسبب أن نوعاً من التشاطر والتعاطي الفكري برز بين هاتين الحوزتين، كان بنتيجته أن تبوأت الحوزةُ العلمية في كربلاء، مكانةَ رئاسة العلمية الأولى في فتراتٍ زمنية مختلفة، وذلك حينما كانت تتألق وتبدو ساطعةً وضاءةً مُشرقة في سماء العلم والفضيلة وزاخرةً بفطاحل العلماء أكثرَ من أي مكانٍ آخر.

إن قصر المسافة بين مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المُعّلىٰ والتي لا تتجاوز الثمانين كيلومتراً، والتي كان بالإمكان اجتيازها سابقاً بالعربات المسحوبة بالدوات خلال يوم واحد أو أقل، ويمكن اجتيازها اليوم بالسيارات والحافلات الحديثة خلال ساعة واحدةٍ من الزمن. ونظراً لأن كلتا المدينتين مُقدستان ومباركتان جداً بالنسبة للشيعة وعلماءهم وفقاءهم، وفي ضوء عوامل أخرى عديدة، فإن السبيل كان مُمهّداً دائماً أمامَ الكثيرين من العلماء والأساتذة الكبار المقيمين والمجاورين في مدينة النجف، لكي يتردّدوا على مدينة كربلاء أو يُهاجروا إليها، حيث بتواجدِ هؤلاء على الساحة العلمية بهذه المدينة نشطت الحركة العلمية فيها لأن حوزتَها وجدت عناصر إضافيةاسهمت بدورها في انعاشها وتطويرها أكثر فأكثر.

وفي المقابل، كان هناك علماء وأساتذة كبار تربّوا و تعلّموا، وأنهوا

دروسهم العالية في حوزة كربلاء، ثم رحلوا عنها إلى النجف فاسهموا هم أيضاً في ازدهار الحوزة العلمية فيها.

ومن هنا، حصل نوع من التعاطي العلمي بينهما، أفادَ الحوزتين إلى الحدّ الذي يمكن القول معه: إن هاتين الحوزتين إن لم تكونا نظيرتين متساويتين في المرتبة والمستوى فإنهما مكملتان لبعضهما البعض. وإن هذه الظاهرة لم تكن لتحصل، لولا وجودُ عوامل أساسية تخصّ الموقعَ الجغرافي والحضاري وهالة القدسية المتناهية لهاتين المدينتين المُتقاربتين، وكذا المكانة الروحية المتسامية التي تحتلانها في قلوب المسلمين الشيعة وغير الشيعة في العالم، وذلك كون الأولىٰ، وأعني بها النجف، تضمّ في جنباتها الروضة الطاهرة للإمام علي عليه السلام، بوصفه الإمام الأول والوصي المُتقدِّم لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكون الثانية أي كربلاء تضمّ روضةَ أبنه البار الشهيد الإمام الثالث للشيعة الحسين بن علي عليه السلام.

وبما أنّنا بصدد الحديث الموضوعي عن التشاطر بين هاتين الحوزتين، فلا بأس أن نُورد هنا مقتطفات ممّا كتبه العالم المحقق والأستاذا المُتتبّع المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر العميد السابق لجامعة مُنتدى النشر في النجف، حول التشاطر والتنافس بين حوزتي كربلاء والنجف، والذي جاء في ترجمته القيمة والموضوعيّة جداً لشيخ المُحققين والفقهاء المُجتهدين المرحوم الشيخ محمد حسن النجفي، صاحب كتاب «جواهر الكلام»، وذلك على النحو الآتي:

«كانت الحركة العلمية في عهد شيخنا المُتَرجم له (الشيخ محمد حسن النجفي) في القمة من الحركات العلمية، التي امتاز بها القرنُ الثالث عشر الهجري في خُصوص النجف الأشرف وكربلاء.

فإن النهضة العلمية التجديدية في الفقه وأصوله، بعد الفتور العام الذي أصابها في القرن الحادي عشر، وأكثرَ الثاني عشر، ابتدأت في كربلاء على يد المُؤسّس العظيم الأغا محمد باقر الوحيد البهبهاني المتوفّى سنة ١٢٠٨ هـ.

وبقيت بعدَه النجف تُنازع كربلاء وتُشاطرها الحركةَ العلمية بفضل تلميذيه العظيمين: السيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى في سنة ١٢٢٨ هـ، إذ تحوّل قسمٌ من الاتجاه العلمي شطرَ النجف بسببهما (أي بسبب بحر العلوم وكاشف الغطاء)، وإن كانت كربلاء بقيت مُحتفظةً على مركزها الأول حتى وفاة المربّي العظيم المعروف بشريف العلماء، وهو الشيخ محمد شريف المازندراني المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ، الذي قيل إنَّ حُضّار درسه كانوا يبلغون ألفَ طالب، وكفىٰ أنَّ أحد طلابه وتلاميذه هو الشيخ الأنصاري. وبوفاة شريف العلماء، فقدت كربلاء تلك المركزية العلمية، حتى اتجهت الأنظار صوبَ النجف، لوجود الشيخ صاحب الجواهر المُتَرجَم له، الذي اجتذب إليه طلابُ العلم بفضل براعته البيانية، وحُسن تدريسه وغزارة علمه، وثاقب فكره الجوّال وبحثه الدؤوب، وانكبابه على التدريس والتأليف، ولعلّ هناك أسباباً أخرىٰ لهذا التحوّل، ولا يبعَدُ أن من أهمّها أنَّ كربلاء بالخصوص كانت عُرضةً للغارات السعودية، وضغط الحكومة العثمانية وتعدياتها.

وعلى كل حال فقد شهد هذا القرن وهو القرنُ الثالث عشر، حركةً علمية واسعةً في كربلاء والنجف مُتبدئةً بالوحيد البهبهاني، وبلغت غايةَ ازدهارها في عصر شيخنا المُتَرجَم له في خصوص النجف، فإن عصره ازدهر بكبار الفقهاء وفطاحل العلماء من أساتذته وأقرانه وتلاميذه ما لم يشهده أي عصر مضىٰ، ويكفي أن يكون من نتاج ذلك العصر، حبـر الأمة وإمام المحققين الشيخ مرتضى الأنصـاري المتوفى سنـة ١٢٨١هـ، الذي أنسىٰ الاولين والآخرين، إذ تجدّدَ على يديه الفقهُ وأصولهُ التجدد الأخير، وخطا بهما شوطاً بعيداً قَلَبَ فيه المفاهيم العلمية رأساً على عقب، ولا يزال أهلُ العلم إلى يومنا هذا يدرسون على مدرسته العلمية الدقيقة ويستقون من نمير تحقيقاته، ويتغذّون بآرائه ويتخرّجون على كُتبه البارِعة الفاخِرة.

وكان شيخنا وأستاذنا العظيم، الميرزا حسين النائيني المتوفى سنـة ١٣٥٥ هـ، يفتخر بأنه من تلامذة مدرسته وإن كل ما عنده من تحقيق ومعرفة

فهو فهم أسرار آراء الشيخ الأنصاري وتحقيقاته وعرضها عرضاً مُبسّطاً، وكم صرّح بهذا المعنىٰ على منبر الدرس مُعتزاً بذلك، وفي الحقيقة كان الميرزا النائيني يُعدُّ فاتِحاً مُظفراً ومُجدِّداً مُوصلاً لما انقطع ـ أو كاد ـ من المنهج البحثي للشيخ، وهو وتلامذته يعتزون بهذه الصلة والوصلة العلمية بالشيخ.

نعم لقد ازدهر عصر شيخنا صاحب الجواهر بالعلم والعلماء والطلاب، فازدحمت النجف يومئذٍ برُوّاد العلم من كل حدب وصوب، لا سيما من القطر الإيراني وبلغت القمة في رواج العلم فيها، ومرّدُ ذلك، فيما اعتقد هو الاستقرار السياسي وفترة السلم التي سادت في البلاد الإسلامية يومئذٍ، لا سيما بين الدولتين العثمانية والإيرانية اللتين كانتا تتطاحنان وتتصارعان للتغلب على العراق مدةَ قرنين تقريباً، أنهكت فيها الأمة العراقية أيّما إنهاك وتأخّرت تأخراً أفقدها كل حيوية، فسادَها الوباءُ والجهلُ والفقرُ وأنواعُ الأمراض الفتاكة.

وابتدأت الهدنة بين الدولتين قُبيل عصر شيخنا المترجم له، وذلك في أُخريات أيام الشيخ جعفر كاشف الغطاء، إذ سافر إلى إيران بقصد إطلاق سراح أسرىٰ جُيوش الحكومة العثمانية بعد موقعة حربية سنة ١٢٢١ هـ، توغلت فيها إلى حدود إيران، ففشل الجيش العثماني وأُسر أكثرُه، فاستطاع الشيخ كاشف الغطاء أن يُقنع شاهَ إيران فتح علي شاه وابنه ميرزا محمد علي قائد الجبهة، بالعفو عن الأسرى وأرجاعهم إلى حكومتهم، بعد أن فشلت كلُ الوسائط التي استعملتها الحكومة العثمانية، فكان الصلح بعد ذلك بين الدولتين على يد مصلح الدولتين العظيم الشيخ موسى نجل الشيخ كاشف المتوفى سنة ١٢٤١ هـ، وفتحَ البابَ واسعاً أمام الهجرة الإيرانية إلى العتبات المقدسة، وأمامَ الأموال التي كانت تُرسل لتعمير العتبات وصيانتها، ولرجال الدين ومراجع التقليد، فزادَ ذلك في نشاطِ الحركة العلمية، لا سيّما أنها كانت تحظىٰ بتشجيع شاه إيران وبتقديره للعلماء تقديراً منقطعَ النظير، وكفىٰ من تقديره الحفاوة البالغة التي لاقاها الشيخ كاشف الغطاء في إيران وقبول وساطته في أعظم أمر كان، يحرص عليه الشاه وهو الاحتفاظُ بأسرىٰ التُرك

تأديباً للحكومة العثمانية، لا سيما قائد الجيش «كهيا سليمان باشا» ابن أخ والي بغداد يومئذٍ «علي باشا».

وبلدة النجف مع كل هذا أصبحت في ذلك العهد في أمانٍ من الغارات الوهابية، التي كانت لا تنقطع، والتي كانت النجف وكربلاء مُهدّدتين بها دائماً، بعد أن فشلت الغارة الأخيرة لهم على النجف، بأُعجوبة ومُعجزة وقد بَيتوها على حين غرة».

وفي ضوء كلام المُحقّق الجليل الشيخ محمد رضا المظفر، نتأكد من أن تشاطراً في السبق العلمي كان مُستمراً بين الحوزتين العلميتين في النجف وكربلاء، وأن النهضة العلمية التجديدية ابتدأت وازدهرت أولاً في كربلاء ثم انتقلت إلى النجف، رغم أن حوزة كربلاء ظلت محتفظة بحركتها العلمية النشطة، وهذا ما يُفسّر مقولةَ أنَّ هاتين الحوزتين مُكمّلتان لبعضهما البعض، حيث أنَّ حوزة كربلاء كانت دوماً تُغذّي حوزةَ النجف أو تَتغذّىٰ منها. بيد أنَّ من نافلة القول هنا: أن كلتا الحوزتين ساهمتا بشكل فعّال ومُؤثّر في تطوير الفقه الشيعي الاجتهادي، وإنّهما معاً خدمتا الإسلام وأسهمتا في ترسيخ مبادىء وأُسس التشيّع، وأن التشاطر أو التنافس بينهما لم يكن من باب التفاخر أو المُباهاة أو التعالي، بل إن مثل هذا التشاطر وأي نوع من السبق العلمي، إنّما يخدم العلم نفسَه ليس إلاّ.

ثم إننا عندما نتطرق لهذا الجانب لا نقصدُ الانحيازَ لهذه الحوزة أو تلك، بل نهدفُ إلى إبراز دورهما ومكانتهما في دفع مسيرة العلم والفضيلة، لصالح الإسلام ولصالح المذهب الشيعي الإمامي، وإلاّ فإن أي سبقٍ علمي تُحرزه الحوزةُ العلمية في كربلاء ينطوي على منفعة لصالح الحوزة العلمية في النجف، والعكسُ هو الصحيح، وإن أي سَبَق مُشتركٍ لهما فيه منفعة لسائر الحوزات العلمية في العالم الإسلامي.

وتأسيساً على ذلك، يتأكد لنا أن نشأة الحوزة العلمية في النجف الأشرف على يد مُؤسسها العالم المجاهد، عماد الشيعة الشيخ الطوسي قبلَ أكثر من تسعة قرون، لم تُؤدي إلى انحسار حركة العلم والدراسة في حوزة

كربلاء، بل أن نشوءَ مثل هذه الحوزة الغنيّة، الزاخرة بالأدمغة العظيمة، على مقرُبة من مدينة كربلاء، خلقَ عاملاً إضافياً في تحريك نهضة العلم والمعرفة فيها، إلى جانب أن هذا التحوّل التاريخي دفعَ بحوزة كربلاء، لأنّ تُشاطر وتُسابق نظيرتَها في النجف، ومعلومٌ أن روح التسابق هي من عوامل التحرك والتقدم إلى الأمام باستمرار، وقد قال الله سبحانه: ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾ صدق الله العلي العظيم.

المنعطفات التاريخية في حوزة كربلاء:

من الثابت تاريخياً، أن كربلاء بعدما تمصّرت وتوفرت لها مقومات التحضّر والمدنية، وخاصةً في أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري، شهدت حركة علمية متطورة استمرت عبر القرون اللاحقة حتى القرن الحاضر.

لقد تواصلت مسيرةُ العلم والتدريس في ساحة كربلاء لأحد عشر قرناً، غير أن هذه المسيرة شهدت نقلات نوعيّة في فتراتٍ مختلفة، يمكن اعتبارُها منعطفات تاريخية هامة.

وبعبارةٍ أخرى، إن حركة العلم والفضيلة في حوزةِ كربلاء، بالرغم من استمراريتها وتواصلها خلالَ هذه القرون، كانت تفتر تارةً وتنشط تارةً أخرى، وإن مردّ هذا الفتور يرجع لخلو ساحتها العلمية، من الرموز اللامعة أو بالأحرىٰ من العلماء العظام ممّن يُصنّفون بالطراز المتميز، أو من هم في الطبقة الأولىٰ المُتفوقة، مثلما مرّدُ نشاطها وازدهارها يرجع لظهور مثل هذه الرموز المُتميزة والمُتألقة، وهو أمرٌ طبيعي جداً لأن للأشخاص دورُهم الحيوي والمصيري في صنع التاريخ، وفي دفع مسيرة حركة الحياة أشواطاً إلى الأمام.

بيد أن أهمية دور الأشخاص تتناسب مع مكانتهم العلمية والاجتماعية، إذ كلّما كانت هذه المكانة رفيعة وشامخة، كلما كان دورُهم ذا أهمية متزايدة، وهذا ما نَوهناه سابقاً.

وبناءاً على ذلك، كانت الحوزة العلمية في كربلاء تتألق وتزدهر بوجود

علماء كبار وزعماء دينيين عظام، مثلما تفتر ويخبو بريقُها حينما تخلو ساحتها من الوجوه العلمية اللامعة المتألقة، حتى وإن ظلت محتفظةً بعلماء من الطراز الثاني.

لقد شهدت الساحة العلمية في كربلاء عَبْرَ التاريخ، شخصيات علمية ودينية من الطراز الأول والطبقة المُتميّزة، وبفضل هؤلاء تكثّفَ النشاط العلمي والتدريسي فيها بشكلٍ غير عادي حتى وصلت إلى الذروة، أي نقطة المُنعطف التاريخي.

حوزة كربلاء على عهد ابن فهد الحلي:

في القرن التاسع الهجري، حدثت نقلة نوعية في حوزة كربلاء العلمية، فقد تطورت المعاهد والمدارس العلمية الدينية فيها، واكتظت برجالات الفكر وأعلام الأدب ورواد العلم والثقافة، الذين اتجهوا إليها من كل حدب وصوب، حيث كُثرت بهم وتنوعّت حلقات الدرس، والبحث، والمناظرة الاستدلالية، فانتشرت فصول الدرس وقاعات المحاضرة في أرجاءها المختلفة، وخلال هذا القرن وخاصة في نصفه الثاني، انجذب إليها رعيلٌ من ذوي العقول النيّرة، والمواهب المُبدعة، والأفكار الخلاقة، يتصدرهم الزعيم الديني، والعالم الزاهد، والمجاهد الإسلامي، الشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلي صاحب الفضائل والكرامات الكثيرة.

انتقل شيخنا الحلي إلى كربلاء قادماً من مدينة الحلة، التي كانت الحركة العلمية ناشطةً ومزدهرة فيها حينذاك، كما أشرنا في قبل، وبرز فيها بعدَ فترةٍ بوصفه الزعيم الديني، والعالم، والبحاثة المقتدر، والمُتمكّن من فروع وأصول الفقه الشيعي الاجتهادي، ممّا جعله في مركز دائرة اهتمام الناس المؤمنين والمُتدينّين.

ومن موقعه العلمي المتميز، تبنّى الحركة العلمية في كربلاء ومنحها دفعاً قوياً، حيث جمعَ حولَه تلامذةً كثيرين، وكانت دروسه مليئة بطروحاته العلمية وأبحاثه وتقريراته الفقهية، وغالباً ما كانت حلقات درسه تتحول إلى

ساحة يحتدم فيها النقاش العلمي الموضوعي ويدور الجدلُ فيها حول المسائل والموضوعات الفقهية الأساسية والفرعية، وقد وصفه المؤرخون وعلماء الرجال والنسّابة، بأشهر وأنبه فقهاء القرن الثامن والتاسع الهجري.

وُلد الشيخ جماد الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي الأسدي، سنة ٧٥٧ هـ وتُوفي سنة ٨٤١ هـ، ودفن في كربلاء بمكانٍ يُعرف ببستان النقيب، وأصبح قبره مزاراً للمؤمنين بوصفه الولي العابد الزاهد صاحب الكرامات والفضائل.

وقد أسهبَ في شرح حياته وترجمتِه الكثيرُ من المؤرخين والمؤلفين، فقال عنه مؤلفُ كتاب «روضات الجنات»: هو الشيخ العالم العارف وكاشف أسرار الفضائل، جمال الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الحلي، الساكن بالحلة السيفيّة والحائر الشريف (كربلاء) حياً وميتاً، وله من الاشتهار بالفضل والاتقان، والذود والعرفان، والزُهد والأخلاق، والخوف والإشفاق، جَمَعَ بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، والقشر واللُبّ، واللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، والعلم والعمل، بأحسنَ ما كان يجمع، أجازه العلامة والمُحقّق الكبير، علي بن الخازن في الحائر الحسيني سنة ٧٩١ هـ، ودفن في الحائر وقبره ظاهرٌ خلفَ المُخيّم الحسيني في بستانٍ يُعرف ببستان النقيب.

وكانت شخصيته بتلك المرتبة التي أثارت إعجاب واستحسان أرباب العلم والقلم، إلى جانب أن سيرة حياته طافحة بكل ما هو طارف وتليد إلى حدّ اعتبارُها مأثرةً علمية خالدة.

بيد أن زهده الشديد والمُغالي فيه أوهمَ الكثيرين بأنَّ له ميلاً ورغبة بالنزعة الصوفية، لكن صاحب أعيان الشيعة ـ المرحوم العلامة الكبير السيد محسن العاملي ـ ينفي عنه هذا النعت، إذْ يقول بالحرف الواحد: فالتصوّف الذي يُنسب إلى هؤلاء الأجّلاء، مثل ابن فهد وابن طاووس والخواجه نصير الدين والشهيد الثاني والبهائي وغيرهم، ليس إلّا الانقطاع إلى الخالق

جلّ شأنه والتخلّي عن الخلق والزهد في الدنيا والتفاني في حُبّه تعالى وأشباه ذلك، وهذا غايةُ المدح، لا ما يُنسب إلى بعض الصوفية ممّا يؤول إلى فساد الاعتقاد كالقول بالحلول ووحدة الوجود وشبه ذلك، أو فساد الأعمال، كالأعمال المخالفة للشرع التي يرتكبها كثيرٌ منهم في مقام الرياضة أو العبادة وغير ذلك.

وقال عنه الشيخ يوسف صاحب الحدائق في اللؤلؤة (لؤلؤة البحرين): الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الحلي الأسدي، فاضل، فقيه مجتهد، زاهد عابد، ورع تقي نقي، إلاّ أن له ميلاً إلى مذهب الصوفية، بل تفوّه به في بعض مُصنفاته، وهو يروي عن تلامذة الشهيد، كالشيخين المذكورين في السند.

ولتبرئته من ميله إلى التصوّف يقول صاحبُ كتاب «بهجة الآمال في شرح زبدة المقال» ـ المولى على العلياري التبريزي ـ ما نصُّه: وقولهُ (قول الشيخ يوسف صاحب الحدائق): إلاّ أن له ميلاً إلى مذهب الصوفية... الخ، لا يخفى أن هذه النسبة نُسبت إلى السيد ابن طاووس والخواجه نصير الدين والشهيد الثاني وشيخنا بهاء الدين العاملي ومحمد تقي المجلسي والد (صاحب البحار) وغيرهم من رؤساء الملّة والعلماء الأجلّة، وغيرُ خفي أيضاً أن التصوف إنّما هو من فساد الاعتقاد كالقول بالحلول أو الوحدة في الوجود أو الاتّحاد، أو فساد الأعمال كالأعمال المخالفة للشرع التي يرتكبها كثيرٌ من المُتصوفَة في مقام الرياضة أو العبادة، وغيرُ خفيٍ على المُطلعين على أحوال هؤلاء الأجلة، إنهم مُنزهون من كلا الفسادين قطعاً. فلهذا: قال المجلسي الثاني في آخر عقايده: وإياكَ أن تظنّ بالوالد العلامة نورّ الله ضريحَه، إنه كان من الصوفية ويعتقد مسالكهم ومذاهبَهم، حاشاه عن ذلك، وكيف يكون كذلك؟ وهو كان آنسَ أهل زمانه بأخبار أهل البيت (عليهم السلام)، وأعلَمهم وأعملَهم بها، بل كان سالكَ مسَالكِ الزُهد والورع، وكان في بدو أمره يتسمّى باسم التصوف، ليُرغب إليه هذه الطائفة ولا يستوحشوا منه، فيردعهم عن تلك الأقاويل الفاسدة والأعمال المُبتدَعة، وقد هدى كثيراً

منهم إلى الحق بهذه المجادلة الحسنة. ولمّا رأى في آخر عمره أن تلك المصلحة قد ضاعت، ورُفعت أعلامُ الضلال والطغيان، وغلبت أحزابُ الشيطان، وعلم أنهم أعداء الله صريحاً، تبرّء منهم وكان يُكفّرهم في عقايدهم الباطلة، وأنا أعرفُ بطريقته، وعندي خطوطٌ في ذلك.

ويقول صاحب «بهجة الآمال في شرح زبدة المقال»: ومن هنا، يظهر التأمّلُ في ثُبوت الغلو وفساد المذهب، بمجرد رمي عُلماء الرجال من دون ظهور الحال كما هو حقُه. ويضيف بالقول: ثم، إن هذا الشيخ الأجّل (ابن فهد الحالي) كان في الحلة السيفية، وله الرواية بالقراءة والإجازة عن الشيخ مقداد السيوري، وعلي بن الخازن الحائري، وابن المُتوّج البحراني.

وقال صاحب كتاب «روضات الجنات»: وجدتُ في بعض مُصنّفات مَن عاصرناه، إن ابن فهد، ناظَرَ أهلَ السنة في زمان (الميرزا أسبند التركمان) في الإمامة، وكان والياً على عراق العرب، فتصدّى الإثبات مذهبه وإبطال مذاهب أهل السنة، وغلب على جميع علماء أهل العراق. فغيّر الميرزا مذهبَه وخطبَ باسم أمير المؤمنين وأولاده الأئمة (عليهم السلام).

يروي عن ابن فهد الحلي، عددٌ من كبار العلماء الثُقات الأجلّة منهم: الشيخ علي بن هلال الجزائري، والشيخ علي بن عبد العال الكركي، والشيخ العالم الفقيه عز الدين الحسن بن علي بن أحمد بن يوسف الشهير بـ (ابن العشرة الكرواني العاملي)، وكان هذا الأخير من العلماء العُقلاء، كثير الورع والدُعاء والعبادة، وجاء ذكرُه في الأمل: إنه كان فاضلاً زاهداً فقيهاً، وكانت أمّه ولدت في بطنٍ واحدٍ عشرةَ أولاد في غشاءٍ من جلد، فعاشَ منهم واحدُ وماتَ الباقي، فلذلك سُمّي ابن العشرة، يروى عن ابن فهد.

وكان ابن فهد الحلّي من أجلّاء تلامذة العالم والفقيه النحرير، الشيخ علي بن الخازن الحائري، الذي كان من مشاهير أعلام الدين والفضيلة في حوزة كربلاء في القرن الثامن الهجري، وكان على جانب عظيم من العلم والمعرفة، والورع والصلاح والتقى، قال فيه صاحب «روضات الجنات» السيد

الخونساري: كان (رحمه الله) من المُحققين الفضلاء، حاله في الفضل والنبالة، والعلم والفقه، والفصاحة، والأدب والإنشاء، معلوماً معروفاً عند العامة والخاصة، وكفاه فخراً تتلمذه على شيخنا الشهيد الأول، وإجازة وكتب في إجازته وقال: لما كان المولى الشيخ العالمُ المتقي، الورع المحصل، القائم بأعباء العلوم، الفائق، أولي الفضائل والفهوم زين الملة والدين، أبو الحسن علي بن المرحوم السعيد الصدر الكبير العالم عز الدين أبي محمد الحسن بن المرحوم المغفور سيدنا الإمام شمس الدين محمد، الخازن بالحضرة الشريفة المُطهرة مهبط ملائكة الله، ومعدن رضوانه التي هي من أعظم رياض الجنة المستقر بها، سيدُ الأنس والجن إمام المتقين، وسيد الشهداء في العالمين ريحانة رسول الله وسبطه وولده أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ابن سيد الثقلين أمير المؤمنين أبي الحسنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ممّن رغب في إنشاء العلوم العقلية والنقلية، والأدبية والشرعية، استجاز العبدَ المغتفر إلى الله تعالى محمد بن مكي، فاستخار الله وأجازَ له جميعَ ما يجوز عنه، وله روايته من مُصنف ومؤلف، ومنثور ومنظوم، ومقرؤ ومسموع، ومتناول ومجاز، فيما صنّفه... الخ.

وكان الشيخ أحمد بن فهد الحلي يروي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، الذي أجازه بالرواية عنه في سنة ٧٩١ هـ بالحائر الحسيني، توفي الشيخ علي بن الخازن كما في بعض النسخ سنة ٧٩٣ هـ.

المدرسة الإخبارية في كربلاء:

منذُ القرن العاشر الهجري، شهدت الحركة العلمية في كربلاء فُتوراً نسبياً، واشتدّ هذا الفُتور، واتخّذ مَنحىً خطيراً في القرن الحادي عشر، واستمَر فشملَ القرنَ الثاني عشر أيضاً، إلّا ما استُثني منه عقداه الأخيران. ولم يقتصر الفتورُ العلمي على حوزة كربلاء، بل شمل كذلك حوزةَ النجف وسائر الحوزات في العراق وإيران.

ففي القرن العاشر الهجري، لم تبرزْ على الساحة العلمية في كربلاء

شخصياتٌ علمية من الطراز الأول، صحيحٌ أن هناك أسماءاً لمعت، لكن أصحابها لم يكونوا بتلك المكانة العلمية الرفيعة بما يُؤهّلهم لخلق نهضةٌ علمية نشطة، أي أنَّ المسرحَ العلمي خلا من الشخصيات التاريخية ومن الرموز المُتألِقّة التي تكمن فيها عواملُ الجذب والحركة، والتجديد والإبداع، وكان من نتيجةِ ذلك أن حصلَ تخلخلٌ أو بالأحرى فراغٌ على الساحة العلمية الإسلامية.

وحينما يطرأ فراغٌ ما على أي صعيد من أصعدة الحياة، فإنه من الطبيعي جداً أن يتمّ مِلءُ هذا الفراغ بصورةٍ أو بأخرى، خاصةً إذا ما استمر لفترةٍ طويلة، وإذا لم يحصل مِلءُ الفراغ من جديدٍ بواسطة قوىً مُتجدِّدة للاتجاه السابق الذي كان يُشغِلُه، فأنّه لا جَرَمَ سيُملأ من جانب قوىً لاتجاه آخر قد يكون على نقيضٍ أو تعارضٍ مع الاتجاه الأول، وإن أيَّ اتجاه يملأُ الفراغَ يُصبحُ هو الغالب فيه، لأنَّه يفرضُ سيطرتَه على الساحة التي نشأ الفراغُ فيها أصلاً.

ولكن يبرزُ سؤالٌ هنا، وهو لماذا حصلَ أصلاً مثلُ هذا الفراغ في الحوزات العلمية وعلى المسْرح العلمي الإسلامي بوجهٍ عام؟.

للرّد على ذلك نقول: لقد برزت نزعةُ التصوف والركون إلى الغيّبيات البحتة، والانقطاع عن شؤون الحياة المُعاشة على مستوى العالم الإسلامي وبخاصةٍ في إيران والعراق، وذلك من جَراءّ الظروف والأحوال المُتردّية التي شهدتها البلدانُ الإسلامية، حينما سادتها حالةٌ خطيرة من التقهقر والتأخر والفوضى والتناحرات الداخلية، الأمرُ الذي نتجَ عنه اضطرابٌ في الأمن وتسيّبٌ خطيرٌ في مقاليد الأمور، إذْ الحروبُ الطاحنة كانت على أشدِّها بين الأمراء والحكام في الدول الإسلامية، وبخاصةٍ بين الدولتين الإسلاميتين العظيمتين الإيرانية والعثمانية، وكذا بين الدولتين الإيرانية والافغانية.

وقد اتسم معظمُ هذه الحروب بالطابع المذهبي العقائدي، أي أنها كانت مُشتعلةَ الأوار لأسبابٍ تتعلق بالخلافات المذهبية العقائدية، ممّا تسبّبَ

في خلق مُوجةٍ من البلبلة والتشويش في الأفكار والاتجاهات، وفي إضعاف وإنهاكِ الرُوح المعنوية بين الناس.

ومن العوامل الرئيسية التي قوّتَ الاتجاهَ الصوفي المُغالي فيه، وأسندته بشكلٍ مُقنّن، هو ظهورُ الأسرة الصفوية على مسرح الحكم الزمني في إيران، والتي نهض بعضُ ملوكها للدعوة والترويج لنزعة التصوّف، فقد كان مؤسسُ هذه الأسرة «الشاه صفي» صوفياً مُتشدِّداً، ونظراً لأنَّ ايديولوجيةِ هؤلاء الملوك في حُكم الدولة تمثلّت في الركون إلى التصوف، لذا سعوا إلى نشره وترويجه سرّاً في البداية، وعَلناً في المراحل اللاحقة حتى أخذت النزعةُ الصوفيةُ إطارَها الرسمي المُقنَّن.

إن تفكك الصلة التي تشدُّ رجالَ الدين بالحياة المُعاشة وبحقائقها المحسوسة والملموسة، وابتعادهم عن تفاعلات المسرح الاجتماعي، ومسيرة النشاطات اليومية وانقطاعهم عن الموقف الزمني بوجه عام، بسبب الظروف المأساوية التي عمّت أرجاءَ العالم الإسلامي، في خضّم التناحرات والصراعات بين اولي الأمر وأصحاب السلطة والجاه فيه، والتي كان سوادُ الناس أودَها وقرابينها، أدّى بالتالي إلى انتشار عادة الزهد المُغالى في جميع شؤون الحياة، وخلق حالة من اليأس، والإحباط، وتدعيم رُوح الإستسلام والقنوط، ممّا نشأت عنه نزعةُ التصوف التي بانتشارها واستمرارها اتخذت بالتدريج إطاراً علميّاً على حساب الفلسفة الاشراقية التي كان لها أنصارٌ أقوياء، مثل الملاّ صدر الدين الشيرازي المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ.

وبسبت الفُتور العلمي الطويل الذي سادَ الحوزات العلمية في كربلاء والنجف والحوزات العلمية في إيران، وكذا غياب الإتجاه العلمي المُتعمّق والمسنود بقوة العقل والمنطق والعُرف المقبول، باتت نزعة التصوف تطغى على كلّ شيءٍ وتتخذ طابعَ الغلو المُتزايد.

وهكذا انصرمَ القرنُ الحادي عشر مثلما انصرمَ أكثرُ عقود القرن الثاني عشر، فيما الروحُ العلمية راكدة وفاتِرة إلى حدٍّ كبير، حتى أنَّه بعد الشيخ

المجلسي صاحب كتاب «بحار الأنوار» المتوفى سنة ١١١١ هـ، لم تلمع أسماء بارزة من الفقهاء الأصوليين، ممّن يستحقون أن يُصنفّوا في الطبقة الأولى، أو ممّن تتوفر لهم مكانةُ الرئاسة العامة، ما عدا واحدٍ أو اثنين ظهرا في أواخر القرن الثاني عشر، وهما الشيخ الفتوني في النجف المتوفى سنة ١١٨٣ هـ، والمجتهد البارع الآغا وحيد البهبهاني في كربلاء المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ.

وأمام ظاهرة تفشي نزعة التصوف والمغالاة فيها إلى أبعد الحدود، كان لابـدّ من حدوث ردّ فعلٍ معاكس، غير أن الرد العكسي هذا، لم يأت من جانب دعاة توظيف علم الأصول في استنباط الأحكام الشرعية من نصوصها الأصلية والفرعية، وما يتطلب ذلك من تدقيق وتحقيق في مصادر الأخبار والروايات، ومن فرزٍ بين قويها وضعيفها، وبين ما هو من الاخبار حقيقي وما هو مدسوس ومُختلق تبعاً لشخصية الرُواة والمحدّثين، بل جاء الردّ من أفكار جديدة ظهرت على الساحة الدينية في كربـلاء أولاً، ومن ثَمَّ في حوزة النجف، فبدأت تدعو الناس إلى التمسك فقط بالأخبار الواردة في الكتب الموثوق بها، والتقيّد بظواهرها دون اعتبار لمصادرها ونبذ علم الأصول، من حيث أن العقل لا يجوز الرجوع إليه في كل شيء.

ثم بدأت مع هذه الأفكار مسيرة الغلو، حتى انتهى المطاف بها إلى مرحلة نكران الاجتهاد وترك التقليد في المسائل والأحكام الشرعية.

وبظهور هذه الأفكار نشأت مدرسة الإخبارية الحديثة، وكان أول من دعا لهذه الفكرة، هو السيد الميرزا محمد أمين الاستـرابادي، المتـوفى سنة ١٠٢٣ هـ، وقد تزعّم الاخباريين في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أولُ من باحث المجتهدين الأصوليين، داعياً للعَمل بمتون الأخبار الواردة، قائلاً: إن اتباع العقل، والاجماع، واجتهاد المجتهد، وتقليد العامي، للشخص المُجتهد من المستحدثات، وقد ضمّن آراءَه هذه في كتاب سمّاه «الفوائد المدنيّة في الردّ على من قال بالاجتهاد والتقليد»، وهو كتاب مطبوع، وكان عند تأليفه له مُجاوراً بالمدينة، فسمّاه بـ«الفوائد المدنية. . .».

ثم لمع اسم شخصية علمية ذات مكانة مرموقة وشأن عظيم على صعيد الفقه الجعفري الإمامي في حوزة كربلاء، هو المحدّث الكبير والفقيه النحرير، الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شيبة الدرازي البحراني، صاحب كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، المولود سنة ١١٠٧ هـ والمتوفى سنة ١١٨٦ هـ، والذي كان من أجلّاء وأفاضل العلماء المتأخرين، وكان صاحب ذهنٍ مُتوقّد، وذوقٍ سليم مُتزن، وله باع طويل في الفقه والحديث، وكان على طريقة الإخباريين، وإن لم يكن مُتطرفاً في ميله هذا، ويقال إنه اتجه إلى الأصول عندما أقنعه العلماء المجتهدون وعلى رأسِهم الوحيد البهبهاني.

وقد قال في حقه، أبو علي صاحب كتاب الرجال: عالم، فاضل، مُتبحر، ماهِر، مُحدِّث، وَرع، عابد صَدُوق، دَيِّن، من أجلّة مَشايخنا المُعاصرين، وأفاضل علمائنا المُتبحرين، كان أبُوه الشيخ أحمد من أجلّة تلامذة شيخنا، الشيخ سليمان الماحوزي وكان عالماً، فاضلاً، مُحقِقاً، مُدققاً، مُجتهداً، صرفاً... رجع إلى الطريقة الوسطى وكان يقول أنها طريقةُ العلامة المجلسي صاحب البحار وعلّق صاحبُ «أعيان الشيعة» على الطريقة الوسطى بقوله: وكان مرادُه بالطريقة الوسطى، ترك بعض ما يقوله الإخباريون من أنهم لا يعملون إلاّ بالقطع، وإن الإخبار قطعية وغير ذلك من الأمور، وإلاّ فالرجلُ إخباري صرف، لا يدخل في شيءٍ من طُرق المُجتهدين كما تشهد بذلك مُصنفاتُه، نعم رُبّما يكون قد ترك شيئاً من مقالاتهم، فقيل فيه أنه على الطريقة الوسطى.

وقال في ترجمة نفسه في «إجازته الكبيرة»: أنه وُلد في السنة السابعة بعد المائة والألف في قرية «الماحوز» بالبحرين، واشتغل وهو صبيٌ على والده (طاب ثراه)، ثم على العالم العلامة الشيخ حسين الماحوزي، واشتغل أيضاً على الشيخ أحمد ابن عبد الله البلادي وغيرهما من علماء البحرين، وبقي مدة مُشتغلاً بالتحصيل، ثم سافر إلى الحج وزارَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته،

ثم رجع إلى القطيف وبقي بها مدةً مُشتغلاً بالتحصيل، وبعد خراب البحرين واستيلاء الأعراب وغيرهم عليها فَرَّ إلى ديار العجم وقطن كرمان، ثم في شيراز وتوابعها من الاصطهبانات مُشتغلاً بالتدريس والتأليف، ثم سافر إلى العتبات العاليات وجاور في كربلاء شرفها الله، إلى أن قُبِضَ بها بعد ظهر يوم السبت الرابع من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين بعد الألف والمائة، وتولّى غسلَه كما في رجال أبي علي المُقدّس، الشيخ محمد علي الشهير بابن السلطان والحاج معصوم وهما من تلامذته، وقال: صلّى عليه العلامةُ البهبهاني (الوحيد البهبهاني)، واجتمع خلفَ جنازتِه جمعٌ كثير وجمهورٌ غفيرٌ مع خلوّ البلاد من أهلها لحادثةٍ نزلت بهم، قيل وهي الطاعون العظيم الذي كان في تلك السنة في العراق، وهاجر فيها السيد بحر العلوم إلى مشهد الرضا عليه السلام ثم رجع إلى أصفهان، ودُفن في الرواق عند رجلي سيد الشهداء ممّا يَقرُبُ من الشباك المبوّب المقابل لقبور الشهداء، وابتلي في آخر عمره بثقل السامِعة، كما عن المحقق السيد محسن البغدادي في رسالته التي ردَّ بها مُقدِمات الحدائق.

له مؤلفات نافعة منها وهو أحسنها: «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، خرجَ منه جميعَ العبادات إلّا الجهاد، وأكثرَ المعاملات إلى الطلاق، و«الدُرر النجفيّة»، و«سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد» رداً على شرحه لنهج البلاغة، و«الشهاب الثاقب في معنى الناصِب»، و«النفحاتُ الملكوتية في الرد على الصوفية»، و«أعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين»، و«معراج النبيه في شرح من لا يحضرُه الفقيه»، و«جليس الحاضر وأنيس المسافر»، و«لؤلؤة البحرين»، والكتاب الأخير يشتمل على ترجمة أحوال أكثر علماءِ الشيعة إلى زمان الصَدوقين، وعشرات من الرسائل من أهمّها: «انفعالُ الماء القليل بالنجاسة» رداً على الكاشي، و«الردُّ على السيد الداماد في قوله بعموم المنزلة في الرضاع»، و«أجوبة المسائل البحرانية»، و«أجوبة المسائل البهبهانية»، و«أجوبة المسائل الكازرونية»، و«أجوبة المسائل الشيرازية».

مما تقدَّم يتبيّن لنا أن حوزة كربلاء أصبحت متأثرة بالمدرسة الأخبارية وباتت هذه المدرسة هي المُوجهة للحركة التدريسية فيها واستمرت هذه المدرسة تفرض نفسها على الحركة العلمية في حوزتي كربلاء والنجف وبعض الحوزات الأخرى، لفترة ناهزت نصفَ القرن، لكنها هي الأخرى طوت مسيرة الغلو، وذلك بالرغم من ميل كبارِ الفقهاء الإخباريين، الذين اختاروا الطريقة الوسطى والذين لم ينزلقوا في متاهات الغلو المُفرط، مثل العالم الجليل الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق الناضرة»، الذي التزم بالوسط ولم يقف إلى جانب الإخباريين المُتزمتين والمُغالين، كما جاء آنفاً. ولكن عندما وصلت المدرسة الإخبارية إلى ذروة شأنها، كان لا بدّ من حصول ردة فعل في مُواجهتها، وهكذا برز التحدّي الكبير، وكان ذلك من جانب الفقيه العبقري، والمجتهد الفحل الشيخ باقر وحيد البهبهاني.

وتبقى هناك حقيقة أخرى، وهي أن للإخباريين حججهم وبراهينهم، ووجهة نظرهم التي لم يتسنَّ الاطلاع عليها بالتفصيل، بيد أنَّ من جملة ما يقولونه، هو أنَّ الالتزام بالأخبار المنقولة، كان سنة السلف الصالح وكبار علماء الشيعة من قبل، وحتى أن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) كانوا أخباريين بدورهم أيضاً.

والجدير بالذكر هنا، أن هذه المعالجة للحركة الإخبارية لا تُبطن انحيازاً أو إساءة لأحدٍ أو لفئة، بل الغاية منها، هي شرحُ حقيقة عاشتها الحوزة العلمية في كربلاء قبلَ أكثرَ من قرنين، إذْ لا يمكن نكران حقيقة أنه كانت هناك جولة فكرية للإخباريين على الساحة التدريسية والعلمية في كربلاء والنجف، ومن ثمَّ انكماش لهم إمامِ مدرسة الأصوليين بزعامة الوحيد البهبهاني، هذا تاريخ لم نأت به جديداً. والمهم في الأمر أن الحرية الفكرية الموجودة في الحوزات العلمية، تُأطَّر دائماً بإطار التقوى والتدين ويرجع الشرخ الذي يحدث أحياناً بسبب نشوء أفكار جديد على الساحة العلمية، يرجع ليكون التلاطم هو البديل.

مرحلة ترسيخ الاجتهاد في حوزة كربلاء:

وهكذا مرّت ثلاثةُ قرون مُتتالية على جوزة كربلاء، والحركة العلمية فيها مُتواصلة لكنها فاترةُ نسبياً، أو أنَّ ساحتَها أصبحت وقفاً على المدرسة الإخبارية حتى أواخر القرن الثاني عشر، حينما لمع نجم عالم كبير، ومُحقّق فهّامة، وفقيه مُتبحّر، هو الشيخ الآغا الوحيد البهبهاني، الذي تصدّى للتوفيق بين المدرستين وإرجاع حالة التحقيق العلمي إلى الحوزة، واستطاع بمنطقه المُقنع، وتعبيراته المُبرهنة، واستدلالاته الرصينة، من أن يُغيّر رأي الكثيرين، فقد كان هذا العالم النحرير والمُفكّر الفطن، الذي قيل عنه: إنه مُجدّد المذهب على رأس المائة الثانية عشرة مُتكلماً لبقاً وحصيفاً، حيث مكنته قدرتُه العلمية الهائلة، وتعبيراتُه الاستدلالية المُتّزنة، من أن ينهض لمُجادلة ومُناقشة المسائل الخلافية، مدعوماً بمجملةٍ من مؤلفاته ومُحاججاته الشفوية، ودُروسه وتقريراته الأصولية التي كان يُلقيها على تلامذته الكثيرين، الذين التفّوا حولَه بالمئات، حتى انكمشت في عصره الخلافات الحادة ورجعت الحوزة إلى سابق عهدها في البحث والتحقيق والتدقيق على ضوء المدرسة الاجتهادية المعروفة. وقد وصفه تلميذُه المبرّز، العالم الجليل، والفقيه النحرير، السيد محمد مهدي بحر العلوم المُتوفّى سنة ١٢١٢ هـ، في بعض إجازاته بقوله: شيخُنا العالم العامل، وأستاذنا الحبر الفاضل، الفهّامة المُحقق النحرير، والفقيهُ العديم النظير، بقيةُ العلماء ونادرةُ الفضلاء، مُجدّد ما أندرسَ من طريقة الفقهاءُ، ومُعيدُ ما انمحىٰ من أثر القدماء، البحرُ الزاخر، والإمام الباهر، الشيخ محمد باقر ابن الشيخ الأجلّ الأكمل، والمولى الأعظم الأبجل، المولى محمد أكمل، أعزّه الله برحمتِه الكاملة، وألطافه السابغة الشاملة.

كما ترجمه تلميذُه الآخر، العالم الرجالي، أبو علي محمد بن إسماعيل المقدّس الحائري، المتوفّى سنة ١٢١٦ هـ، صاحب كتاب «مُنتهىٰ المقال في أحوال الرجال»، فقال فيه: أستاذنا العالم العلاّمة، وشيخُنا الفاضل الفهّامة، ـ دام علاه ومُدّ في بقاه ـ علاّمة الزمان، ونادرة الدوران، عالم عريف، وفاضل

غطريف، ثقة وأي ثقة، ركن الطائفة وعمادها، وأروع نسّاكها وعُبّادها، مؤسس ملة سيد البشر في رأس المأة الحادية عشرة، باقر العلم ونحريره، والشاهد عليه تحقيقه وتحبيره، جمع فنون الفضل فانعقدت عليه الخناصر، وحوىٰ صنوف العلم فانقاد له المُعاصر، والحريّ أن لا يمدحه مثلي ويُصف، فلعمري تُفنىٰ في نعتِه القراطيس والصحف، لأنه المولىٰ الذي لم تكتحل عينُ الزمان له بنظير، كما يشهد له من شهد فضائلَه، ولا يُنبئُك مثلُ خبير، كان ميلادُه الشريف في سنة ثماني عشرة أو سبع عشرة بعد المائة والألف في اصفهان، وقطن فترةً في بهبهان ثم انتقلَ إلى كربلاء ـ شرّفها الله ـ وكان ربّما يخطُرُ بخاطره الشريف الارتحالُ منها إلى بعض البلدان، لتغيّر الدهر وتنكّد الزمان، فرأىٰ الإمام الحسين عليه السلام في المنام يقول له: لا أرضَ أن تخرجَ من بلادي، فجزمَ العزم على الإقامة بذلك النادي، واهتدىٰ المُتحيّر في الأحكام بأنوار علومه، وبالجملة كل من عاصره من المجتهدين، فإنّما أخذَ من فوائده واستفاد من فرائده، وله مصنّفات رشيقة، وتحقيقات أنيقة، ثم أنهاها زهاءَ ستين مُصنّفاً صرفنا عن ذكرها مخافةَ التطويل.

وترجمه الشيخ آغا بزرك الطهراني، في كتابه «الكرامُ البررة في القرن الثالث بعد العشرة» فقال عنه: هو الشيخ الآغا محمد باقر ـ الشهير بالأستاذ الأكبر وبالوحيد ـ ابن المولى محمد أكمل الاصفهاني البهبهاني، مجاهد كبير، ومؤسسٌ محقّق، وأشهرُ مشاهير علماء الإمامية وأجلّهم في عصره، وُلد باصفهان في سنة ١١١٨ هـ، أو ١٧، أو ١٦، ونشأ بها ثم انتقل إلى بهبهان مع والده فاشتغل بها عليه ردحاً من الزمن، ثم هاجرَ إلى كربلاء فجاورَها وحضر على أركان الملّة، وأقطاب الشريعة من سدنة المذهب وفُحول العلماء، والغريب أن المُترجمين له من القدماء والمُتأخرين، لم يُشيروا إلى أحدٍ من مشايخه إلّا والدَه الجليل، وقد عرفنا من بعض مؤلفاته، إنه من تلاميذ العلّامة السيد صدر الدين الرضوي، مؤلف «شرح الوافية التونيّة»، فإنه ذكرَه في «رسالتِه في الاجتهاد والتقليد»، التي ألفَّها في سنة ١١٥٥ هـ، وقد عبَّر عنه هناك بقوله: السيد السند الأستاذ، ومن عليه الاستناد (دام ظلّهُ) ومن

دعائه له كذلك استفدنا أن وفاةَ السيد صدر الدين كانت بعد تلك السنة، وعلى أي حالٍ فإن المتَرجَم لمّا وَرَدَ كربلاء المشرفة قام بأعباء الخلافة، ونهض بتكاليف الزعامة والإمامة، ونشر العلم بها واشتهر تحقيقُه وتدقيقُه وبانت للملأ مكانتُه السامية، وعلمُه الكثير، فانتهت إليه زعامةُ الشيعة ورئاسة المذهب الإمامي في سائر الأقطار، وخضع له جميعُ علماء عصرِه، وشهدوا له بالتفوق والعظمة والجلالة، ولذا اعتُبر مُجدِّداً للمذهب على رأس هذه المائة، وقد ثُنِيتْ له الوسادةُ زمناً استطاعَ خلالَه أن يعملَ ويُفيد، فهو الوحيد من شيوخ الشيعة الأعاظم الناهضين بنشر العلم والمعارف، وله في التاريخ صحيفة بيضاء، يقف عليها المُتتبّع في غضون كُتب السير ومعاجم الرجال، والحق أنّا وإن أطنبنَا في ذكره، وأشدنا به فلا شك أنّا غيرُ واصفيه على حقيقته، وقد أحسن وأنصف الشيخ عبد النبي القزويني في «تتميم الأمل»، حيث اعترف بالعجز عن توصيفه وتعريفه، فكيف يُوصف وبأيّ مدحٍ مَن خرج من معهد درسه جمعٌ من أعلام الدين، وعباقرة الأمة، وشيوخ الطائفة، ونواميس الملّة، كالمولىٰ مهدي النراقي والميرزا أبي القاسم القمي والميرزا مهدي الشهرستاني والسيد محسن الأعرجي والشيخ أبي على الحائري والشيخ الأكبر كاشف العظاء (الشيخ جعفر)، والسيد مهدي بحر العلوم، والشيخ أسد الله الدزفولي والسيد أحمد الطالقاني النجفي، والسيد محمد باقر حجة الإسلام الاصفهاني وغيرهم من مُشيّدي دعائم الدين، ومُقوّمي أركان المذهب، أعلىٰ الله درجاتهم جميعاً. توفّي المتَرجَم في الحائر الشريف في سنة ١٢٠٨ هـ، ودفن في رواق حرم الحسين عليه السلام ممّا يلي أرجل الشهداء، ورثاه جمعٌ كبير من علماء ذلك العصر وشعراءه، كالشيخ محمد رضا النحوي والشيخ مسلم ابن عقيل. . . والسيد محمد زيني، والشيخ علي بن محمد حسين الكاظمي المعروف بـ «زيني» أيضاً، والشيخ محمد علي الأعسم وغيرهم، وله تصانيف جليلة، ورسائل كثيرة ملأها بنظراته العميقة، وأفكاره العالية، يقول بعض مُترجميه أنها قرب ستين رسالة وكتاب، إلاّ أني رأيتُ فهرسَها بخطِه الشريف، على ظهر بعض تصانيفه التي رأيتُها في مكتبة السيد محمد علي السبزواري كتبَه بالفارسية هكذا: «تفصيل مؤلفات أين أقل أذل محمد باقر بن محمد

أكمل عُفي عنهما بمحمد وآله...»، ثم شرع في تعدادها حتى أنهاها إلى أربعة وأربعين كتاباً ورسالةً، مع تعيين مواضيعها وفهرس فصول بعضها... الخ.

وبخصوص مدرسة الآغا محمد باقر الوحيد البهبهاني ومباحثاتها مع مدرسة الإخباريين، فقد ذكر رجلُ الدين المسيحي الأب «أنستاس ماري كرملي» ما معناه: لقد كانت في القرن الثاني عشر لهجرة نبيّ الإسلام محمد العربي، مدرستان فكريتان للشيعة في كربلاء تتنافسان، وهما: مدرسة الإخبارية ومدرسة الأصولية، حتى ظهر ذلك العالم الكبير، والمُصلح العظيم، العلامة المعروف بالآغا باقر البهبهاني، نشأ وتألق ذلك العالم العبقريِ في بهبهان إحدىٰ مدن الخليج الفارسي، ثم هاجر إلى كربلاء بالعراق، فنفخَ من رُوحِه في مدرسة الأصولية وعلى يد ذلك العلامة الشهير تأسست المدرسةُ الأصولية الكبرى أو «دار المعلمين في النجف»، وصارت هذه المدينة مدرسة عالية، فالنجف اليوم هي مدرسة الآغا باقر البهبهاني، وكل من نبغ فيها أو ينبغ من العلماء، فهم تلامذة الآغا البهبهاني.

وعلى كل حال، فإنه بخلو الساحة العلمية في كربلاء من دُعاة ومُبلّغي الخلافات الحادة، عاد الاتجاه الاجتهادي الأصولي ليملأها من جديد، ولكن بمرتكزات علمية ومعطيات دراسية مُتجدّدة، وذلك بفضل التراث الكبير الذي خلّفه الوحيدُ البهبهاني.

ومن مدرسته الأصولية العقلية التي ترسخت جذورها وتدعمت أُسسها في حوزة كربلاء أولاً وفي حوزة النجف ثانياً، تخرّج فيما بعد رعيلٌ من فطاحل العلماء الأصوليين، الذين برزوا وتفوقوا على أسلافهم بدرجاتٍ عالية، مثل: العلامة الكبير المولى محمد كاظم الخراساني صاحب كتاب «الكفاية»، الذي بات منذ عهده وحتى اليوم أهمَّ كتاب أصولي مُتعمّق يدرسه ويتفقّه فيه العلماءُ وطلابُ العلوم الدينية على حدٍّ سواء، ومثل تلميذ هذا الأخير، وهو العلامة الميرزا محمد حسين النائيني، الذي سعىٰ بدوره إلى تربية جيل من العلماء الأُصوليين، الذين لا يزال عددٌ كبير منهم ومن تلامذتهم أيضاً، يتولّى

مقاليدَ حركة الدرس والبحث في الحوزات العلمية القائمة في وقتنا الحاضر، وكذا تلميذ الخراساني الآخر، وأعني به العالم الأصولي الكبير الشيخ ضياء الدين العراقي المتوفى سنة ١٣٦١ هـ، والذي كان بحق عالماً أصولياً مبرزاً وفحلاً أسهم بدور فاعل في تربية جيل من العلماء الأصوليين، الذين لا يزال البعض منهم على قيد الحياة ويقوم بدور فاعل في دفع مسيرة العلم والتدريس قدماً إلى الأمام، وفي حق هذا الأخير ـ الشيخ ضياء الدين العراقي ـ ذكر صاحب «أعيان الشيعة» بما يلي: كان يُعتبر من بقية علماء السلف المعروفين بغزارة العلم وسعة العقلية، كما يُعتبر المعلم الأول بحق للعلوم الدينية ولا سيما الأصول، فقد رقي منبر التدريس مدة خمسين سنة مُتواصلة... الخ.

حوزة كربلاء على عهد الوحيد:

كان طبيعياً والحالة هذه أن تنشط الحوزة العلمية في كربلاء على عهد الشيخ الوحيد البهبهاني، وأن تدّبَ الحركة والحياة النابضة في أوصالها من جديد، بعد تلك الفترة الطويلة من الفتور النسبي، حتى أضحت كربلاء مركز استقطاب للعلماء وطلّاب العلم والمعرفة من كل حدب ومكان، نظراً للجاذبية الشديدة التي كان الوحيد البهبهاني قد أوجدها بشخصيته العلمية الفريدة في نوعها، وبنشاطاته التدريسية والبحثية المكثفة، فتحولت الحوزة العلمية بهذه المدينة إلى ساحةٍ تعج وتزخر برهطٍ كبير من العلماء والفقهاء، والأساتذة والمحقّقين وجموع غفيرة من طلاب العلم والفضيلة، حتى برزت وتألقت بوصفها المركز الشيعي الديني الأول في العالم الإسلامي، وفي هذا الوقت كانت الحوزة العلمية في النجف تابعةً فكرياً لحوزة كربلاء المُزدهرة والمُتوهّجة بصولة الوحيد وأصابه وتلامذته.

وفي الحقيقة أن النقلة النوعية والحركة التجديدية التي شهدتها حوزة كربلاء العلمية في عهد الوحيد، تساويان بل تفوقان كل ما أحرزته هذه الحوزة من قبل وعَبْرَ القرون الطويلة، من عطاء علمي وتراث فكري زاخر، ذلك أن في عهد هذا العالم العبقري فُتحت صفحةٌ جديدة من التحقيق، والبحث الاستدلالي، والمنطق البرهاني، فأصبح للفقه إطاره العقلي المُحدّد، إلى

جانب إطاره النقلي، وتحدّدت الرؤية ووضح بالكامل مبدأ الاجتهاد الأصولي، وبذلك تكون حوزة كربلاء التي احتضنت شخصيةً علمية تاريخية، مثل الوحيد البهبهاني، قد أسدت خدمةً كبيرةً لمسيرة الفقه الاجتهادي الأصولي، (أي الفقه المدعوم بعلم الأصول).

وخلاصة القول إن النهضة التجديدية في الفقه وأصوله انطلقت بادىء ذي بدءٍ من حوزة كربلاء، على يد المربّي والمعلم الكبير الوحيد البهبهاني، وامتدت بعده إلى النجف، بفضل تلامذته الكبار الذين انتقلوا إلى هذه المدينة في الفترة اللاحقة من حياتهم العلمية، فأشاعوا في حوزتها أفكار الوحيد ومبادىء مدرسته الأصولية.

ويأتي في مقدمة هؤلاء الصفوة من تلامذته، السيد محمد مهدي بحر العلوم الذي كان بحق معيناً لا ينضب بالعلم وزاخراً بالفضيلة، حتى أنه اشتهر وذاع صيتُه لعلمه الغزير وطاقته الذاتية الهائلة في استيعاب العلوم العقلية والنقلية، فعرف عن جدارةٍ ببحر العلوم، وُلد في كربلاء سنة ١١٥٥هـ، وتركها قاصداً النجف، بعد أن درس في حوزتها وتتلمذ لدى أستاذه الكبير - البهبهاني - مستوعباً أفكاره الاجتهادية على أحسن وجه.

ومن تلامذته الكبار أيضاً، العالم الفحل والفقيه المُبجّل الشيخ جعفر الجناحي النجفي، صاحب كتاب «كشف الغطاء» المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ، ازدهرت الحوزة العلمية في النجف على عهده وعهد أنجاله العلماء المجتهدين المُبرّزين: الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن، اشتهر هو وعقُبه باسم كتابه «كاشف الغطاء».

ومنهم كذلك المحقق النابه والعالم المتتبع المولى محمد مهدي بن أبي ذر النراقي، أحد الأعلام المجتهدين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، له مؤلفات منها: «جامع السعادات» و«معراج السعادة» و«معتمد الشيعة» و«مشكلات العلوم» و«الخزائن». وعندما فرغ الشيخ النراقي من تحصيله العلمي في حوزة كربلاء، رجع إلى بلاده فاستقر في بلدة كاشان، حيث أسّسَ مركزاً علمّياً يُشّد إليه الرحال، بعد أن كانت هذه المدينة مقفرة من

العلم والعلماء، ثم قفل راجعاً إلى العراق، فتُوفي في النجف سنة ١٢٠٩ هـ.

وبانتقال العديد من كبار تلامذة الوحيد البهبهاني إلى النجف، انتقل معهم قسمٌ من الاتجاه العلمي التجديدي إلى حوزة هذه المدينة، فيما ظلّت حوزة كربلاء مُحتفظة بمركزها الرئاسي الأول، حتى تاريخ وفاة مُعلّم العلماء المجتهدين، الفقيه الجهبذ، والأستاذ المربّي، الشيخ شريف العلماء المازندراني.

ومن مشاهير تلامذة الوحيد البهبهاني في الحائر الشريف، العالم الرجالي الشيخ محمد بن اسماعيل بن عبد الجبار بن سعد الدين المازندراني الحائري المعروف بأبي علي، صاحب كتاب «منتهى المقال» في الرجال، ولد بكربلاء سنة ١١٥٩ هـ، وتوفي فيها سنة ١٢١٥ هـ، ذكر هو نسبه هكذا: محمد بن اسماعيل المدعو بأبي على البخاري محتداً، الغاضري مولداً، الجيلاني أباً، الشيباني نسباً، حكى هو نقلاً عن أبيه: إن نسبه يتصل بابن سيناء وقال عن نفسه: مات والدي ولي أقل من عشر سنين واشتغلت على الاستاذ العلامة ـ الوحيد البهبهاني ـ والسيد الاستاذ ـ السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض ـ و من أهم مؤلفاته، كتاب «منتهى المقال في أحوال الرجال» المعروف برجال أبي علي، ألفّه بإشارة المحقق السيد محسن البغدادي وضمنّه تعليقةْ استاذه البهبهاني، على «نهج المقال» للميرزا محمد، والمعروف بكتاب الرجال الكبير، واشتهر هذا الكتاب في عصره لاشتماله على كل تعليقة الوحيد البهبهاني، فصار معروفاً ومرجعاً للعلماء، وطبع مرتين في إيران. له مؤلفات ومصنفات عديدة أخرى منها: «رسالة عقد اللآلىء البهية في الرد على الطائفة الغبية» وترجمة مناسك الحج للوحيد البهبهاني من الفارسية إلى العربية و«رسالة زهر الرياض في الطهارة والصوم والصلاة» فارسية، وكتاب في الرد على صاحب نواقض الروافض، ورسالة أحكام الحج، وترجمة رسالة لولد الوحيد البهبهاني.

حوزة كربلاء بعد وفاة الوحيد:

بعد وفاة المجتهد الأصولي، المؤسس والفقيه، المُجدّد الشيخ محمد

باقر الوحيد البهبهاني في سنة ١٢٠٨ هـ، وحتى ظهور وتألق نجم المُربّي الكبير والفقيه النحرير شريف العلماء المازندراني، استمرت الحوزة العلمية بكربلاء مزدهرة وناشطة وزاخرة، برعيل من كبار العلماء المجتهدين والأساتذة المحقّقين، ممّن كانوا أقراناً أو تلامذة للوحيد البهبهاني، ولذا ظلّت النهضة العلمية التجديدية التي أوجدها الوحيد بكربلاء، متفاعلةً ومندفعةً إلى الأمام، خاصةً وإن هذه الفترة بالذات تميزت بصولة وجولة عالم ومحقق وفقيه تاريخي فذ، ترك بصماتِه على الحركة التدريسية والعلمية في كربلاء لفترة طويلة من خلال مؤلفاته القيمة وأعقابه الذين تولّوا شؤون الفتيا والتدريس في حوزة كربلاء جيلاً بعد جيل حتى لوقتٍ قريب.

وهذا العالم الكبير هو السيد المير علي الطباطبائي، الذي اشتهر بكتابه الفقهي المتميز المسمّى بـ «الرياض»، ينتمي لأسرة علوية عالية الشأن مرموقة المكانة، يرجع نسبها إلى ابراهيم الغمر ابن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكانت أسرته قد نزحت من مدينة بروجرد بإيران، واستوطنت الحائر الحسيني الشريف على عهد جدّه الأكبر أبي المعالي الكبير، فهو نجل السيد محمد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير، أخ السيد عبد الكريم بن أبي المعالي الصغير جدّ السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي الحائري.

وكان السيد المير علي الطباطبائي الحائري، عالماً وفقيهاً مُلمّاً ومُحيطاً بالاخبار والتاريخ وأصول وفروع الفقه والحديث والتفسير. ترجمَه عددٌ كبير من المُؤرخين المَعنيّين بسِيَر الرجال وتراجم العلماء، فقد ذكره صاحبُ «أعيان الشيعة» بقوله: وكان في أوّل أمره يكتبُ بكتابة الأكفان وهو مَشغولٌ بتصنيف كتابه «الرياض»، ثم انفتح عليه بابُ الهند في الدولة الشيعية وصارت الدراهمُ عندَه كأكوام الحُنطة، حتى اشترى دُورَ الكربلائيين من أربابها ووقفَها على سكانها وأهلها جيلاً بعد جيل، وبنى سورَ كربلاء وطلب عشيرةً من «البلوج» وأسكنَهم كربلاء لقُوتهم وشدّتهم، ورَوّجَ الدينَ بكل قواه وبذل في سبيل ذلك كل لوازمه وعظّم أهلَ العلم فقدَمهم وباركَ الله في كلّ أموره، تخرّج عليه

علماء أعلام وفقهاء عظام، صاروا من أكابر المراجع في الإسلام كصاحب المقاييس، وصاحب المطالع، وصاحب مفتاح الكرامة، وأمثالهم من الأجلّة، وقد ذكره تلميذه صاحب «المقابيس» (عبد الصمد الجزائري التستري النجفي، المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ) فقال عنه: الأستاذ الوحيد، سيد المُحقّقين وسندُ المُدقّقين، العلامة النحرير مالك مجامع الفضل بالتقرير والتحرير، المتّفرع من دَوحة الرسالة والإمامة، المُترعرع في روضة الجلالة والكرامة، الرافع للعلوم الدينية أرفعَ راية، الجامع بين محاسن الدراية والرواية، مُحيي شريعة أجداده المُنتجبينَ، مُبيّن معاضل الدين المُبين، بأوضح البراهين وأوضح التبيين، نادرة الزمان، خلاصة الأفاضل الأعيان، الحاوي شتات الفضائل والمفاخر، الفائق بها على الأوائل والأواخر، أول مشائخي وأساتيذي، وسَنَدِي، وملاذي، وعمادي، السيد علي بن محمد علي الطباطبائي الحائري، أدامَ الله وجودَه، وأفاضَ عليه لطفه و جُوده. وهو ابن أخت الأستاذ الأعظم (الوحيد البهبهاني) وصهرُه وتلميذُه، وروي عنه وعن غيره ورُوي عنه، وله شرحان معروفان عن النافع: كبير موسوم برياض المسائل، وصغير وهما في أصول المسائل الفقهية أحسن الكتب الموجودة في مسائل عديدة، وشرح مبسوط على قطعة من كتاب الصلاة من المفاتيح، مشتمل على معظم الأقوال والأدّلة... الخ.

وقال عنه صاحب «مطالع الأنوار» ـ السيد محمد باقر الموسوي الشفتي الجيلاني، المُتوفّى سنة ١٢٦٠ هـ، في بعض إجازاته عند عدّ شيوخه، وكما يلي: منهم شمسُ فلك الإفادة والافاضة، بدر سماء المجد والعزّ والسعادة، مُحيي قواعد الشريعة الغرّاء، مُقنّن قوانين الاجتهاد في الملة البيضاء، فخر المجتهدين، ملاذ العلماء العاملين، ملجأ الفقهاء الكاملين، سيدنا واستاذنا العلّي العالي، الأمير السيد علي الطباطبائي الحائري، مسكناً ومدفناً حشره الله تعالى مع مشرّفها في الفردوس العلّي العالي... الخ.

كما قال عنه صاحب «مفتاح الكرامة» ـ السيد محمد الجواد الحسيني العاملي، المتوفّى سنة ١٢٢٦ هـ ـ ضمن اجازته للآغا محمد علي بن الآغا

باقر الهزارجريبي، هكذا: فأجزتُ له أن يَروي عنّي ما استجزته وقرأته وسمعته من السيد الأستاذ رحمة الله سبحانه في البلاد والعباد، الإمام العلامة مشكاة البركة والكرامة، صاحب الكرامات وأبو الفضائل، مصنّف الكتاب المُسمّى برياض المسائل، الذي عليه المدار في هذه الأعصار، النور الساطع المُضيء، والصراط الواضح السّوي، سيدنا واستاذنا الأمير الكبير السيد علي أعلى الله شأنه وشأنَ من شأنه، ومن حسن نيته وصفاء طويته منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بتصنيف الرياض، الذي شاع وذاع وطبّق الآفاق في جميع الأقطار، وهو ممّا يبقى إلى أن يقوم صاحب الدار جعلنا الله فداه ومنَّ علينا بلقاه، وهو عالم رباني مُتبحّر صمداني، رسخ في التقوى قدمه، وسيط بالله لحمُه ودمه، زهد في دنياه وقربّه الله وأدناه، وهو أول من علّم العبدَ وربَّاه... الخ.

له ما يقرب من عشرين مؤلفاً ومصنفاً، من أهمها: «رسالة حجيّة الشهرة»، «شرح صلاة المفاتيح»، «رسالة في أصول الدين»، «رسالة في حجيّة الإجماع والاستصحاب»، «رسالة في كفاية الضربة الواحدة في التيّمم»، «رسالة تكليف الكُفّار بالفروع»، «حاشية على معالم الأصول»، «حاشية على المدارك»، «حاشية على الحدائق»، و«ترجمة رسالة خاله الآغا الوحيد البهبهاني في أصول الدين من الفارسية إلى العربية».

توفي السيد المِير علي الطباطبائي سنة ١٢٣١ هـ، ودفن في الحرم الحسيني الشريف، ممّا يلي مقابرَ الشهداء من أصحاب الحسين في يوم عاشوراء، وهو مع خاله الآغا البهبهاني في صندوق واحد يزار.

ومن الشخصيات العلمية الأخرى التي تألقت وبرزت على ساحة العلم والفضيلة في كربلاء خلالَ الفترة ما بعد وفاة الوحيد البهبهاني، وحتى لما بعد عصر رئاسة شريف العلماء المازندراني للحركة العلمية والتدريسية في حوزة كربلاء، نذكر أهمَّهم إضافةً لما ذكرنا العديدَ منهم في أبحاثنا السابقة.

ـ العلامة والفقيه المُحقّق، والرئيس الكبير السيد مهدي الشهرستاني

الموسوي، نجل الميرزا أبي القاسم، ينتهي نسبُه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وُلد بحدود عام ١١٣٠ هـ، في مدينة أصفهان في أسرة علوية عريقة أسندت إلى كثيرٍ من أفرادها الصدارة والرئاسة في عهد الدولة الصفوية، منهم الميرزا السيد فضل الله الشهرستاني الوزير الأعظم للشاه طهماسب الأول الصفوي، انتقل في عنفوان شبابه إلى مدينة كربلاء طلباً للعلم فيها، وكان ذلك في أواسط القرن الثاني عشر الهجري ـ أي بعد استيلاء الأفاغنة بقيادة كبيرهم محمود الأفغاني على مدينة أصفهان، العاصمة الإيرانية آنذاك وانقراض أسرة الملوك الصفويين وقتل آخرهم السلطان حسين الصفوي ـ استوطن مع أهله واخوانه وأقاربه في مدينة كربلاء، واستملك فيها دُوراً وعقارات كثيرة، يقع أكثرُها في حيّ «باب السدرة» من أبواب صحن الروضة الحسينية الشريفة، والذي كان يعرف آنذاك بمحلة (آل عيسى). اشتهر امرُه كثيراً في العلوم والفتيا، والتدريس والتحقيق، وعلا شأنُه في الرئاسة والوجاهة، وحُسن السمعة والوثاقة، تتلمذ بوجهٍ خاص لدى المعلم الكبير الوحيد البهبهاني فكان أحدَ المهادي الأربعة، الذين كانوا الأوائل من المُتفوّقين بين تلامذة أستاذهم الوحيد، وهؤلاء المهادي هم: ١ ـ السيد محمد مهدي الشهرستاني ٢ ـ السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي ٣ ـ الميرزا المولى محمد مهدي النراقي ٤ ـ الميرزا محمد مهدي الطوسي الخراساني المعروف بالشهيد الثالث، ابن هداية الله بن طاهر، المقتول في المشهد الرضوي سنة ١٢١٨ هـ. كما تتلّمذ لدى الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق، ومحمد المهدي الفتوني العاملي، وروي عن أساتذته وأستجازهم فأجازوه، وكان من كبار شيوخ إجازة الحديث، ومُشتهراً في درس التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وقد تخرج عليه كثيرٌ من العلماء كالشيخ أحمد الإحسائي، والسيد عبد الله الشُبّر، والسيد صدر الدين العاملي، والسيد عبد المطلب بن أبي طالب الجزائري، صاحب كتاب «تحفة العالم» والشيخ المولى أسد الله التستُري الكاظمي، والمولى شمس الدين بن جمال الدين البهبهاني، والسيد محمد حسن الزنوزي التريزي، مؤلف كتاب «رياض الجنة».

ترجمه كثير من المؤرخين والمُؤلّفين، منهم تلميذه محمد حسن الزنوزي التبريزي، الذي ذكره في كتابه (رياض الجنة) بما يلي: السيد الجليل، والاستاذ النبيل، الميرزا محمد مهدي بن أبي القاسم الموسوي الشهرستاني الاصفهاني، الساكن بالحائر، شيخنا الأمجد، عالم فاضل، كامل باذل، مُحقّق مدقق، متبحّر جامع، ثقة، ثبت، ضبط، متكلم، فقيه وجيه، شريف الأخلاق، كريم الأعراق، ذو الحسب الجليل، والنسب الجميل، علم الأئمة الأعلام، وسيد علماء الإسلام، أوقاته الشريفة معروفة بقضاء حوائج المسلمين، وأيامه المنيفة مُستغرقة بترويج الشريعة الحنيفة والدين، وهو باسط يد الجود والكرم، لكل من قصد وأمّ وكان أجدادُه من أعاظم بلدة اصفهان، وانتقل هو في صغره إلى الحائر الحسينية مع الأهل والأقارب والإخوان، وقطن بها حتى الآن وهو من أرشد تلامذة الشيخ يوسف البحراني والمولى محمد باقر البهبهاني، إلّا أنّ له في الفقه ميلاً إلى طريقة الفاضل البحراني، قرأنا عليه شرح اللمعة وقواعد العلامة من البداية إلى النهاية، ومن الحديث وغيره وهو مع تبحّره غير مائل إلى التأليف والتصنيف، توفي في ثاني عشر شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف.

كان العلامة السيد مهدي الشهرستاني، رأسَ الأسرة الشهرستانية التي اشتهرت في العراق لفترة تناهز القرنين، ونبغ وبرز في هذه الأسرة رجال تولّوا الرئاسة الدينية، والزعامة الدنيوية في العراق وإيران، وخاصة في مدينة كربلاء، غير أن معظم أعضاء هذه الأسرة انتقل إلى إيران خلال الخمسين سنة الأخيرة، ولم يبقَ منهم هناك إلّا النذر اليسير.

- العلامة الكبير السيد محمد الطباطبائي، المعروف بالمجاهد نجل العالم والفقيه النحرير، المير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وقد حظي مثل والده الجليل بمكانة دينية وعلمية مرموقة جداً، حيث تولّى الزعامة الدينية وأمور الفتيا في كربلاء، وكان سبطاً للمُربّي العظيم الوحيد البهبهاني وصهراً للعلامة الكبير السيد محمد مهدي بحر العلوم، درس على والده وتخرّج من درس أساتذة أجلاء وعلماء مشاهير في حينه، وبعد مهاجمة

الوهابيين لكربلاء توجّه إلى مدينة الكاظمية، وسكنها برهةً من الزمن، وكان يحضر حلقةَ درسهِ في كربلاء العشراتُ من العلماء والطلاب، ومنهم شريف العلماء المازندراني، وكان معاصراً للسلطان فتح علي شاه القاجاري في إيران، وحينما استولت روسيا القيصرية على بعض المدن الإيرانية، نهض لمحاربة الروس في محاولةٍ لدفع شرّهم عن المدن الإسلامية، فقادَ جيشاً كبيراً حارب به روسيا، وعند رجوعه من جبهة الحرب وافته المنيةُ في مدينة قزوين سنة ١٢٤٢ هـ، ونُقل جثمانُه إلى كربلاء وقبرُه كائن في سوق التجار الكبير بجانب مدرسة البقعة العلمية، وقد امتدت إليه يدُ التخريب والهدم في مشروع توسعة الشوارع، وقد سُمي بالمجاهد لكونه حارب روسيا القيصرية، وأفتى بالجهاد ضدَّها لعدوانها على حياض الإسلام وأراضي المسلمين، وكان صاحب رأي ونظر صائب، مُكبّاً على المطالعة والبحث، ومن أهم مؤلفاته كتاب «مفاتيح الأصول» و«المصابيح في شرح المفاتيح» و«مناهل الأحكام» في الفقه وغيره.

ـ الشيخ خلف بن الحاج عسكر الحائري، كان من أجلاء المُدرّسين ومشاهير العلماء الأعلام، وكانت له الرئاسة الدينية في كربلاء، تخرج على المير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، ولازمَه سنين طوال وواظبَ على حضور مجالسه الفتوائية وسبر غور مؤلفات ومصنفات ورسائل استاذه الفقهية والأصولية، تخرج عليه عددٌ كبير من أهل العلم والفضل، منهم الشيخ عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الجبّار الخطي البحراني الذي نسخَ بأمر أستاذه «الشيخ خلف»، كتابَ (الاجتهاد والإخبار في الردّ على الإخبارية) للآغا الوحيد البهبهاني. ترجمه صاحب «روضات الجنات» بقوله: كان من أجلّاء الفقهاء والمُجتهدين، والصلحاء المُتورعين، قرأ على صاحب الرياض وكان لا يرى لمن جاءَ بعدَه كثيرَ فضلٍ، نعم كان يُعجبه كثرةُ تتّبعِ السيد صاحب مطالع الأنوار ـ زميله على أستاذه صاحِب الرياض ـ له شرح على الشرائع. من مؤلفاته: كتاب «الخلاصة» وهو تلخيص لفتاوي أستاذه صاحب الرياض في باب الطهارة والصلاة، وتلخيص الرياض، وقد قام مقامَه

ولده الشيخ حسين في الإمامة وسائر الوظائف الشرعية في مسجده القريب من داره، تُوفيّ سنة ١٢٤٦ هـ، وهي سنة الطاعون وقيل سنة ١٢٥٠ هـ، ودُفن في دكة في الصحن الشريف قُرْبَ باب السدرَة، وطاقُ الشيخ خلف في كربلاء، منسوبٌ إليه.

ـ الفقيه الأصولي الشهير، والمُحدّث الواسع الإطلاع، الشيخ محمد حسين الاصفهاني، الذي اشتهر بكتابه «الفصول الغروية» وفيه يُعالج علم الأصول، تـرجمه صاحب أعيان الشيعة فقال عنه ما يلي: الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الرازي، الأصل الحائري المسكن والمدفن، صاحب الفصول، الفقيه الأصولي الشهير، أخذ عن أخيه الشيخ محمد تقي صاحب «هداية المُسترشدين» وعن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء واختار الإقامة في كربلاء، فرحل إليه الطلاب وأخذ عنه جماعةٌ من العلماء، مثل: الحاج الميرزا علي تقي والميرزا زين العابدين الطباطبـائيين، وله مؤلفات في الأصول منها الفصُول، وهي من كُتب القراءة في هذا الفن، أوردَ فيه مطالب القوانين وحلها، واعترض عليها وهو مشهور عند أهل هذا النوع، وأحفاده موجودون في كربلاء واصفهان، خلّف ولدين: الشيخ عبد الحسين مات بكربلاء، والشيخ باقر ماتَ باصفهان. وذكره صاحب «الكرام البررة»، فأطرىء عليه وقال: كان المُتَرَجمُ قائماً بالوظائف الشرعية بأجمعها أحسنَ قيام، وكان يُقيم الجماعة في الحرم المُطهّر من الرأس الشريف فيقتدي به خيارُ طلبة العلم، وصلحاءُ عامة الطبقات، وهكذا قضى عمرَه الشريف بين تدريس وتأليف، وعبادةٍ وتعظيم شعائر، وجهاد ونضال، حتى أجاب داعي ربه سنة ١٢٥٤ هـ، كما ذكره المولوي محمد علي في «نجوم السماء» ـ صفحة ٣٧٩ ـ ودفن في الصحن الصغير في الحجرة الواقعة على يمين الداخل فيه، وكان قد سبقه إلى الدفن بها السيد مهدي ابن السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض»، ودفن بها بعدَه المولى آغا الدربندي كما ذكرناه في ترجمته ـ صفحة ١٥٢ ـ وله آثارُ هامة أشهرها «الفصول الغروية» في الأصول، من أشهر أسفار هذا العالم الجليل، وهو شاهد على جلالة مؤلفه وكونه من

الفحول الجامعين للمعقول والمنقول، وله رسالة عملية فارسية في العبادات فرغ من تأليفها في سنة ١٢٥٣ هـ. . . الخ.

ـ السيد ابراهيم القزويني صاحب الضوابط، الذي كان بدوره عَلَماً شامخاً وخفاقاً، من أعلام الفكر والعلم والفضيلة في حوزة كربلاء، رحل بمعية والده الجليل السيد محمد باقر الموسوي القزويني من مدينة قزوين إلى الحائر الشريف، فقرأ أولاً على المير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، ولازمَ درسَ وأبحاثَ المعلم والمُربّي الكبير، شريف العلماء المازندراني في الأصول واستقل سريعاً في مهمة التدريس بمدرسة السردار حسن خان العلمية، المُتصلة بالصحن الحسيني الشريف، إلى جانب حلقة درس استاذه الكبير شريف العلماء، وكان يجتمع في حلقة درسه ما يتراوح بين سبعمائة إلى ثمانمائة طالب وفيهم من فحول العلماء، وفي بعض الأوقات كان يمتلىء المسجدُ الذي يُلقي فيه دروسَه ويضيق عن المستمعين والمُجتَمعين تحت منبره، فتُفتحُ الأبوابُ ويجلس الناسُ في صحن المدرسة فيمتلىء إلى قريب نصفِه، كان يُلقي على تلامذته درسين في اليوم، احدهما في الأصول عنوانُه كتاب «نتائج الأفكار» من تأليفه والآخر في الفقه عنوانه «شرائع المُحقّق الحلي»، وفي أكثر الأحوال كان يُدرِسّ الفقه حسب ترتيب شرحه على شرائع الإسلام المسمى بدلائل الأحكام، فيكتب الدرسَ فيقرؤه في مجلس الدرس، وكان معاصراً للشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب الفصول، وكثيراً ما كانت مباحثات ومناقشات فقهية وأصولية تجري بين الاثنين.

وقد تخرّج عليه جيل من كبار العلماء والمجتهدين بينهم الشيخ زين العابدين البارفروشي المازندراني، الفقيه الشهير الذي انتهت الرئاسة الدينية إليه في كربلاء، والسيد حسين الترك، والسيد أسد حجة الإسلام، والحاج مهدي الكجوري، والسيد أبو الحسن التنكابني، والحاج محمد كريم اللاهيجي، والشيخ عبد الحسين الطهراني، والمولى علي محمد التركي والمولى علي الكني، والميرزا محمد حسين الساوري والميرزا محمد محسن الاردبيلي، والميرزا صالح العرب، والميرزا رضا الدامغاني، والشيخ محمد

الكيلاني، والمولى محمد صادق التركي، والآغا جمال المحلاتي، وأمثالهم ممّن أصبحوا فيما بعد مراجعَ ورؤساء دينيّين في مُدنهم وبُلدانهم.

من مؤلفاته: كتاب «الضوابط» في الأصول، و«نتائج الأفكار» في الأصول أيضاً، و«دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام» في الفقه من باب الطهارة إلى باب الدّيات، وعدد من الرسائل في حجية الظن، الطهارة والصلاة والصوم، مناسك الحج، الغيبة، صلاة الجمعة، ورسالة في القواعد الفقهية، والتي جمع فيها خمسمائة قاعدة.

توفي رحمه الله بالوباء سنة ١٢٦٢ هـ، ودفن في مقبرة بجانب داره قريباً من المشهد الحسيني الشريف، وخلف نجلين هما السيد أحمد والسيد آغا بزرك، ومن آثاره الخيرية بناء سور مدينة سامراء، فقد بُني هذا السور بفضل مساعيه الحميدة.

ـ الشيخ باقر الدزفولي التُستري ابن الشيخ أسد الله ابن الشيخ اسماعيل، المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ، ذكره ابن اخته السيد محمد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي في «اليتيمة»، فقال عنه: كان عليماً علماً، إماماً مُبرّزاً هماماً. وقال فيه أيضاً: كان زاهداً في لباسه ومأكله ومشربه، قائماً قاعداً طول ليله بالعبادة لربه، ذو اهتمام عظيم في الزيارات وسائر القُربات، لا سيما إقامة عزاء الحسين عليه السلام. وقال عنه السيد الصدر في «التكملة»: إنه أول من أعلنَ إقامةَ تعزية الحسين عليه السلام، وقبله كان الناس يقرأون في السراديب، وهو أول من سنّ اللطمَ على الصُدور في الصحن الحسيني الشريف أيضاً، وجاءَ في كتاب «الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة»: وحُكي عن الشيخ محمد حسن آل ياسين أن سبب وفاته، ما دخله من الرُعب من قبل الباشا بعد إحضاره عندَه على أثر قيامه بمنع بعض المنكرات التي شاهدها عند جيرانه ونهى عنها، له تصانيف عديدة من أهمها: «الرسالة الرضاعية»، و«الرد على العامة».

ـ المولى محمد كاظم بن محمد شفيع الهزارجريبي الحائري، ذكره

الميرزا حسين النوري في «دار السلام» فقال: العالم الفاضل الجليل، المولى محمد كاظم الهزارجريبي (ألف جريب) رحمة الله عليه، وهو تلميذ الآغا محمد باقر الوحيد البهبهاني، وله من المؤلفات «تحفة المُجاورين»، يَروي فيه عن شيخه «البهبهاني»، وعن الميرزا محمد مهدي الشهرستاني، وعن صاحب الرياض (السيد علي الطباطبائي)، وله تذكرة الفتن، وله رسائل ومصنّفات كثيرة، وله فصل الخطاب في الاحتجاج يشبه «احتجاج الطبرسي».

ـ الشيخ محمد حسن ابن الحاج معصوم القزويني الحائري، المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ، درسَ على الوحيد البهبهاني، ورَوى بالإجازة عنه، وكذا عن تلميذه السيد محمد مهدي بحر العلوم، أشادَ به بحرُ العلوم كثيراً وأطراه، وقد عدّدَ العلامة السيد محسن العاملي مصنفاته في كتابه «أعيان الشيعة» فقال: له «رياض الشهادة في مصائب السادة» ومختصرُه، و«نور العينين»، و«ملخص الفوائد السَنيّة ومنتخب الفرائد الحسينية» وهو تخليصُ «الفرائد الحائرية» للبهبهاني، لخصَّه في (٨٠) فائدة وشرحَه وسمّاه «تنقيح المقاصد الأصولية»، وله «كشف الغطاء في الأخلاق»، و«مصابيح الهداية» في شرح البداية للحرّ العاملي، وله كتاب «الغُرّة الغراء» وجدتُ سنة نسخةً مخطوطةً في طهران في مكتبة شريعتمدار الرشتي، فرغَ منها مؤلِفها ضَحوة يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٢١٠ هـ، وله كتابٌ في «فوائد أصولية وفقهيّة» فرغ منه ٢٤ جمادي الأولى سنة ١٢٠٢ هـ، وجدنا منه نسخة مخطوطة في طهران في مكتبة شريعتمدار الرشتي أيضاً.

ـ السيد مهدي ابن السيد علي صاحب «الرياض»، شقيق السيد محمد المجاهد وسبط الآغا محمد باقر الوحيد البهبهاني، جاءَ ذكرُه في «تتمة أمل الآمل» هكذا: عالم متبحّر ربّاني، مُحقق مدقّق، بلا ثاني، طويل الباع، كثير الإطلاع، وكثير التشقيق في المسائل الجزئية بما لا يحوم حولَه فكر مُفكّر، لا يجاري ولا يباري في عويصات المسائل وغوامض العلوم، كان أعبدَ أهل زمانِه وأزهدهم، كان لا يأخذ من الحقوق المنطبقة عليه مطلقاً، ولا يقبل من أحد هدية مطلقاً. . . الخ، وذكر بعض المعاصرين له: أنه قرأ على والده

«صاحب الرياض»، واشتغل بالتدريس في زمانِه بأمرِ أبيه، وقرأ عليه كل تلامذته، وانحصر التدريسُ في كربلاء بمجلسِ درسِه، كان يحضرُ مجلسَه نحو مائتي طالبَ وعالم، وله اليد الطولى في الجدل، ولم يُرَ مثله في دقة النظر، ولشدة احتياطه وحذره، لم يتصد للفتيا والتحكيم بين الناس، ومُباشرةِ الأمور العامة، وكانت تأتي إليه الحقوق (الأموال الشرعية) من بلاد الهند، ليفُرقّها على الفقراء من سكان الحائر فلا يقبلها، وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، تتبّع كتبَ الشيخ أحمد الأحسائي وأوردَ عليها انتقادات بحسب اجتهاده ورؤيته لبعض المسائل الخلافية، كما أن نفسَه تعرّضَ أيضاً لانتقاداتٍ بسبب بعض تصرفاته، منها ردّه للأموال الآتية من الهند وحرمان الفقراء منها، وكذا احتياطه الشديد بما يشبه الوسواس، وعدم استقرار الرأي على شيء.

ـ الشيخ جعفر الاسترابادي الحائري، كان من مشاهير تلامذة السيد علي الطباطبائي «صاحب الرياض»، جاور الحائر الحسيني الشريف، لسنواتٍ طويلة مشتغلاً بالدرس والبحث والتصنيف، ترجمه صاحب «روضات الجنات» بقوله: هو فقيهُ ورع مُحتاط، حتى أنه لشارة احتياطه قد يُنسب إليه الوسواس، مؤلف مُحقق خشن في ذات الله، غيور على الدين، مُهتم بهداية المؤمنين، من أكابر تلامذة السيد علي الطباطبائي «صاحب الرياض» مُعاصرٌ للكرباسي صاحب الإشارات والمنهاج، جاور في الحائر الحسيني، وفي زمن محاصرة داود باشا لكربلاء وتخريبها، انتقلَ إلى طهران وبقي فيها نحواً من عشر سنين، مُشتغلاً بالإمامة والتدريس، والقضاء والفتيا إلى أن تُوفي، وكان يُباحث كل يوم درسين أحدهما في الفقه والآخر في الأصول، ويخطب قبل التدريس خطبة ويدعو بعد الفراغ، توفي في طهران سنة ١٢٦٣ هـ، ونقل جثمانه إلى النجف ودُفن قرب قبر العلامة الحلي، وذكر صاحب «أعيان الشيعة» مؤلفاتهِ، وعددّها بأكثر من ٣٦ كتاباً من أهمها: ١ ـ أنيس الواعظين. ٢ ـ أنيس الزاهدين في النوافل والتعقيبات. ٣ ـ شفاء الصدور في آيات المواعظ والأخلاق. ٤ ـ مظاهر الأسرار في بيان وجوه الإعجاز في القرآن. ٥ ـ جامع الفنون ـ تكلّم

فيه عن العلوم الأثني عشر المُشترطة في الاجتهاد ـ وهي: النحو، والصرف، واللغة، وعلم البلاغة، والمنطق، والرجال والدراية، والأصول، والفقه، والتفسير، والكلام، وعلم الاخبار. ٦ ـ مدائن العلوم، يشتمل على خمس مدائن في اللغة، والصرف، والنحو، وعلم البلاغة، والمنطق. ٧ ـ تحفة العراق في علم الأخلاق. ٨ ـ البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة. ٩ ـ سفينة النجاة في حقيقة الوباء والطاعون والأدعية المُنجية منهما. ١٠ ـ حياة الأرواح في الردّ على الشيخ أحمد البحراني وأتباعه. ١١ ـ ملاذ الأوتاد في تقريرات السيد الأستاذ ـ السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض ـ. ١٢ ـ ينابيع الحكمة في شرح نظم اللمعة. ١٣ ـ البراهين القاطعة في شرح المعالم. ١٤ ـ أصول العقائد الدينية في الكلام. ١٥ ـ موائد الفوائد. ١٦ ـ المشارع الكبير في شرح المعالم. ١٧ ـ المشارع الصغير. ١٨ ـ رسالة في علم الهيأة وتشخيص القبلة. ١٩ ـ مواليد الأحكام في فقه المذاهب الخمسة. كما أن له تعليقات على كثير من المصنّفات الفقهية والفلسفية.

ـ الشيخ أبو تراب القزويني الحائري، كان عالماً فاضلاً، من تلاميذ الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، وله الرواية والإجازة بالاجتهاد عنه، ومن تلاميذ الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء صاحب كتاب «أنوار الفقاهة»، والشيخ مرتضى الأنصاري، والمولى أسد الله البروجردي، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، روىٰ عنه بالإجازة الميرزا محمد باقر بن زيد العابدين بن حسين بن علي اليزدي، مثلما روىٰ عنه بالإجازة الميرزا جعفر ابن الميرزا علي نقي الطباطبائي الحائري، له كتاب «المواهب العلّية في شرح اللمعة الدمشقية» في عدة مجلدات، وهو ابن أخت الشيخ محمد حسين القزويني الحائري، المتوفى في كربلاء سنة ١٢٨١ هـ.

ـ الشيخ الميرزا أبو تراب، الشهير بميرزا آغا القزويني الحائري، عالم فاضل من تلاميذ السيد إبراهيم صاحب الضوابط، له «كتاب التقريرات» من مباحث أستاذه المذكور في مجلّدين، أحدهما في القضاء، فرغ منه سنة

١٢٥٥ هـ، وثانيهما في البيع، فرغ منه سنة ١٢٦٠ هـ، وله أيضاً شرح منظومة بحر العلوم في مجلّدٍ كبير، توفي في الحائر الشريف بعد سنة ١٢٩٢ هـ.

ـ السيد الميرزا علي نقي الطباطبائي ابن السيد حسن ابن السيد محمد المجاهد ابن السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، كان مجتهداً مُبرّزاً وموجهاً لدى الخاص والعام، ولد سنة ١٢٢٦ هـ بكربلاء، درس على لفيف من أساتذة الفقه والأصول في الحائر الشريف، منهم عمّه السيد الميرزا مهدي الطباطبائي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب الفصول، كما قرأ في النجف على الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، تولى في كربلاء المهام الدينية وأمور الفتاوى وانتهت إليه الرئاسة الدينية، وحظي بمكانة عالية في الأوساط الاجتماعية، تخرّج من حلقة دروسه وأبحاثه جمع من العلماء والفضلاء، من أبرزهم: العلامة المولى فضل الله المازندراني، له مصنفات منها: «الدرة الحائرية» في شرح الشرائع، و«شرح مباحث العقود والإيقاعات والأحكام والطهارة»، و«الدرة في العام والخاص» وكتاب في البيع، وكتاب في الحج باسم «مزيج الاحتياج في حكم منسك الحاج»، وآخر في الإجارة، كما له عدة رسائل في: صلاة المسافر، الغسالة، تقويض الأحكام، تداخل الأغسال، تعيين السورة بعد الحمد، جواز بيع الوقف، قضاء الرواتب، حكم تقدّم المرأة على الرجل في الصلاة، القضاء بالنكول، اجتماع الميّت والمُحدث والجنب ومعهم من الماء ما يكفي أحدهم. توفي سنة ١٢٨٩ هـ، ودفن في مقبرة بناها لنفسه مقابل مقبرة جدّه السيد محمد المجاهد، خلّفه في الإمامة والفتيا والتدريس في حوزة كربلاء، نجله السيد الميرزا جعفر الطباطبائي.

ـ المولىٰ محمد تقي بن حسين علي الهروي الاصفهاني الحائري، المتوفى في كربلاء سنة ١٢٩٩ هـ، له كتاب «كاشف الأسرار»، و«نهاية الآمال في كيفية الرجوع إلى الرجال»، فرغَ منه سنة ١٢٩٧ هـ، وله رسالة في المواريث، مخطوطة، ورسالة في التعادل والترجيح، وكتاب في الفرائض،

وتقريرات في الأصول، وكتاب في الردّ على الميرزا السيد علي محمد الباب، سمّاه «تنبيه الغافلين»، وحاشية على القوانين ونتائج الأفكار.

ومن غرائب الاتفاق بالنسبة له، أنه رُمي بالميل إلى طريقة الباب ـ السيد علي محمد الشيرازي ـ، وبالرغم من إظهاره الصريح بالبراءة من الباب والتصريح بلعنه، إلاّ أنه أُجبر على الخروج من مدينته «اصفهان»، فهاجر إلى العراق وجاورَ الحائر الحسيني الشريف، وظلّ حتى سنة وفاته مشتغلاً بالدرس والبحث والتصنيف، ومن بين تلامذته: الشيخ محمد حسن بن صفر علي المازندراني البارفروشي، صاحب كتاب «نتيجة المقال في علم الدراية والرجال»، والمعروف بالشيخ الكبير، لأنه كان من المعمّرين، وقد توفي هذا الأخير سنة ١٣٤٥ هـ.

ـ السيد حسن القمي الحائري، من العلماء الأفاضل في حوزة كربلاء، قرأ على المُجدّد الشيرازي الحاج السيد محمد حسن، وواظبَ على حضور حلقة درسه في سامراء، لعدة سنوات حتى أصبح من أجلّاء تلامذته يُشار له بالبنان، وفي سنة ١٣٠٦ هـ عاد إلى مدينته «كربلاء» مستأنفاً الدرس والبحث والتصنيف بحوزتها العلمية، صاهرَ العلامة الميرزا محمد حسين الشهرستاني على ابنته، له من المؤلفات: «شرح التبصرة»، و «التحفة الحسينية في أحكام الغيبية»، لم تطل حياته طويلاً، إذ توفي بعد سنوات قليلة من عودته إلى كربلاء قادماً من سامراء.

ترجمه العلامة أمين العاملي في كتابه «أعيان الشيعة» بقوله: السيد حسن بن إسماعيل الحسيني القمي الحائري، عالم فاضل، من أجلّاء تلاميذ الميرزا محمد حسن الشيرازي الشهير... الخ.

ـ السيد الميرزا أبو القاسم المعروف بالحجة الطباطبائي، فقيه أصولي من تلامذه الشيخ مرتضى الأنصاري، وقد دوَّن أكثرَ ما درسَه عند أستاذه من مباحث الفقه والأصول، وكان يُدرّس في كربلاء، انتهت إليه رئاسة بيت الطباطبائي في كربلاء، وإليه أُرجع تقسيم الأموال الهندية، وكان صافي

السريرة، جميل الأخلاق، حسن المحاضرة، قليل الاهتمام بأمور الدنيا، خفيف المؤونة، كثير المعونة، سخيّ الطبع، عالي الهمة، روى بالإجازة عنه الميرزا محمد حسن ابن المولى علي العلياري التبريزي، وتاريخ الإجازة سنة ١٣٠٤ هـ، وكذا السيد إبراهيم ابن السيد محمد تقي ابن السيد حسين ابن السيد دلدار علي النقوي، وتاريخها سنة ١٢٩٠ هـ، توفي في الحائر الشريف سنة ١٣٠٩ هـ، ودفن في مقبرة السادة الطباطبائيين، خلف أربعة أبناء برزوا بوصفهم علماء وأئمة الجماعة في كربلاء، وهم السيد محمد باقر والسيد علي والسيد محمد مهدي والسيد حسن.

- المولىٰ الحاج أبو الحسن المازندراني الحائري، كان من أبرز أصحاب العالم والرئيس الروحي الكبير، الشيخ زين العابدين المازندراني البارفروشي المتوفى في الحائر الشريف سنة ١٣٠٩ هـ، وكانا متآخيين في الله، سكن كربلاء وعَمّر حتى ناهز التسعين عاماً، وكان من العلماء الربانيين المُتجردين للعبادة. يقول الميرزا حسين النوري، صاحب شرح «منتهىٰ المقال في علم الرجال» عند النقل عنه: حدّثني العالم الورع التقي، المقدّس الزكي الوفي الوالد الروحاني، الحاج مولىٰ أبو الحسن المازندراني المتوطن في مشهد الحسين عليه السلام. له أولاد أفاضل، برز فيهم الشيخ عبد الهادي المازندراني الذي درس على الميرزا الشيرازي الكبير في سامراء. وكان من أفاضل العلماء والأساتذة في حوزة كربلاء، وهذا الأخير، وأعني به الشيخ عبد الهادي هو والدُ الخطيب الحسيني الشهير الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري، المتوفى سنة ١٣٨٤ هـ.

- الشيخ الميرزا إبراهيم الحائري، كان فقيهاً متبحراً، وعالماً فحلاً، وُلد في كربلاء، وتوفيّ بها سنة ١٣٠٦ هـ، من تصانيفه: «المفاخر العلّية في فقه الإماميّة» ينتهي مجلده الأول إلى منزوحات البئر، وُجدت نسخةٌ منه عند الشيخ حسين بن علي الحلي النجفي، وعليها تقريظٌ من السيدين علي وحسين آل بحر العلوم، و«رجوم الشياطين»، و«شرح الزيارة السابعة» سمّاه «مشارق الشموس» في ستة مجلدات، وجدت نسخةٌ عند الميرزا هادي

الواعظ، وله أيضاً مسائل عن السيد كاظم الرشتي، كتب أجوبتها وهو بالجزيرة قرب مسجد الكوفة، وسمّاها «المسائل الشيرازية»، وقال فيها على ما يبدو: إنّ السيد كاظم الرشتي هو من أجلّاء العلماء، وقد وجدت نسخة منها عند السيد عبد الحسين الحجة الطباطبائي، يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ١٢٦١ هـ، ونسبَ هو إلى شيراز لكونه كان ربيباً للحاج محمد حسن القزويني الحائري نزيل مدينة شيراز والذي جاور فيما بعد الحائر الشريف، وذكر النسابة الشيخ آغا بزرك الطهراني، في كتابه «نقباء البشر» أنه رأى بخطه شرحَ حديث خلق الأسماء للشيخ أحمد الإحساني، استنسخه في سنة ١٢٥٦ هـ.

ـ الشيخ حسن الكربلائي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ، ولد ونشأ في كربلاء ولذا اشتهر بالكربلائي، وهو الشيخ حسن بن علي بن محمد رضا بن محسن التستري الأصل الاصفهاني الحائري، أمضىٰ سنوات شبابه في تحصيل العلوم الدينية بمدرسة حسن خان المعروفة في كربلاء، حيثُ قرأ المقدمات والسطوح لدى فضلاء وأعلام الحوزة العلمية، سافر بحدود عام ١٣٠٠ هـ. إلى مدينة سامراء، حيثُ حضرَ درس المُجدد الشيرازي الكبير الحاج السيد ميرزا حسن، لعدة سنوات وكتب تقريرات هذا الأستاذ في الفقه والأصول، ثم عاد إلى كربلاء بصحبة العالم الكبير السيد إسماعيل الصدر، وممّا كتبه من تقريرات أستاذه الشيرازي الكبير: قاعدة «الناس مسلطون على أموالهم» فقد كتبها وبسطها في غاية الروعة، ومن مصنّفاته أيضاً: رسالة فارسية شرح فيها بكل تفصيل وتبسيط قضية تحريم استعمال التبغ في إيران، والفتوىٰ الصادرة بهذا التحريم من جانب المُجدد الشيرازي، ومراحل تطور قضية منح امتياز زرع التبغ في إيران من قبل السلطان ناصر الدين شاه القاجاري، لشركة بريطانية استعمارية من بدايتها حتى مرحلة مبادرة المُجدّد الشيرازي بإصدار فتواه الشهيرة بتحريم استعمال التبغ من جانب المسلمين في إيران، وردود الفعل التي أثارتها هذه الفتوىٰ على الصعيد السياسي والاجتماعي.

ـ الشيخ علي البفروئي اليزدي الحائري، عالم كبير، وفقيه ناضل، ومُدرّس جليل، قرأ على المولىٰ محمد حسين الأردكاني وغيره من فحول

علماء الحوزة العلمية في كربلاء، تصدَّر للتدريس بهذه الحوزة فحضر حلقة درسه عدد كبير من أهل العلم و الفضل، والكُلّ يشيدُ بعلمه وورعه، كان من المُعمّرين ومن شيوخ الاجتهاد، لازمَ في البداية أستاذه الشيخ محمد حسين اليزدي المعروف بـ «باشنه طلائي» الحائري صاحب «المقاليد» في الفقه فأخذ منه، مثلما أخذَ من الشيخ الأنصاري في النجف، وكان يُقيم الجماعةَ في الحرم الحسيني الشريف بكربلاء، إلى أن توفي بحدود سنة ١٣٢٤ هـ.

ـ الشيخ محمد علي الخراساني الحائري، كان من أهل العلم والفضل والكمال، تتلمذ على جماعة من العلماء الأجلّاء في كربلاء منهم: السيد الميرزا علي نقي الطباطبائي المتوفّى سنة ١٢٨٩ هـ، حتى أصبح من كبار العلماء، ومن وجوه الفضل والأدب والكمال في حوزة كربلاء العلمية، وظلّ مُشتغلاً بالتدريس والتحقيق، حتى وافته المنيةُ بحدود سنة ١٣٢٥ هـ.

ـ السيد باقر ابن المولوي حسين الهندي النصيرآبادي الحائري، فقيه أديب مُتكلم، هاجرَ من الهند إلى كربلاء سنة ١٢٩٧ هـ، وأخذَ عن كبار علمائها مثل الشيخ زين العابدين المازندراني والسيد علي اليزدي والشيخ حسين فاضل الأردكاني، وروىٰ عنه بالإجازة، توفي في الحائر الشريف سنة ١٣٢٩ هـ، ترجمه صاحب «أعيان الشيعة» فقال في حقّه: كان عالماً مناضلاً، أديباً شاعراً، فقيهاً حكيماً، خبيراً في العقائد، سمّاها «دليل الخيرات» تبلغ ألفي بيت قال في آخرها:

وههنا أرجوزتي قد خُتمت | في رمضانَ لثمانٍ قد خَلَت
وزمنُ الشروع بعدَ المنتصفِ | من رجبٍ أعيذها من التلف
وحيث تهدي سبلَ النجاةُ | أرختها دلائلَ الخيرات

وقد قرظ عليها علماء عصره وأثنوا عليه ثناءً بليغاً، وطُبعت التقاريض مع المنظومة وحواشيها في أيامه، وكان يُدرّس فيها في الروضة الحسينية، وله أرجوزة في الفقه، شرحُ على أرجوزة الطباطبائي إلى الطهارة، وبعضُهم يقول إنها تشطير لمنظومة الطباطبائي، وشرحُ على أرجوزة الشيخ محمد علي

الأعسم في الأطعمة والأشربة، ونظّم نجاةَ العباد بلغة الأَردو، ومنظومةً في الوجود والماهية، ومنظومةً في الحكمة.

ـ الشيخ موسى ابن الحاج محمد جعفر بن باقر الكرمانشاهي الحائري، نشأ بكربلاء، ودرس على علماءها واختص بالميرزا محمد حسين الشهرستاني المُتوفى سنة ١٣١٥ هـ، كان من تلامذة المولىٰ حسين الفاضل الأردكاني المتوفى بالحائر سنة ١٣٠٢ هـ ورویٰ بالإجازة عنه وعن أستاذه الآخر الميرزا محمد حسين الشهرستاني المذكور، توفي بحدود سنة ١٣٤٠، من تصانيفه: «تحقيق الأحكام» في الفقه، غيرُ مُكمّل، و «مسألة في المنطق»، و «تقريظ على أخبار الأوائل»، «اللقطات» من تقرير بحث أستاذه السيد إسماعيل الصدر.

ـ السيد ميرزا محمد علي بن حسين الشهرستاني، درسَ في النجف على المولىٰ محمد الأيرواني، والميرزا حبيب الله الرشتي، ودرس في سامراء على المجدّد الشيرازي الميرزا محمد حسن النجفي، ثم رجع بأمر والده إلى كربلاء، حيث انشغل بالتدريس والتصنيف، تُوفي في الحائر الشريف سنة ١٣٤٤ هـ، عن عمر يناهز الرابعة والستين، له خمسون كتاباً فرغ من تصنيفها جميعاً في سنة ١٣٣٦ هـ، من أهمها: ١ ـ ذخائر الأحكام في الفقه من باب الطهارة إلى آخر الزكاة ٢ ـ التحفة الرضوية في الإمامة ٣ ـ نتيجة الفكر في الولاية على البكر ٤ ـ رسالة في مسألة الأعراض عن المال ٥ ـ رسالة في اللباس المشكوك ٦ ـ الدُرّ الفريد في العزاء على السبط الشهيد ٧ ـ رسالة في الأرض المفتوحة عُنوةً ٨ ـ هداية المسترشدين في فروع الدين ٩ ـ رسالة في الحبوة وميراث الزوجة ١٠ ـ التذكرة في شرح التبصرة ١١ ـ الجامع في شرح النافع ١٢ ـ التبيان في تفسير غرائب القرآن ١٣ ـ رسالة في قبلة البلدان ١٤ ـ كشف الحجاب في شرح خلاصة الحساب.

الشيخ أحمد الأحسائي:

في الحقيقة أن الساحة العلمية الدينية في كربلاء المُقدّسة، كانت على الدوام ساحةً حُرّة ومُتفتّحة أمامَ الأفكار والاتجاهات المختلفة والمُرتبطة بالعلوم

العقلية والنقلية، وفي ذلك تكمن أصالةُ طابعِها العلمي المتّميز.

وطبيعي أن التعامل اللامحدود مع الفكر المُتحرّر والمُنطلق، لا بدّ أن تنشأ عنه تصوراتٌ ونظرياتٌ، قد لا تكون مأنوسةً أو مقبولة للآخرين، غير أنَّ ذلك يُوجد فرصَ النقاش والجدل العلميّين، والتي تخدم في النهاية مسيرةَ العلم والمعرفة، وإغناء التراث الإسلامي الزاخر.

ومن هذا المنطلق برزت في حوزة كربلاء شخصيات علمية دينية كانت لهم أفكار وتصورات فلسفية، أثارت في بعضِها جدلاً بين العلماء والفقهاء، ومن جُملة هذه الشخصيات، تـأتي في الصدارة شخصيـةُ الشيخ أحمـد الاحسائي، بوصفه صاحبَ طروحات فلسفية كانت ولا تـزال مثارَ بحثٍ وجدل، وتضاربٍ في الرأي بين العلماء، الذين عاصروه، والذين جاؤوا من بعده حتى يومنا هذا، خاصةً وإن بعض الأفكار المنسوبة إليه حول عددٍ من المباديء العقائدية، مثل المعاد الجسماني، والمعراج الجسماني، والتفويض للأئمة الأطهار (عليهم السلام)، خلق معارضةً له من قبل عددٍ من العلماء المُجتهدين الأصوليين، الذين وجدوا في هذه الأفكار ما يتناقض مع رُؤيتهم الدينية تجاه مبدأي المعـاد الجسماني والمعـراج الجسماني، على وجـهِ الخصوص.

غير أنه من خلال دراسة شخصيتهِ العلمية الدينية، وفي ضوء أقوال المُعجَبين أو المُنتقدين له، يُمكن القول أنه كان عالماً مُتبحراً، ومُفكّراً متعمقاً، وضليعاً بخلقِ الأُطرِ الفلسفية والعقلية، لكثيرٍ من المباديء العقائدية الإسلامية الصرفة، بحيث أن مُؤيّديه ومُعارضيه يُجمعون على القول بعلو منـزلته العلمية، ونزوعه الشديد إلى تزكية النفس، وتهذيبها وترويضها.

وُلد الشيخ أحمد في مدينة الأحساء سنة ١١٦٦ هـ، غير أنّ فتـرة تخضرمه وبروزه العلمي كانت في حوزة كربلاء، وذلك في أعقاب وفاة المُربّي العظيم الوحيد البهبهاني، وقد تروى بالإجازة عن تلميذيه المُبرَّزين ـ تلميذي الوحيد ـ وهما السيد محمد مهدي بحر العلوم، والشيـخ جعفر صاحب

كتاب «كشف الغطاء»، كما روى بالإجازة عن المير السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض»، والسيد محمد مهدي الشهرستاني، والشيخ حسين بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن عصفور الدرازي البحراني، وكذا عن عددٍ من عُلماء البحرين والقطيف، مثلما روى عنه بالإجازة الشيخ ابراهيم الكرباسي صاحب كتاب «الإشارات».

ومن أبرز تلامذته: السيد كاظم الرشتي، والحاج محمد نجل الشيخ ابراهيم الكرباسي صاحب الإشارات المذكور آنفاً، والشيخ أسد الله التُستري، وولداه هو وهما: الشيخ محمد تقي والشيخ علي تقي.

وقد ألفَّ ما يزيد على مئةِ رسالةٍ وكتاب، أهمُها: كتابُ «شرح الزيارة الجامعة الكبيرة»، و«شرح الحكمة العرشية» لملاّ صدرا، و«بيان حقيقة العقل والروح والنفس بمراتبها»، و«جواز تقليد غير الأعلم وبعض مسائل الفقه»، و«معنى الأمكان والعلم والمشيئة وغيرها»، و«الرسالة الخآمانية في جواب مسألة السلطان فتح علي شاه عن سرّ أفضليّة المهدي على الأئمة الثمانية عليهم السلام»، و«الرسالة الخاقانية في جواب سؤاله عن حقيقة البرزخ والمعاد، والتنعّم في البرزخ والجنة»، و«شرح علم الصناعة والفلسفة وأحوالها»، و«شرح أبيات الشيخ علي بن عبد الله بن فارس في علم الصناعة»، و«مباحث الألفاظ في الأصول»، و«تحقيق الجواهر الخمسة والأربعة عند الحكماء والمُتكلّمين، والأجسام الثلاثة والأعراض الأربعة والعشرين، ومادة الحوادث وبعض مسائل الفقه»، و«رسالة في البَداء وأحكام اللوحين: لوح المحو والإثبات واللوح المحفوظ»، و«رسالة كيفية السير والسلوك المُوصلَين إلى درجات القُرب والزُلفى»، و«حديث النفس إلى حضرة القدس في المعارف الخمس»، وكتاب «الجنة والنار وشرح حديث خلق الذر والهباء»، و«رسالة في أن الشيطان لا يُمكنُ أن يتمثل بصورة الأنبياء والأولياء»، و«رسالة في أن القرآن أفضل أم الكعبة»، و«الرسالة السراجية في الشُعلة المرئية من السراج»، و«رسالة في معنى: ثم دنا فتدّلى فكانَ قابَ قوسين أو أدنى»، و«جواب السؤال عن معنى الجسدين والجسمين»،

و«جواب مسائل محمد علي ميرزا عن العصمة والرجعة»، وكتبُ ورسائل أخرى كثيرة، وكلُّها تُعالج مسائل دينية ومباديء عقائدية، في إطارٍ فلسفي وحِكمي مُتعمّق، وإن نظرةً سريعة على عناوين ومضامين هذه الكُتب والرسائل، تبيّن لنا أنه كان مولعاً ومُتفهماً بالعلوم الفلسفية والعقلية، وفي شرحها وتبسيطها، وربط المباديء الدينية العقائدية بها، ممّا أوجدَ لنفسه تصوراتٍ قد تكون مختلفةً في بعضها عن تصورات كثير من العُلماء المُجتهدين.

وقد أطنبَ صاحبُ كتاب «روضات الجنّات» في مدح الشيخ أحمد الأحسائي والثناء عليه والدفاع عن أفكاره، وأشادَ به أكثرَ من أي واحدٍ من أعاظم العلماء، إذ قالَ فيه: لم يُعهد في هذه الأواخر مثلُه في المعرفة والفهم، والمكرمة والحزم، وجودة السليقة وحسن الطريقة، وصفاء الحقيقة وكثرة المعنوية، والعلم بالعربية والأخلاق السّنية، والشيم المرضية، والحكَم العلمية والعملية، وحسن التعبير والفصاحة، ولطف التقرير والملاحة، يُرمى عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالإفراط والغلو مع أنَّه لا شكَ من أهل الجلالة والعلو.. وقال فيه أيضاً: وقد يُذكر في حقه، أنه كان ماهراً في أغلب العلوم، عارفاً بالطب، والقراءة، والرياضي، والنجوم، مُدعياً لعلم الصَنعة (الكيمياء)، والأعداد والطلسمات، ونظائرها من الأمر المكتوم... الخ.

وقال في حقه،السيد شفيع الموسوي في كتابه «الروضة البهيّة»: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، كان من أهل الأحساء وتوطّنَ بُرهةً في يزد ثم انتقل إلى كرمانشاه بطلبٍ من محمد علي ميرزا ابن فتح علي شاه القاجاري، وسمعتُ أنه أعطاه ألفَ تومان لأداءَ دينه ونفقة سفره إلى كرمانشاه، وجعل له وظيفةً في كل سنة سبعمائة تومان، ثم انتقل إلى كربلاء وتوطنّ فيها، وقامَ مقامَه في كرمانشاه ابنُه الشيخ علي، والشيخ المذكور (ويقصد الشيخَ أحمد الأحسائي)، كان ذاكراً مُتفكراً، لا يتكلم غالباً إلاّ في العلم والجواب عن السؤالات العلمية أصولاً وفروعاً وحديثاً، وكان مشغولاً بالتدريس ويُدرّسُ

أصولَ الكافي والاستبصار، ولم نرَ منه إلّا الخير.

وذكره الشيخ آغا برزك الطهراني في كتابه الرجّالي «الكرام البررة» فقال: هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين بن ابراهيم بن صقر بن ابراهيم بن داغر بن راشد بن وهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفي الأحسائي، المنسوبة إليه الفرقة الشيخية، من مشاهير علماء عصره، اختلفت آراءُ العلماء والمُؤلّفين في المتَرجَم (الشيخ أحمد الأحسائي)، بعد أن اتفقت على فساد جُملةٍ من تلامذته وتَبعتِه، لأنكارِهم بعضَ الضروريات ولسنا الآن بصدد المُناقشة بعد أن تقابلَ الفريقان في الرُدود، فوضحَ الحقُّ وذهبَ الباطل جفاءاً، ولم يبق ما يجب علينا الإشارة إليه والتنبيه عليه، تَرجَمَه ولدُه الشيخ عبد الله في رسالةٍ مُستقلة ذكرناها في «الذريعة» ـ المجلد الرابع ـ الصفحة ٨٩، مُلخصّها أنه ولدَ في إمارة الأحساء «هجر» في قريةٍ يُقال لها (مطيرفي) في شهر رجب سنة ١١٦٦ هـ، ونشأ بها وتلقى مباديء العلوم عن جماعة من الفضلاء، كالشيخ محمد بن الشيخ محسن الأحسائي وغيره، وفي سنة ١١٨٦ هـ هاجر إلى العراق، وهو ابنُ عشرين سنة، فوَردَ كربلاء وحضرَ بها بحثَ الوحيد البهبهاني ـ الآغا باقر ـ و السيد الميرزا مهدي الشهرستاني، والسيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض»، وفي النجف درسَ على الشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيره، ثم حدثَ طاعون جارفٌ ألجأ الناسَ إلى مغادرة الأوطان، فعادَ المترَجَمُ إلى بلاده وتزوّج بها، وبعد زمنٍ انتقل بأهله إلى البحرين وسكنها أربعَ سنين، وفي سنة ١٢١٢ هـ عادَ إلى العتبات المقدسة بالعراق، وبعد الزيارة رجع فسَكَنَ البصرةَ في محلةِ «جسر العبيد»، على عهد حاكمها (الشيخ علوان بن شاوة)، وبعد قليلٍ حدثت منافرةٌ بينَه وبينَ الشيخ محمد بن الشيخ مبارك القطيفي الأحسائي، فاضطرّ إلى نزول (الحبارات) من قُرى البصرة حيناً، ثم نزلَ قريةً يقال لها (التنّومة)، ثم (النشوة) من قُرى البصرة أيضاً، ثم عرض عليه السيد عبد المنعم بن شريف الجزائري، الذي كان من أجلّاء تلك الأطراف ومشاهيرها، أن ينزوي في قريةٍ تعود له فحلّها في سنةِ ١٢١٩ هـ، وبقي بها مع أهله سنةً كاملة، وفي سنة ١٢٢١ هـ زارَ النجف مع جمعٍ من

أصحابه وزار سائر العتبات المشرفة، ثم عزم على زيارة الرضا (عليه السلام) فمرَّ بيزد فطلبَ منه أهلُها البقُاءَ عندهم، فامتنعَ و وعدَهم بإنجاز طلبهم بعد عودته من الزيارة، وتعرّف عليٍ السلطان فتح علي شاه القاجاري وحلَّ دارَه في طهران، فأعزَّه وأكرمَه وسأله عن مسائل أجابَ عنها برسائل مستقلة ذُكرت في تصانيفه، ثم خيرَّه في سُكنى أيّ بلاد إيران شاءَ فاختار يزداً، ونزلها بأهله وعياله في سنة ١٢٢٤ هـ وسكنها مدةً، ثم انتقل إلى اصفهان، ثم هبط كرمانشاه زماناً، وفي سنة ١٢٣٢ هـ، حجَّ بيتَ الله الحرام مع جمعٍ من أصحابه، ثم عاد إلى النجف، وكربلاء، والكاظمين، وسامراء، ثم كرمانشاه موطنه الأخير وذلك في سنة ١٢٣٤ هـ، وبعد مدةٍ توفي محمد علي ميرزا فأضمحلت حكومة كرمانشاه، فهاجرَ إلى قزوين، ثم طهران، وشاه عبد العظيم (مدينة الري)، ثم خراسان، ثم طبس، ثم اصفهان، وبعد كل ذلك عزم على مجاورة المشاهد المشرفة في العراق فقصدَ كربلاء، وبعد قليلٍ عزم على الحج ثانيةً، ولمّا وصلَ دمشقَ مرِضَ وأخذ حالُه بالتناول وتُوفيّ بمنزلِ (هِدية) قبلَ وصوله المدينةَ بثلاث مراحل، وذلك في الأحد ـ الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ، فنُقِل إلى المدينة ودُفن في البقيع، مقابلَ بيت الأحزان... الخ.

وبعد وفاة الشيخ أحمد الأحسائي، تولى تلميذُه السيد كاظم الرشتي الحائري، المرجعيةَ الدينية، لاتباعه ومُقلّديه ومُعجَبيه الكثر آنذاك، إنطلاقاً من مَوقعه بمدينة كربلاء التي برز واشتهرَ فيها هو الآخر.

وقد جاء ذكر السيد كاظم الرشتي الحائري، في العديد من كُتب التراجم والسِير، فقال عنه الشيخ محمد علي التبريزي في كتابه «ريحانة الأدب»: السيد كاظم بن قاسم الحسيني الجيلاني الرشتي الحائري، من علماء أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ومن أكابر تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، وبعد وفاة استاذه المذكور تولّى المرجعية في جميع الأمور الدينية.

وذكره خير الدين الزركلي صاحب كتاب «الأعلام»، وقال عنه بما يلي: كاظم بن قاسم الحسينى الموسوي الرشتي، فاضل إمامي من أهل «رشت»

بإيران، سكنَ الحائر (كربلاء)، له كتبٌ منها «رسائل الرشتى»، أجابَ فيها بعض المسائل، و«شرح قصيدة عبد الباقي العمر اللّامية» في مدح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وترجمه أحمد عطيّة الله مؤلف كتاب «القاموس الإسلامي»، فقال: كاظم بن قاسم الموسوي الرشتي، من فقهاء الشيعة الإمامية، لُقب بالموسوي نسبةَ إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بيد أنْ مؤلف كتاب «تُراث كربلاء» السيد سلمان هادي الطعمة، يختلف مع المؤرخ المذكور (أحمد عطية الله) في كون السيد كاظم الرشتي موسوي النسب، بل يؤكد على أنه حسيني النسب، أي أنه من أعقاب سيدنا الحسين عليه السلام.

تُوفيّ السيد كاظم الرشتي بكربلاء في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ، وخلفه نجلُه الأكبر السيد أحمد بن السيد كاظم، فكان يُقيم الجماعة في مكان والده بصحن الروضة الحسينية الشريفة، وقد عرف عنه علمه وأدبُه، حيث له ديوان شعر مخطوط، وقد اغتيل في حادثة معروفة في كربلاء سنة ١٢٩٥ هـ، كما أن نجله الآخر السيد حسن بن السيد كاظم الرشدي كان أديباً، وكاتباً قديراً ترك مؤلفات من أشهرها، كتابه المعروف «شواهد الغيب».

حوزة كربلاء على عهد شريف العلماء:

في عهد الرئاسة العامة لشيخ العلماء، ومُربّي المجتهدين، ومعلم الفقهاء الفحول، المولىٰ محمد شريف بن المولى حسن علي القبيسي المازندراني الحائري، المعروف بشريف العلماء، أخذت الحوزة العلمية في كربلاء زخماً قوياً، وطاقة إضافية، نظراً لأن حلقات درسه وأبحاثه وتقريراته الفقهية والأصولية اجتذبت إلى مدينة كربلاء، المئات بل الآلاف من الفضلاء والطُلاب المُبتدئين والمُنتهين، إذْ كانَ يحضرُ تحتَ منبرِ درسهِ ألفُ من الطلبة، فيهم العلماءُ والأفاضل، وقد غالىٰ فيه بعضُ تلامذته، ومنهم تلميذُه «الفاضل الدربندي»، حتى فَضلّوه على المتقدمين والمتأخرين، ووصفه تلميذُه السيد

محمد شفيع بن السيد علي أكبر الموسوي الحسيني العلوي البروجردي، في إجازته المُسماة (الروضة البهيّة في الطُرق الشفيعية) فقال بشأن أساتذته ومشايخه: فمنهم السالك في مسالك التحقيق، والعارج في مدارج التدقيق، مُقنّن القوانين الأصولية، مُشيّد المباني الفرعية، مفتاح العلوم الشرعية، مُربّي العلماء الإمامية، مُدرّس الطالبين جميعاً في جوار ثالث الأئمة، شيخنا، وأستاذنا، ومُربّينا، ووالدنا الروحاني، والعالم الرباني، محمد شريف ابن ملاّ حسن علي المازندراني أصلاً والحائري سكناً ومدفناً، أصله من آمُل مازندران، والظاهر أنَّ مولده في كربلاء المُشرفة وببالي أني سمعتُه منه، وعاش فيها أكثرَ عمره الشريف، واشتغل أولاً على السيد محمد ابن السيد على صاحب الرياض، ثم على والده، وفي مدة تسع سنين صرفها في الفقه والأصول، صار مُستغنياً عن الاشتغال وجامعاً لشرائط الاجتهاد... الخ.

كان بحق مُربياً ومعلماً للفقهاء، مُؤسّساً لعلم الأصول، وجامعاً للمعقول والمنقول، نادرة الدهر، وأعجوبة الزمان، تبوأ مكانةً سامية في ميادين العلم والفضيلة، وذاع صيتُه وحفلت حياتُه بجلائل الأعمال، ونوادر الأفعال. قرأ أولاً على السيد محمد المجاهد، ثم قرأ على والده السيد علي صاحب «الرياض» في الأصول والفقه، حتى استغنىٰ عن الأستاذ، ولم يعد ينتفع بدرسِه فسافرَ مع أبيه إلى إيران وساحَ فيها، وأقام في كل بلد شهراً أو شهرين فزار مرقد الرضا عليه السلام في مشهد وعادَ إلى كربلاء، واشتغل بالمباحثة والمطالعة، وشرعَ التدريس فاجتمعَ في درسِه الطلاب الفضلاء والعلماء، بما يربو على ألف طالب وعالم، واجتذبت دروسُه القيمة العلماء الأجلاّء من النجف إلى كربلاء، منهم تلميذه المُبرّز، النابغة العالِم، الحجة الشيخ مرتضىٰ الأنصاري رحمه الله.

وكان شريف العلماء يُلقي دَرسين في اليوم، أحدهما للمُبتدئين والآخر للمنتهين، وقلّما وُجد عالمٌ وأستاذٌ بارعٌ، ومُقتدر ومُتمكّن من قواعد علم الأصول مثله، وقد صرفَ عمرَه وأنهكَ جُهدَه في تربية جيل من العلماء الأصوليين، ولهذا كان قليل التأليف، وإلى جانب ذلك كان أعجوبة في

الحفظ والضبط، ودقة النظر وسرعة الانتقال في المُناظرات والمباحثات الجدلية، لإلمامه التام بعلم الجدل، وكان يقوم بمهمة التدريس لساعات طويلة في اليوم، وكانت حلقاتُ درسِه تُعقد بانتظام في المدرسة العلمية المعروفة باسم مدرسة السردار حسن خان، وهي أقدم وأكبر مدرسة علمية في كربلاء، قبلَ أن تمتّد لها يدُ التخريب بمشروع إيجاد الشارع الدائري حول الحضرة الحسينية الشريفة.

ومن بين العلماء الذين كانوا يحضرون تحت منبر درسه: السيد ابراهيم القزويني صاحب كتاب «الضوابط» والمولى الآغا الدربندي، وسعيد العلماء البارفروشي، والسيد محمد شفيع الجابلاقي، والمولى اسماعيل اليزدي.

وبشأن الأخير، أعني به «المولى اسماعيل اليزدي»، قال العلامة السيد محسن العاملي في كتاب «أعيان الشيعة»: كان من تلاميذ المولى محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري، المعروف بشريف العلماء وجلس بعد وفاة استاذه مجلسَه وقام بالتدريس. ويقال أن بعضهم كان يُرجّحه على استاذه المذكور، ولكنْ لم تطل مدتُه، بل بقي بعد استاذه نحو سنة، وتوفي سنة ١٢٤٦ هـ بالحائر الشريف.

هذا وتوفي الشيخ شريف العلماء المازندراني بداء الطاعون، الذي عمّ البلاد في حينه، سنة ١٢٤٦ هـ أو ١٢٤٥ هـ، ودفن بداره في كربلاء وقبره مزار للمؤمنين يقع في زقاق «كداعلى»، وقريباً من قبره أُقيمت مدرسة علمية دينية تعرف باسم «مدرسة شريف العلماء».

وقد جاء شرح حياته وخدماته العلمية ونشاطاته التدريسية في العديد من كتب السير والتراجم، مثلما أطنب في مديحه الكثير من علماء الرجال والنسابة.

فقد ترجمه بإسهاب وتفصيل صاحب كتاب «الكرام البررة»، حيث قال عنه بما يلي: هو الشيخ المولى محمد شريف بن المولى حسن علي الآملي المازندراني الحائري الشهير بشريف العلماء، من أعاظم العلماء في عصره،

كان من رؤساء الدين وسلالة المذهب، وأبطال العلم وعُمَد الشريعة، ومن الحُجج الإثبات وشيوخ الاجتهاد الأفاضل، تلّمذ أولاً في كربلاء على السيد محمد المجاهد، ثم حضر على والده السيد علي صاحب «الرياض» تسعَ سنين، وعاد إلى إيران فزار مشهدَ الرضا (عليه السلام)، وعاد إلى العراق في أواخر أيام صاحب «الرياض»، فأشاد استاذُه بذكره واتجهت أنظارُ الطلاب والمُشتغلين إليه، وتقاطروا عليه من كلّ حدبٍ وصوب، وتهافتوا عليه مثلَ تهافت الفراش على النور، فاشتغل بالتدريس والتربية، واتجه إلى المُشتغلين بكلّه ورأفَ بهم كما يرأفُ الوالدُ البار بأولاده، وكان شديد العناية بهم كثير الاهتمام لهم، حرص على تَفهيمهم بأساليب راقية، حتى تخرّج من منبر درسه عشرات المجتهدين بل المئات، وكان يرفع طلابه إلى أوج الاجتهاد بمدة قصيرة لغزارة علمه وحسن تفهيمه، والمشهور أنه كان لا يفتر عن التدريس والمذاكرة ليلاً ونهاراً، حتى في شهر رمضان الذي جرت العادةُ على التعطيل فيه، ولذلك قلّ نتاجهُ العلمي، ولم يكن له في عالم التأليف ما يتناسبُ وعظيمَ مكانتِه، كما أنه لم يخرج ما كتبه إلى البياض.

تُوفيّ أعلى الله مقامَه في الطاعون الجارف سنة ١٢٤٦ هـ، ودفن في داره بكربلاء وقبره مزار معروف، ومن أعاظم تلامذته وأشهرهم الحجج: السيد ابراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب «الرسائل»، والسيد شفيع الجابلاقي صاحب «الروضة البهية»، والمولى اسماعيل اليزدي وغيرهم.

وللتدليل على كثافة الحركة العلمية والتدريسية في كربلاء على عهد شريف العلماء المازندراني، نُورد هنا ما ذكره العلامة السيد محسن العاملي صاحب «أعيان الشيعة»، في ترجمته للشيخ محمد صالح الجوبارئي المازندراني فقال: كان من أجلّة علماء عصره وشيوخ العلم، اشتغل أولاً باصفهان حتى صار من المدرسين بها، ثم هاجر إلى كربلاء وحضر درس شريف العلماء، حتى صار من أعلام تلامذته، ولمّا ورد الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر ـ صاحب كشف الغطاء ـ، إلى كربلاء لبعض الفتن التي وقعت

في النجف وشرع في الدرس، وكذلك أخوه الشيخ علي، أكبَّ عليهما فضلاءُ الحائر، وكان الحائر الشريف (كربلاء)، يومئذٍ محط رحل أهل العلم، فيه ألفِ فاضل من علماء إيران، وكانوا يحضرون درس شريف العلماء، فحضر المترَجم درس الشيخين (الشيخ موسى والشيخ علي)، وكانا يُدرّسان الفقه لا غير، فاستحسن فقههما ولازَمَ درسَهما، ولم يمكث الشيخ موسى غيرَ ستة أشهر، ورجع مع أخيه إلى النجف، فلمّا انقضى المحرّم من تلك السنة توفي شريفُ العلماء، فوردَ النجف ألفٌ من طلبة كربلاء ومنهم المُترجم، وسكنوا النجف حُبّاً بمدرسة الشيخ موسى وأخيه الشيخ علي، وبعد أيامٍ توفي الشيخ موسى سنة ١٢٤٤ هـ، واستقل الشيخ علي بالتدريس، ومنها صارت النجف مرجعاً لأهل العلم من إيران، وقبلها كانت كربلاء مرجعاً ولم يكن في النجف طلبةٌ من الفرس... الخ.

وهكذا اتجهت الأنظار إلى النجف الأشرف، حيثُ انتقل إليها ثقلُ الحركة التدريسية بعد وفاة شريف العلماء المازندراني، وفي هذه الأثناء بدأ نجم العالم المُحقّق، والفقيه المتّتبع، كبير الفقهاء المجتهدين، الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب «الجواهر»، المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ يلمع ويسطع في سماء العلم والفضيلة، بهذه المدينة المشرفة «النجف».

فقد اجتذبت حلقة دروسه وأبحاثه القيمة طلاّب العلم إلى النجف، بفضل ما توّفر له من تعبيرات بيانية رفيعة وغزارة في العلم، وفكر ثاقب ورأى صائب، فبذل جهداً دؤوباً في مجال التدريس، وتفرغ كلّياً للمطالعة والتحقيق، وسعى إلى تربية رعيل من العلماء الأصوليين والفقهاء المحقّقين، وآلت إليه المرجعية الدينية الكبرى عن جدارةٍ وأهليّة.

وفي عهد رئاسة هذا العالم والمرجع الكبير، كانت الشخصية العلمية والدينية الرفيعة، للشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٢٨١ هـ تتصدر مجموعة العلماء الكبار في النجف، بحيث انتهت إليه الرئاسة الدينية العامة بعد وفاة الشيخ محمد حسن النجفي مباشرةً، فأصبح المرجع الديني الأول، وكان غايةً في التزهّد والتنّسك، بعكس سلفه الشيخ محمد حسن النجفي،

الذي كان متوسعاً لحدٍ ما تجمّلاته، ويقال أن الشيخ الأنصاري سئل عن ذلك فقال: الشيخ محمد حسن أراد أن يظهر عزَّ الشريعة، وأنا أردتُ إظهار زهدها، كما أن الشيخ الأنصاري كان مُتشدداً للغاية في إجازة أحدٍ، ولذا لا تُعرف له أجازة أو شهادةٌ باجتهاد أحدٍ قط، وذلك بخلاف سلفه الشيخ محمد حسـن، الذي كان متساهلاً في اجازة تلاميذه بالاجتهاد، إذْ كان يرى أن القضاء يجوز بالوكالة، ولذلك كثرت وكالتُه بهذا الخصوص.

حوزة النجف في المرتبة الأولى:

في عهد الزعامة المطلقة للحُجـة العظمى، الفقيـه الثقة، والعـالم الزاهد، الشيخ مرتضى الأنصاري، أصبحت حوزة كربلاء تابعةً فكرياً لحوزة النجف، التي تألقت وازدهرت بدرجاتٍ أعلى في عهد هذا العالم الصمداني، الذي اشتهر أمرُه في الآفاق، وجرى ذكره على المنابر، على وضع لم يتفق قبله لغيره، وكان مرجعاً للشيعة قاطبةً في دينهم ودنياهم، وإليه يعود الفضلُ في تكوين النهضة العلمية الأخيرة في النجف، وتخرّج من مدرسته التجديدية أكثرُ فحول الفقهاء من بعدِه، أمثال الميرزا الشيرازي الكبير (السيد محمد حسن)، والميرزا حبيب الله الرشتي، والسيد حسين الترك، والشربياني، والمامقاني، والميرزا أبو القاسم الكـلانتري صاحب كتاب «الهداية»، وانتشر تلاميذه هنا وهناك، وذاعت آثاره في الآفاق وكان من الحُفّاظ، جَمَعَ بين قوة الذاكرة، وقوة الفكر والذهن، وصواب الرأي، وكان حاضر الجواب، لا يعيبُه حلُ مشكلةٍ ولا جواب مسألة، وعاش مع ذلك عيشة الفقراء المعدمين، وكان لا يُباريه أحد في التُقى وكثرة الصلوات، وغزارة العلم أصولاً وفروعاً، وحسن الأخلاق، له كتبٌ في الأصول والفقه، أصبحت فيما بعدَه مصادرَ ومراجعَ للفقهاء والعلماء.

إذن، نرى أن الحركة العلمية التجديدية الواسعة النطاق، التي كانت قد ابتدأت من حوزة كربلاء بفضل الوحيد البهبهاني، تلقّت دفعاً قوياً آخرَ على يد الشيخ الأنصاري في النجف، إذْ بفضل نشاطه التدريسي وعطاءه الفكري، تجدّد الفقهُ وأصولُه تجـدّدَهما الأخيـر، فقد أوجـدَ مدرسـةً فقهيّة دقيقـة

المضامين، لا تزال تفرض نفسَها على الحوزات العلمية القائمة حالياً في العالم الشيعي، عبر كتابيه الرائدين وهما: كتاب «المكاسب»، وكتاب «الرسائل»، اللذان يدرسهما كلُ طالب علم جاد ولا يستغني عنهما الفقهاء والمُجتهدون، إلى جانب تقريراته وتحقيقاته المُدوّنة التي لا تزال تُشكل العَمود الفقري في الحركة التدريسية بالحوزات العلمية، الناشطة في عصرنا الحاضر.

وعلى كلّ حالٍ، فقد كان الشيخ الأنصاري صاحبَ ملكة ربانية، ومكرمة إلهيّة، تجلّت بنور العلم الذي قذفه الله في قلبه فجعله منذ صغره وصباه، شغوفاً بالعلم ومُندفعاً لتحصيله، بشكلٍ لا ارادي، فقد تقدّمَ في مدارج العلم والفضيلة، والورع والنُسك التقوىٰ، حتى أصبح عالماً زاهداً ذا مكرمات وفضائل بما يجعله في مرتبة الأولياء الصالحين.

وحينما كان صبيّاً، حانَ وقتُ مغادرتِه لمسقط رأسه مدينةِ دزفول في جنوب إيران، مُتوجهاً إلى العراق لتحصيل العلوم الدينية في المشاهد المشرفة، كانت أمُه وَجلةً وخائفةً على مصيره، فحاولت في البداية منعه من السفر، وحارَ الأقاربُ فيما يفعلون، ولكن تقرّر بالأخير أن يُقنعُوها بالرجوع إلى المصحف الشريف، وأخذ الخيرة والمشورة من كلام الله العظيم، فقبلت الأم بذلك، وحينما فتحوا القرآن الكريم، تصدّرت هذه الآيةُ الشريفةُ الصفحةَ الأولىٰ المفتوحة منه ﴿**لا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾.

وبوجود شخصية دينية وعلمية وربانيّة، بهذا المستوى الرفيع وهذه المكانة الفريدة من نوعها، توفّر لحوزة النجف جاذبٌ قوي جداً، جعلَ منها العاصمة العلمية الأولى للشيعة في العالم، وحينما توفّي رحمه الله، كانت في النجف صفوة من كبار العلماء المُجتهدين، الذين تربّوا عليه وتتلمذوا لديه، والذين كانوا من الكَفَاءة والأهلية والمقدرة العلمية ما يجعلهم قادرين على شغل الفراغ الكبير، الذي أوجده موتُ الشيخ الأنصاري (رحمة الله عليه).

فقد تولى الزعامة الدينية من بعده تلميذه المبرّز وتابعُه الأجلّ العالم الكبير والفقيه، الرباني العظيم، والمُجدّد الفحل الحاج السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي، الذي قويت وتدعمت الزعامة الدينية الشيعية في عهده وتوسعت إلى حد بعيد جداً، حتى أصبح المرجعَ الأوحد والأقوى للشيعة على الإطلاق، وكان الناس وخاصة في العراق وإيران يمتثلون لأوامره ويُطبقون فتاويه دون أي تردّد أو تباطُيء، وكانت مكانتُه الروحية في قلوب الشيعة بذاك المستوى الشامخ، بحيث أنّ الملوك والأمراء والحكام في البلدان الإسلامية كانوا يهابونه ويحترمونه ويُطبقون أوامره، فعندما أصدر فتواه الشهيرة بحرمة تدخين التبغ لأسباب تتعلق بصيانة بلاد إيران الإسلامية أمام الهجمة الاستعمارية البريطانية، التي أرادت فرض نفوذَها على هذه البلاد الإسلامية الشيعية من وراء حصولها على امتياز زرع التبغ في إيران، وقد امتثل الجميعُ بلا استثناء لهذه الفتوى الخطيرة، حيث أن الناس بضمنهم رجالات البلاط الملكي القاجاري في إيران امتنعُوا عن التدخين، ويقال أن زوجة السلطان ناصر الدين شاه ملك إيران في ذلك الحين، امتنعت هي الأخرى عن التدخين وقامت بكسر الأرجيلة التي كانت تستعملها في تدخين التبغ العجمي، وأمام رد الفعل العنيف والواسع النطاق الذي أحدثته هذه الفتوى، لم يكن أمام السلطان ناصر الدين إلاّ الرضوخ لمطلب الجماهير المسلمة وزعيمها الروحي الأوحد الإمام الشيرازي الكبير، فبادر على التو بإلغاء امتياز التبغ، الذي كانت حكومته قد منحته لشركة بريطانية.

كان المجدّد الشيرازي عبقرية علمية فريدة في نوعها، إذ كان قد أنهىٰ دراسة مقدمات العلوم الدينية واستوعبها جيداً، وهو في سن السادسة من العمر، كما كان يقوم بتدريس كتاب شرح اللمعة، وهو من أمهات الكتب الفقهية الدراسية المتعمقة وصعبة الفهم لتلمذيه وهو شاب في الخامسة عشر من عمره، وكان عندما غادر اصفهان بعد فترة من الدراسة، بحوزتها العلمية على قدرٍ كبير من العلم والفضل بما يؤهله، لكي يكون تلميذاً مُبرزاً وفطناً جداً للشيخ الأنصاري.

وإلى جانب هذا الزعيم الروحي الأوحد، الذي اتخذت زعامته الطابع السياسي إلى جانب طابعها الديني، كان زميله العالم الزاهد الورع الشيخ حبيب الله الرشتي، الذي كان بحق مُربياً لجيل من كبار العلماء والفقهاء، وكان حلقة درسه تزخر بمئات الطلاب، الذين كان الواحد منهم عالماً وفقيهاً نابهاً في حدّ ذاته، وقد أسهم هو الآخر في تطوير وتنشيط الحركة العلمية والتدريسية بحوزة النجف.

وكان من نتاج هذين الزميلين الشيرازي والرشتي، نخبةٌ من العقول والأدمغة العلمية العظيمة، أمثال الفيلسوف الإسلامي الكبير والعالم الأصولي المُتميز المولى محمد كاظم الخراساني، والفقيه العظيم السيد محمد كاظم اليزدي، اللذين ازدهرت بهما حوزة النجف بشكل غير عادي حيث اكتظت بالمئات بل الآلاف من العلماء والأساتذة البارعين.

وحينما نقل المرحوم الميرزا محمد حسن الشيرازي حوزة درسه ومقر زعامته إلى مدينة سامراء لأسباب رأىٰ فيها المصلحة الإسلامية، بقيت حوزة النجف على حركتها الناشطة، لتواجد تلك الصفوة من رعيل العلماء على ساحتها، وإنْ كان ثقلُ المرجعية الدينية قد انتقل منها إلى مدينة سامراء.

الحوزة العلمية في سامراء:

إن ممّا لا شك فيه، هو أن للشخصيات الكبيرة دورَها في صُنع التاريخ وإن هذا الدور بما له من قوةٍ أو ضعف، يتوقّف على مدى مكانة الشخص وما يحظىٰ به من نُفوذٍ وتأثيرٍ معنوي في نفوس أتباعه وأنصاره ومُقلّديه، وأينما يحلّ هذا الشخص يصبحٍ ذاك المكان في مركز دائرة اهتمام اتباعِه وأنصاره، وهذا شيء طبيعي جداً.

من هذا المنطلق، فحينما نقل المرحوم الشيرازي الكبير، مقر زعامته وحلقة درسه إلى مدينة سامراء، كان لا بد من أن تزدهر الحركة العلمية في هذه المدينة وأن يتوفر لها جاذبٌ قوي لكبار العلماء والأساتذة الأجلاء، الذين بدأوا يتوجّهون إلى سامراء تباعاً ويُقيمون فيها حلقات دروسهم وأبحاثهم،

فالعلماء الذين رحلوا لهذه المدينة كانوا يهدفون أولاً الاستفادة من دروس الشيرازي والتمتع بصحبته المباركة، لكنهم بدورهم أوجدوا حلقات درسٍ على هامش حلقة درس معلّمهم الأكبر الشيرازي، ومن هنا ازدهرت الحوزة العلمية في سامراء، وأصبحت جامعةً علمية تستهوي طلاب العلم وتجذبهم من كلّ مكان.

و في الحقيقة أن سامراء لم تحو بين ظهرانيها منذ أن أنشأها الخليفة العباسي المُعتصمُ بالله عاصمة لمُلكه، عالماً مُجتهداً يُشارُ له بالبنان ويُطاع في أوامره وفتاويه على أوسع نطاق مثل هذه الشخصية التاريخية الفذة، ولم تشهد مثلها فيما بعد، إلاّ لفترات قصيرة جداً، حينما كان المراجع الدينيون العظام، أمثال المرحوم العلامة السيد أبو الحسن الاصفهاني رحمه الله وغيره، يُمضون شهورَ الصيف فيها. وقد باتت هذه الحوزة العلمية بوجود الشيرازي الكبير من الرسوخ والثبات، بحيث أنها حافظت على استمراريتها لفترة عقدٍ أو عقدين بعد وفاة الشيرازي سنة ١٣١٢ هـ، وانتقال جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف، بدليل أن العلماء الكبار الذين انجذبوا إلى سامراء لم يرحلوا عنها فجأةً، بل ظلّوا فيها إلى حين آخر منشغلين بالدرس والبحث، وظلت معهم حلقات دروسهم التي كانت من عوامل الجذب لهذه المدينة المقدسة، حيث يقبعُ المرقدان الطاهران للإمامين الهمامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) إلى فترةٍ أخرى إضافية في أعقاب وفاة الشيرازي الكبير رحمه الله.

عودة إلى حوزة النجف:

بعد موت المُجدد الشيرازي الكبير، انتقل ثقل الزعامة الدينية من جديد إلى النجف الأشرف، وكان طبيعياً أن تُعقد الرئاسة والمرجعية الكبرىٰ لزميله الأجل، العالم الزاهد الورع، الشيخ حبيب الله الرشتي، لكنه هو الآخر تُوفّي في نفس السنة التي تُوفّي فيها العلامة الشيرازي الكبير، من هنا تحولت الرئاسة العلمية ومرجعية التقليد لجُملة من العلماء المُجتهدين الكبار، منهم العلامة المولى محمد الشربياني، والعلامة الشيخ حسن المامقاني، والعلامة

الشيخ محمد طه نجف، والعلامة المولى علي النهاوندي، والعلامة الميرزا حسين الميرزا خليل الطهراني، والآيتان الكاظِمان: السيد محمد الكاظم اليزدي، والأخوند المولى محمد كاظم الخراساني، وغيرهم، ممّن كانوا يُشكّلون مجموعةً من العلماء الأتقياء الثُقات، الذين قلّما يجود الزمنُ بهم مرةً واحدةً ومُتزامنةً، وهؤلاء كانوا يتصدّرون قائمةً كبيرةً من رُواد العلم والفكر، حيثُ النجف في هذا الوقت كانت مزدحمةً بالأدمغة العظيمة والعقول النيّرة، غير أن الكاظمين السيد اليزدي والشيخ الخراساني كان يبُزان الآخرين ويتفوقان على الجميع، فالأول وأعني به السيد محمد كاظم اليزدي كان حجة وعَلَماً خفاقاً في الفقه، حتى أن كتابه القيّم «العروة الوثقى» أصبح مرجعاً أساسياً لتعليقات العلماء والمراجع اللاحقين، وقلّما وجَد عالم مجتهد بارز لم يُعلّق عليه، ومن بين الذين علقوا على كتابه «العروة الوثقى»: السيد أبو الحسن الاصفهاني، الشيخ علي الشاهرودي، السيد محسن الحكيم في كتابه المعروف «مستمسك العروة الوثقى»، والسيد مهدي الشيرازي، وكان الثاني وأقصدُ به الأخوند محمد كاظم الخراساني، عالماً مُجدداً، ومُنظماً لقواعد علم الأصول، بحيث أوجدَ مدرسةً أصولية خاصةً به لا تزال تفرض نفسَها على الحوزات العلمية في الوقت الحاضر، بفضل كتابه «كفاية الأصول»، الذي يعتبر كتاباً تدريسياً رئيسياً من كتب الأصول التي يدرسها طلاب العلوم الدينية، والذي أصبح بدوره مرجعاً لشروحاتِ الكثير من العلماء المجتهدين المتأخرين. وبسبب تفوق هذين العالمين المرجعين على سائر المراجع، فقد توزعت الرئاسة الدينية والعلمية بينهما وتحددت بهما تقريباً، فالأول كان يُمسك بناصية والحركة الفقهية، بوصفه فقيهاً فحلاً لا يُقهر، فيما كان الثاني يُمسكُ بناصية الحركة الأصولية، بوصفه العالم الأصولي الذي يسبق الجميع على صعيد هذا العلم، وذلك بفضل إبداعاته الكلامية، وتقريراته الأصولية، والفلسفية الزاخرة بكل جديد ومُبتكر وبديع.

وفي هذا الوقت كانت الساحة السياسة في إيران مسرحاً لمواجهة تيارين متصارعين، هما: الاستبداد والمشروطة أي الديمقراطية، ثم اشتدت

المواجهة بين أنصاري هذين التيارين، واتخذت شكلاً عنيفاً وخطيراً على عهد السلطان محمد علي شاه القاجار، الذي دخل في مواجهة دموية ضدّ أنصار ودعاة الدستور في إيران، أو ما عُرف في حينه «بالمشروطة» وأمر بقصف مبنىٰ المجلس النيابي بالمدفعية، فيما كان والده السلطان مظفر الدين الشاه قد رضخ لمطالب دعاة الديمقراطية والدستور، ووافق على إقرار الحياة النيابية في البلاد بفترةٍ ما قبل وفاته في سنة ١٣٢٦هـ.

وأمام هذه الظاهرة السياسية التي كانت إفرازات وتأثيرات في العالم الإسلامي، برز على ساحة الحوزة العلمية في النجف رأيان مختلفان، رأي للسيد محمد كاظم اليزدي، الذي كان يرأى أن مصلحة الدولة الإسلامية العليا في تلك الظروف المحاطة بملابسات معقدة تكمن في تركيز السلطة الزمنية في يد شخص مؤمن نزيه مُبرهناً رأيه، هذا بالعديد من الأدلة والاستنتاجات التي كان قد توصل إليها عن قناعة واجتهاد، إضافة إلى أنه كان يكره بشدة رجال الدين في السياسة مُعتبراً مثل هذا التدخل، مفسدة لا تخدم الدين وأهلَه، وكان يرىٰ أنَّ رجل الدين عليه أن يتفرغ كلياً لشؤون وأحكام الدين من حلال وحرام وأن يترك السياسة لأهلها، بينما كان الأخوند الخراساني، يرىٰ أن الدولة الحقة (الشرعية) هي التي تقوم على أساس رفض الاستبداد، من حيث أنه قوة يتمسك بها الجبابرة والطواغيت، وإن الاستشارة وإشراك الرعية في الرأي هما ما نصّ عليه القرآن الكريم، وأيدتهما سيرة النبي الأكرم وقام عليهما أمرُ أكثر من جاء بعدَه من أولياء الأمر العادلين، وكان لكل من اليزدي والخراساني أتباع وأنصار مُتحمسون لرأي هذا أو ذاك، فكان من نتيجة ذلك أن انقسم أهل العلم والثقافة إلى فريقين، كل يتبع واحداً من هذين الزعيمين.

وكان الخراساني متحمساً في رأيه لدرجة أنه أفتىٰ بوجوب خلع السلطان محمد علي شاه القاجار وتنحيته من عرش إيران، وبضرورة اتباع الدولة الإيرانية للنظام الديمقراطي في حكم الشعب وتأليف المجالس النيابية وإصدار الصحف وفتح المدارس وغيرها من المظاهر الديمقراطية، كما أنه حكم

بمحاربة السلطة الاستبدادية في إيران والجهاد ضدّها، فكان أن استعد الناس من أتباعه ومريديه للخروج إلى الجهاد واستعد هو كذلك لقيادة المسيرة الجهادية الزاحفة من النجف باتجاه إيران، غير أنه توفي فجأة فجر نفس اليوم الذي كان قد عيّنه موعداً لخروج الجماهير المؤمنة في المسيرة الجهادية، وهو يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٩ هـ.

وروى أن المرحوم الأخوند الخراساني، قد غيَّر رأيه في مصداقية دعاة الدستور والديمقراطية في إيران، حينما أقدم هؤلاء على إعدام العالم الديني الشهير الشيخ فضل الله النوري، بتاريخ الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٧ هـ، بسبب رفضه للمشروطة (النظام الملكي المشـروط بالـدستور والحياة النيابية)، ومطالبته بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أو ما كان يسميه بالمشروعة مقابل المشروطة، وقد غضب الخراساني من هذه الجريمة أشد الغضب واعتبره تصرفاً لا مُبرّر له إطلاقاً، كون أن مخالفة الرأي في قضية سياسية لا تستوجب القتل بالمرة.

وفي أعقاب وفاة الخراساني، أصبحت المرجعية الدينية الكبرىٰ معقودة على السيد محمد كاظم اليزدي وحده لا ينافسه فيها أحدٌ، وظلّ ماسكاً بناصية الزعامة المطلقة لفترة ثماني سنوات حتى توفي في سنة ١٣٣٧ هـ.

لقـد كان السيـد اليزدي (رحمه الله) موضع احترام الجميع لعلمه وورعه وزهده وتقواه، كان الناس يحبونه ويجلّونه إلى أقصى حد، وكان كلامه حجة لهم لا يتوانون عن الامتثال لأوامره وتعليماته، وقد وصل الأمر في محبة الناس له إلى حدّ أن عرب البادية في العراق كانوا يأتون بحفنـاتٍ من التراب ويضعونها تحت قدميه ثم يأخذونها معهم إلى ديارهم ليحلفوا بها فيما بعد، فكانوا أثناء منازعاتهم يأتون بهذه الحفنات ويُقسمون بها قائلين: قسماً بتراب قدم السيد «اليزدي».

وفي هذه الأثناء كان نجم عالم جليل، وفقيه زاهد، ومجاهد شجاع، هو الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي يسطع ويلمع في سماء الحوزة العلمية

في كربلاء، خاصةً وأنه انبرى لقيادة الثورة العراقية الكبرى، ضدّ الاحتلال البـريطاني لأرض العـراق الإسلاميـة وتزعم الحـركة الجهـادية للمسلمين العراقيين، فبعد وفاة السيد اليزدي انتقلت الزعامة الدينية العظمى إلى الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي في كربلاء.

حوزة كربلاء على عهد الشيخ الشيرازي:

كان مقر الزعيم الروحي، والمجاهد الإسلامي الكبير، الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي في مدينة كربلاء، وحينما انتقلت إليه الرئاسة العلمية، والزعامة الدينية الكبرى، تبوأت حوزةُ كربلاء العلمية مكانةَ الرئاسة من جديد، فاندفعت الحركة العلمية والتدريسية فيها بقوةٍ أكبر وأعظم، لما توفرّ لها من عاملِ جذبٍ إضافي إلى جانب كونها حوزة عريقة، ترتبط بأرض طاهرة مقدسة.

وخلال فترة مرجعية الشيخ الشيرازي، باتت هذه الحوزة تعج وتزخر بالعلماء الكبار والأساتذة المحقّقين الأجلّاء، الذين جاءوا إليها من كل حدب وصوب وخاصة من النجف الأشرف، أمثال المرحوم العالم المحقق الشيخ علي الشاهرودي، وآية الله العظمى السيد الآقا حسين القمي، وآية الله العظمى الميرزا هادي الخراساني، وغيرهم كثيرون ممّن أسهموا بجانبِ علماءها وأساتذِتها المجاورين في خلق حركة علمية نشطة جداً. والذين فضلّوا البقاءَ في رحاب كربلاء حتى لما بعد وفاة الشيخ الشيرازي، وبوجود هؤلاء كَثُرت وتنوعّت حلقات الدرس والبحث في أرجاء الحائر الشريف، وتربّى جيلٌ من العلماء والمجتهدين الكبار، أمثال العالم الأصولي المحقق السيد هادي الميلاني، والعالم الزاهد الثقة السيد الميرزا مهدي الشيرازي، والأستاذ المُربّي الشيخ محمد رضا الاصفهاني، والعلامة الفهامة الشيخ يوسف الخراساني البيـارجمندي، والمحقّق الجليل والعالم النحرير والأستاذ البارع السيد حسن القزويني المعروف بآغامير، وغيرهم.

ويمكن القول أن قوة الدفع التي اكتسبتها حوزةُ كربلاء في عهد رئاسة

الشيخ الشيرازي، بقيت على طاقتها الهائلة حتى لوقت قريب لأن جيلاً آخر من العلماء والمجتهدين تربّى بها وأمسك بناصية الحركة العلمية والتدريسية فيها، أمثال آية الله السيد محمد الحسيني الشيرازي، والعلامة الكبير والأستاذ المحقق الشيخ محمد الشاهرودي، والمُفكّر الإسلامي النيّر السيد أحمد الفالي صاحب المُصنّفات العديدة، والمُفكّر الإسلامي المجاهد السيد حسن الشيرازي، والسيد صادق القزويني، وغيرهم كثيرون. وإضافةً إلى كل ما ذكر، فإن مدينة كربلاء أصبحت في عهد الشيخ الشيرازي، المركزَ السياسي الأوحد للعراق نظراً لأنه تولّى إلى جانب مهامه الدينية قيادةَ الثورة العراقية الكبرى التي عُرفت بثورة العشرين، ممّا أضفى على الحوزة العلمية في كربلاء الطابعَ الديني والسياسي معاً، إذ أنّ الثقلَ السياسي الثوري والجماهيري لكلّ العراق انتقل إلى كربلاء، حيث كانت البلاغات الثورية تصدُرُ عنها أولاً بأول.

ولدُ المرحوم الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي في مدينة شيراز سنة ١٢٥٦ هـ، وحينما كان في السابعة عشر من عمره هاجر إلى مدينة كربلاء للاغتراف من معين العلم والفضيلة في حوزتها، فقرأ بداياتِ العلوم الدينية وتتلّمذ على العلامة المولى الشيخ حسين الاردكاني المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ، ثم رحل إلى مدينة سامراء وتتلّمذ لدى المُجدّد الكبير السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي حتى أصبح من أجلاء تلامذته، وحينما احتلت العساكر البريطانية مدينة سامراء قفل راجعاً إلى كربلاء وسعى البعث الروح الجهادية بين المسلمين، فطالبَ بالحقوق المغدورة والمهضومة للمسلمين، وأصدر فتواه التاريخية التي أثارت الحماس والغيرة الإسلامية في صفُوف العراقيين، واكتسب شهرة وصيتاً ذائعاً تخطّى الحدودَ العراقية وشاع اسمه وعرفت مكانته كزعيم روحي وسياسي فذّ في بلدان إيران ولبنان وسوريا ومصر، وبالرغم من انشغاله بشؤون الزعامة الدينية وقيادة الثورة العراقية بقي على اتصال وثيق بطلاب العلوم الدينية والعلماء وظلّ مُهتماً، وراعياً لشؤون وشجون الحوزة العلمية في كربلاء والحوزات الأخرى، كما خصصّ قسماً من أوقات فراغه

للتأليف والتصنيف، حيث ألفّ كتاب شرح «المكاسب» للشيخ مرتضى الأنصاري، و «القصائد الفاخرة في مدح العترة الطاهرة»، وشرح على «منظومة الرضاعة» للسيد صدر الدين العاملي، وقد تتلّمذ عليه وتربّى في محضر درسِه رعيلٌ من الفقهاء والمجتهدين، منهم: السيد الميرزا هادي الخراساني، والشيخ محمد كاظم الشيرازي، والشيخ محمد علي القمي، والسيد محمد حسن القزويني المعروف بآغامير، والعالم الرجالي النسّابة الشيخ آغا بزرك الطهراني.

وترجمه عدد لا بأسَ به من المُؤلفين المَعنّيين بتراجم الرجال منهم صاحب «أعيان الشيعة»، وصاحب «معارف الرجال»، وصاحب «نقباء البشر في القرن الرابع عشر»، فقد قال فيه الرجّاليُ الأخير ما يلي:

هو الشيخ الميرزا محمد تقي بن الميرزا مُحب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي المُتَخلّص بـ «جُلشن» الحائري الشيرازي، زعيم الثورة العراقية ومُورّي شَرارتها الأُولى، من أكابر العلماء وأعاظم المُجتهدين ومن أشهر مشاهير عصره في العلم والتقوى والغيرة الدينية.

وُلد بشيراز ـ كما حدثني به ـ ونشأ في الحائر الشريف (كربلاء)، فقرأ فيه الأوّليات ومُقدّمات العلوم وحضر على العلامة المولى محمد حسين الشهير بالفاضل الأركادني حتى بَرَعَ وكمّل، فهاجرَ إلى سامراء في أوائل المُهاجرين مع صديقه وشريكه في البحث العلامة السيد محمد الفشاركي الاصفهاني، فحضر على المُجدّد الشيرازي حتى صار من أجلّاء تلاميذه وأركان بحثه وكُان يَومئذٍ مُدّرِساً لجمعٍ من أفاضل تلاميذ المُجدّد إلى أن تُوفي استاذُه الجليل، فتعّين للخلافة بالاستحقاق والأولوية، فقامَ بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء، وقد خرجَ من مجلس بحثه الشريف جمعٌ غفيرٌ من أجلّاء العلماء وأفاضل المجتهدين البالغين رُتبَةَ الاجتهاد، وذلك لدقة نظره وفكره وكثرة غَوره في المطالب الغامضة والمسائل المُشكلة، قال سيدُنا في «التكملة»:

عاشرتُه عشرين عاماً فما رأيت منه زَلّة ولا أنكرتْ عليه خِلّة، وباحثتُه

اثنتي‌عشرة سنة فما سمعتُ منه إلاّ الأنظارَ الدقيقة والأفكارَ العميقة والتنبيهات الرشيقة.

«أقولُ»: وقد تلّمذتُ عليه وحضرتُ بحثَه ثمان سنين في سامراء، فتأكدت لديّ صحةُ كلام سيدنا الصدر وبانت لي حقيقتُه، وصدق الخبر وتحققنا ذلك من طريقي السمع والبصر، ولم تُشغله مرجعيتُه العظمى وأشغالُه الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، فقد كان ينتهزُ من وقتِه المُستغَرق بأشغالِه فرصةً بخلو فيها للتفكير في مصالح الناس وأمور العامة وحسبُك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية ومطالبته بالحقوق المغدورة والأمر بالدفاع واصداره تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق وأقعدته، لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس، وحقاً إنه بذل كلَّ ما لديه وبوسعه من حَول وطول وضحّى بكل غالٍ ونفيسٍ حتى أولاده وماله، وقضيةُ إلقاءِ القبضِ على ولده الميرزا محمد رضا معروفةٌ، فقد فَدى استقلالَ العراق بنفسِه وأولاده وكان أفتى قبلَها بحُرمة انتخاب غير المسلم، وذلك لمّا حَمَل الانجليز الشعبَ العراقي على انتخاب مُعتمد الحكومة البريطانية «السر برسي كوكس»، رئيساً للحكومة العراقية فإنه ـ أعلّى الله مقامه ـ شَعَرَ بالحيلة المُدبَّرة من المُستعمِر، وعرف المَغزى وانكشفَ له المخبأ فعند ذلك أصدر فتواه وأبدى رأيَه الصائب، فلم يكن من أمر العراقيين إلاّ الامتثال لأمره فقد كانوا طوع إرادته لا يصدرون إلاّ عن رأيه، وقد عقدت اجتماعاتُهم في داره بكربلاء عدة مرات كان أحدها ـ ولعله آخرها ـ اجتماعهُم ليلةَ نصف شعبان عام وفاته، فقد عرضوا عليه بتلك الجلسة منوَياتهم وتعهدّوا بأن فيهم القوة الكاملة، فلم يزدْ في أول مرةٍ على قوله: «إذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم»، ولمّا بدت أعمالُ الحكومة الشنيعة استنكرهـا استنكاراً عـظيماً واجتمع عليه العلماء والزعماء والرؤساء يستفتونه في القيام ضدَّ السلطة، راغبين بأن تكون فتواه بدءَ الشُروع في الثورة فعند ذلك أصدر فتواه المشهورة وهذا نصهُّا: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعايةَ السلم والأمن ويجوز لهم التوسّل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانجليز عن قبول مطالبهم... الخ»، فأصبحَ لهذه الفتوى مقامها الخطير

باعتبارها من ذلك الزعيم العظيم، إذْ لم يستطيعوا الإقدام على أمرٍ قبل حصول الإذن منه، وبعد الرُخصة وتعيين التكليف اتجه العراقيوُن إلى العمل بواجب المُدافَعة، وجرت أمورٌ ليس هذا موضع ذكرها فصادفَ مرضُ المُترَجم ووفاتُه بعد أيام وذلك في ليلة الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ، فثَلُمَ الإسلامُ بوفاته في أمس أوقات الحاجة إليه، وقد كادت الأمورُ أن تتقهقر لولا نهوض شيخنا الأستاذ شيخ الشريعة الاصفهاني بالأمر وقيامه بأعباء الخلافة، ووقوفه موقف الإصلاح بين الحكومة والأهلين، وقد عَزّاه الحاكم الملكي العام بوفاة الحجة الشيرازي إلى أن تمّ الأمر على النحو المشهور الذي دوّنته كتبُ التاريخ العراقية.

دُفن شيخنا المترجم في كربلاء ومقبرتُه في الصحن الشريف مشهورة، وكان ـ أعلّى الله مقامه ـ من بيت علم وفضل وشرف وتقوى، فعمُّه: الحكيم الميرزا حبيب الله من الشعراء الخالدين، ووالده: العبد الصالح من العرفاء الكاملين، وَجدُّه جُلشن وأخوه الميرزا محمد علي من أعاظم العلماء بشيراز، وللمترجم تصانيف كثيرة طبع منها حاشية «المكاسب»، و«رسالة صلاة الجمعة»، و«رسالة الخلل»، وله ممّا لم يُطبع شرح «المنظومة الرضاعية» للسيد صدر الدين العاملي، وله ديوان شعر فارسي من القسم الرائق أكثرُه في مدائح أهل البيت ومراثيهم مطبوع، وغير ذلك، ترجمه جماعةٌ من الأعلام وله ذكر في أغلب كتب التاريخ العصرية حتى التي تُدرسّ في ثانويات العراق. . . الخ.

الثورة العراقية الكبرى ودور كربلاء فيها:

في الحقيقة أن ثورة الشعب العراقي المسلم على الاحتلال البريطاني اندلعت من مدينة كربلاء أولاً، ومن المدن المقدسة الأخرى ثانياً، وهذا يعني أن المدن المقدسة في العراق وعلى رأسها كربلاء هي التي أججّت نارَ الثورة وفجرتها لتعم سائر المدن العراقية خاصةً في منطقة الفرات الأوسط، وذلك نظراً لأن العلماء ورجال الدين الأفاضل كانوا آنذاك يُوجهّون الموقف السياسي

في البلاد، وكان الناس يُطيعونهم ويُنفذّون أوامرَهم من مُنطلق وازعهم الديني أولاً، ولانعدام السلطة السياسية الزمنية المسلمة في العراق التي كانت محتلة من قبل الانجليز ثانياً.

وعلى هذا الصعيد كانت كربلاء رائدةَ الثورة وقائدةً لمسيرة الشعب لتواجد زعيم ديني وعالم فذ على ساحتها العلمية والدينية هو الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، الذي فجرِ الثورة العراقية بفتواه الشهيرة بالجهاد ضدّ المحتلين الغاصبين للأرض الإسلامية، وذلك قبل أن تنتقل إليه الرئاسة الدينية الشيعية التي كانت في ذلك الوقت معقودةً للعالم الكبير السيد محمد كاظم اليزدي في النجف، غير أن الحالة الصحية لهذا الأخير، وأعني به السيد اليزدي، وكبر سنه وشيخوخته منعته من القيام بنشاط ملحوظ على صعيد تحريك الجماهير المسلمة باتجاه مناهضة القوى الاستعمارية المحتلة للأرض الإسلامية، إضافة إلى أنه كان يأخذ دوماً جانب الحيطة والحذر في المسائل السياسية، كي لا يتسّبب في إزهاق أرواح المسلمين وابتعاداً عن مظان المقولة الشائعة بين العلماء: وهي «دفع فاسد بأفسد».

ولكن مع ذلك كانت مدينة النجف تتعاطف وتُؤيد كربلاء في حركتها الثورية، وانبرى العديدُ من علماءها بالوقوف صفاً واحداً خلفَ الزعيم الديني الكبير الشيخ الشيرازي ومساندته بالروح والدم، وعلى رأسهم شيخ الشريعة الاصفهاني، الذي قاد الثورة العراقية خلفاً للشيخ الشيرازي بعد وفاة هذا الأخير مُباشرةً.

ولتوضيح الأمور نقول: عندما احتلت بريطانيا أرض العراق بحجة تخليصها من الاحتلال العثماني، ثم نكثت بعهودها التي قطعتها على شعب العراق المسلم بمنحه الاستقلال والحرية، ومماطلتها في تحقيق إرادة الجماهير الحرة، حدثت تململات مستمرة وبرزت مظاهر السخط والغضب والاحتجاج في صفوف الناس، واخذت هذه الفكرة تُشاع وتنتشر على أوسع نطاق في الوسط الشعبي ومفادها هو أنَّ الشعب العراقي خرج من دائرة احتلال دولة ليدخل في دائرة احتلال دولة أخرى، وبات اليائس والاحباط

يسودان الجو السياسي في البلاد، وتأكد على الطبيعة زيف ادعاء الانجليز المحتلين من أنهم جاءوا محُررين لأرض العراق لا فاتحين لها. حتى أخذت موجة السخط والغضب الشعبي منحىً خطيراً جداً بالنسبة للغُزاة المُحتلّين.

وتهدئةً للخواطر والمشاعر الشعبية الغاضبة، صدرت الأوامر من لندن، بأن يقوم الحاكم البريطاني العام في بغداد بالتعرف على آراء العراقيين بشأن طبيعة نظام الحكم الذي يرتأونه، وذلك باجراءِ استفتاء عام حول البنود التالية:

ـ هل يرغبِ العراقيون في إنشاء دولة عربية واحدة تسترشد ببريطانيا، وتكون حدودها ممتدةً من ولاية الموصل في الشمال إلى الخليج في الجنوب.

ـ وفي هذه الحالة هل يُريدون أن تكون الدولة الجديدة برئاسة أمير عربي.

ـ وإذا كان الأمر هكذا فمن هو الشخص الذي يُريدونه رئيساً لبلادهم.

غير أنّ المحتلين الإنجليز وبضمنهم «أرنولد ويلسون» وكيل الحاكم البريطاني العام، كانوا يرفضون فكرة إقامة أي شكلٍ من أشكال الحكم الوطني في العراق، ولذلك سعوا إلى تدبير عملية استفتاء عام مُزيّفة تتفق نتائجها مع ما يرتأونه هم لا كما يريده الشعبُ العراقي، وذلك بالتأثير على الناس وتضليلهم في كل منطقة من مناطق العراق مُستخدمين لعملية تزييف آراء الشعب الحُكامَ المحليين الانجليز وجواسيسهم وعملاءهم.

وبالنظر الى أن العتبات المقدسة في العراق كان لها دور قيادي في تسيير وجهة الشعب المسلم، لتواجد العلماء ورجال الدين على ساحاتِها السياسية الدينية، وللوعي المتزايد في صفوف شُبانِها، فقد صدرت تعليمات سرية تقضي باستحصال نتائج مرضية لصالح الانجليز من الاستفتاء العام وخاصة في المدن المقدسة، غير أن استحصال نتائج كهذه لم يكن أمراً سهلاً وميسوراً في مدن العتبات المقدسة، وبهذا الصدد تقول الكاتبة الغربية «مس

بيل» التي تُعتبر من أهم الكتاب الغربيين الذين دوّنوا التقارير الوثائقية عن مدينة كربلاء في هذه الفترة المصيرية:

«إن العلماء المجتهدين في كربلاء والكاظمية حرمّوا على المسلمين أن يصوتوا لغير تشكيل حكومة إسلامية فبلغ الاختلافُ حداً أوقف سير عملية الاستفتاء، ففي كربلاء أصدر العلامة الأكبر الميرزا محمد تقي الشيرازي فتواه التي تنصُّ على هذا القول «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين، وعلى ضوء هذه الفتوى نشط الكربلائيون في إعداد وتوزيع منشورات وبلاغات تعُبّر عن واقع رأي الشعب، وحقيقة ما يرُيدونه بشأن نظام الحكم في بلادهم بما يتفق مع مصلحتها الوطنية، ولمّا أيقنت السلطات الانجليزية من أنها غير قادرة على تحقيق ما تُريد، بادرت إلى إلقاء القبض على ستة من وجهاء كربلاء وأبعدتهم، وهم: عمر الحاج علوان، وعبد الكريم العواد، والسيد محمد علي الطباطبائي، ومحمد علي أبو الحب، والسيد محمد مهدي المولوي، وطلفيح الحسون، وعلى إثر هذا الاعتقال احتج الميرزا محمد تقي ووجه خطاباً عنيف اللهجة.

وتقول الكاتبة «المس بيل» في تقريرها عن دور كربلاء في إحباط عملية الاستفتاء المدبرة من قبل الانجليز: وكان أبرز شخصية على الإطلاق في حركة كربلاء هو نجل الميرزا محمد تقي الشيرازي المُتقدّم في العمر، وكانت منزلة الشيخ محمد تقي في العالم الشيعي لا تفوتها إلا منزلة محمد كاظم اليزدي.

ثم تضيف بالقول: إن سير الاستفتاء في المناطق الأخرى ولا سيما في المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف والكاظمية وفي بغداد أيضاً لم يكن سهلاً، كما أن نتائجه لم تكن مرضية على الوجه المطلوب، وأما في مدينة كربلاء بادر المجتهدين إلى إصدار فتاوى تجعل من كل فرد يميل لدولة غير مسلمة شخصاً مارقاً عن الدين، وبفعل هذه الفتاوي تردّد سكانُ المدينة في إعطاء أي رأي محدد، وبذلك لم يحصل أي تقدّم على صعيد الاستفتاء في كربلاء ولم يُفصح أحدٌ عن الآراء التي تكونت فيها رسمياً».

وفي الحقيقة أن عملية الاستفتاء المُزيّفة والمضاعفات التي خلفّتها كانت عاملاً قوياً في إذكاءِ نَار الثورة الشعبيـة ضدّ السلطات الانجليزيـة المحتلة، ولا سيما في كربلاء التي اضطرت هذه السلطات إلى إبعاد عددٍ من رجالاتها البارزين، فقد تطورت الحالـة في هذه المـدينة المقـدسة حتى استقطبت الكفاح الوطني على مستوى العراق، خاصة بعد أن أصبح العلامة الكبير الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي المقيم في كربلاء المرجع الأعلى والأوحد للشيعة في العالم في أعقاب وفاة السيد محمد كاظم اليزدي سنة ١٣٣٧ هـ، وهكذا أصبحت كربلاء مركز استقطاب سياسي وديني في آنٍ واحد.

ثم تطور الموقف السياسي على هذا النحو حتى اندلعت نار الثورة العراقية الكبرى بتاريخ الثلاثين من شهر حزيران ـ يونيو عام ١٩٢٠ الميلادي، وهي الثورة التي عرفت بالثورة العشرينية التي اضطلع بالعمليات المسلحة، فيها رجال القبائل القاطنة في منطقة الفرات والذين شنوا حرباً لا هوادةَ فيها على جنود الانجليز ومواقعهم ومنشآتهم في مختلف أرجاء العراق، وكان هؤلاء الفدائيون المحاربون يتلقون المشورة والرأي والإرشادات من كربلاء وسائر المدن المقدسة.

وبهذا الصدد تقول «المس بيل»: إن القلاقل والاضطرابات العلنية قبل أن تحدث في بغداد، كان العامل الديني الشيعي في المدن المقدسة يسعى جاهداً لتدبيرها والتخطيط المبرمج لها بهدف تعكير الجو السياسي العام ضدّ السلطات البريطانية الحاكمة، وإن وفاة السيد محمد كاظم اليزدي قد أدت إلى انتقال السلطة الدينية في العالم الشيعي إلى أيدي الميرزا محمد تقي الشيرازي المُتقدم في السن، والذي كان يقوده في جميع شؤونه نجله الشيخ محمد رضا وكان هذا الأخير رجلاً سياسياً نشطاً وديناميكياً لا يستقّر على حالٍ ومُعارِضاً عنيفاً للاتفاقية الإيرانية البريطانية، ولذلك كرس كل جهوده ومساعيه من أجل توجيه الرأي العام لمناوئة الحكم البريطاني في العراق، فقد كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به اسرة المجتهد الأكبر في البلاد، وقد

جعله تأثيره على أبيه مرجعاً أعلى في الرأي أيضاً.

وتقول الكاتبة «المس بيل» أيضاً: إن الدعاية الشديدة للثورة، كانت تبث من كربلاء وبغداد لتنتشر في الديوانية عن طريق الشامية، ثم تُورد كمثلٍ على ذلك نصَّ الكتاب الذي وجهه الزعيم الشيرازي إلى إخوانه المسلمين العراقيين، هكذا:

إلى إخواننا العراقيين:

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإن إخوانكم المسلمين في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فيما بينهم بمظاهرات سلمية وقد قام جماعة كثيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمنية بوجه واحد، طالبين حقوقهم المشروعة المُنتجة لاستقلال العراق إن شاء الله تعالى بحكومة إسلامية، ولقد بلغتنا احساساتكم الإسلامية وتنبهاتُكم الوطنية، والواجب عليكم، بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانهم بهذا القصد الشريف، وأن يُرسل كُل قطر وناحيةٍ بمقصده إلى عاصمة العراق (بغداد) للطلب بحقّه مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد، وإياكم والإخلال بالأمن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإن ذلك مُضرّ بمقاصدكم الإسلامية ومُضيّع لحقوقكم التي صار الآن أو أن حصولها بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا واحداً منهم بسوء، وفقكم الله جميعاً لمراضيه، والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. كربلاء في ٩ ـ ١٠ رمضان ١٣٣٨ هـ، الأحقر محمد تقي الحائري الشيرازي.

وعلى أية حال بقي العلماء الأعلام وعلى رأسهم الشيخ الشيرازي قائمين بما يتطلبه منهم الواجب الديني المُقدس يبثون روحَ الوحدة والائتلاف بين طبقات الشعب على اختلاف ملله ونحله، وذلك بإرشاداتهم النافعة التي كانوا يسدونها إلى الناس، وقد جاءت هذه الإرشادات ونفث الروح الوطنية والغيرة الإسلامية في الخطابات الكثيرة التي كانوا يُوجّهونها إلى أفراد الشعب،

هادفين من وراء ذلك الحفاظ على التوازن بلا تفرقة وإسعاد البلاد الإسلامية إلى جانب مراعاتهم للواجبات الدينية. ومن هذه الخطابات، خطاب الزعيم الشيرازي بما نصّه الآتي:

إلى إخواننا المسلمين في العراق سلّمهم الله.

غير خفي على أحدٍ أن موقف المسلمين في مثل هذا اليوم قد بلغ صعوبته وحراجته مبلغاً لا يسع العلماء الأعلام أن يسكتوا عنه، كما لا يسع العشائر المُتحفزين إلّا بذل النفس والنفيس في سبيل هذه النهضة الدينية والحركة الواجبة الإسلامية، فالواجب اليوم على عموم المسلمين أداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين المُبين، وصيان المشاهد المشرفة عن لوث الكافرين، ومحافظة نواميسكم الأطهار عن تعديات الكفرة، والقيام بواجب الوعظ والتشويق، والنفر والحث، والترغيب والترهيب. والله وليّ التوفيق إنه سميع مجيب.

الأحقر: محمد تقي الحائري الشيرازي

لقد تطور الموقف السياسي في العراق وأخذت الثورة الشعبية المسلحة تسير في مراحلها الخطيرة والمصيرية، بفضل القيادة الواعية التي تولتها الحوزةُ العلمية في كربلاء، وعلى رأسها زعيمها ورئيسُها الروحي الأغر الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري، حتى وصلت إلى مرحلة اضطرت فيها بريطانيا إلى التخلي التدريجي عن إجراءاتها القسرية، وتعاملها المُتشّدد والمُتعجرف مع الوطنيين ودعاة التحرر والاستقلال، فشرعت بتقديم تنازلات مُتدرجة أسفرت بالتالي عن قيام حكم يرفع الشعار الوطني في العراق، وإن هذا الحكم إن لم يكن على مستوى طموحات الشعب العراقي ومطلبه الأساسي في نيل الاستقلال والتحرر الناجزين، لكنه على علاته كان الخطوة الأولى في سلسلة الخطوات اللاحقة، التي انتهت بانحسار النفوذ البريطاني عن أرض العراق المسلمة.

غير أن العبرة الرئيسية هنا تكمن في أن مدينة كربلاء بحوزتها العلمية الرائدة وأهليها الواعين أثبتت للعراق وجوده، وكيانَه، وهويتَه الإسلامية

الحقيقية، وإن علماء الدين وعلى رأسهم المغفور له الشيخ الميرزا الشيرازي قد أسدوا للعراق وللإسلام خدمة جليلة سيذكرها التاريخ على الدوام.

إن ما يجب أخذه في الاعتبار بهذا الخصوص، هو أنه عندما تُصبح انتفاضة شعب مسلم مصبوغةً بالطابع الديني، والوازع العقائدي الروحي، فإنها لا جَرَم تصبح قوية شامخة، لا يمكن قهرها وكسر شوكتها بسهولة ويسر، لقد حدثت ثورات وانتفاضات كثيرة هنا وهناك، ولكن الفشل كان نصيبَ أكثرِها، وذلك لأنها كانت تفتقد العاملَ الجهادي الديني، والوازع الروحي، فعندما يُفتي عالمٌ ديني كبير بإعلان الجهاد المُقدّس، بعد تدبّر وتفكير سليمين في مصير المسلمين، وحاضرهم ومُستقبلهم، يُصبح الكفاح عندئذٍ نوعاً من الواجبِ الديني، الذي لا يُمكن تغافله والذي من أجله تضحى الأنفسُ رخيصةً على مذبح الدين، وإذا ما أصبحت النفس في نظر صاحبها رخيصةً وفاقدةً لأية قيمة بالمقارنة لدينه ومُعتقده، فإنه لن يعزُ عليه بعد ذلك افداؤها والتضحية بها، وعندما تصبح التضحية شيئاً سهلاً وعادياً، وظاهرة شائعة بين الناس المؤمنين، والعقائديين، يزول الخوفُ من بين الناس في مواجهة الأعداء ومن تقوم الثورةُ أو الانتفاضةُ ضدَّهم، مهما كانوا مُدجّجين بالسلاح وأقوى العتاد، وإذا ما زال الخوف فإن أهم عنصر للنجاح والنصر المؤزر يتحقق لا محالة. وهكذا كانت الثورة العراقية الكبرى التي قادها زعيم روحي كبير، وجد أن بيضة الإسلام وشوكة المسلمين وعزة الدين الحنيف وإعلاء كلمة الله على الأرض، هي أثمن وأغلى من أية تضحية ومن الفداء بالغالي والنفيس، فكان النصرُ حليفَ المسلمين في العراق بحمد الله.

ومعروفُ للجميع أن أي عالم ديني أو مجتهد حقيقي، لا يرضى بتاتاً بأن تراق حتى قطرة دم واحدة من أي فرد مسلم، لأن حياة الفرد بنظر الدين الحنيف هي أغلى من أي شيء آخر، وأن صونها واجبٌ مؤكد، ولكن عندما يجد أن العقيدة الإسلامية معرضة للخطر وأن المسلمين بأموالهم وأعراضهم مهدّدون بالقتل والنهب والاغتصاب، فإنه من موقع المسؤولية الشرعية والواجب الديني، ينهض للدفاع عنهم فسيصدر فتوى الجهاد المقدس، وفي

مثل هذه الحالة تصبح دماء المجاهدين المسلمين، سياجاً واقياً و رادعاً عن كيان الإسلام وسلامة الملّة الإسلامية، وخاصةً إذا كانت أرض الإسلام مهددةً ومُستباحة من جانب قوى أجنبية طامعة.

وأخيراً يجدرُ القول بنا: إن كربلاء كانت لها في عهد زعامة وقيادة الشيخ الشيرازي للثورة العراقية الكبرى، حكومةٌ مؤقتةٌ ومجلسٌ ملّي ثوري، كان يرأسهما أحدُ أعوان الزعيم الشيـرازي، هو الحـاج محمد حسن بن حمادي بن مهدي من آل أبي المحاسن الجناحي الكربلائي، المُتوفى سنة ١٣٤٤ هـ، وقد ترجمه صاحبُ «أعيان الشيعة» بقوله: كان شاعراً أديباً، حسن البديهة، كاتباً ثائراً، له ديوانٌ كبير مخطوط مُبوّب، درسَ في كربلاء على جماعةٍ من علمائها الأعلام، وخلالَ الثورة العراقية انتدبه الميرزا محمد تقي الشيرازي عن علماء كربلاء للتفاوض مع الانجليز، وكان رئيساً للمجلس الملّي الثوري والحكومة المؤقتة في كربلاء يومذاك، وهو أحدُ السبعة عشر شخصاً الذين طلبت بريطانيا تسليمهم للمحاكمة عند احتلال جنودها لمدينة كربلاء عام ١٩٢٠ م، فاعتقلُ مع أولئك الأشخاص في بغداد، ثم في الحلّة أياماً عديدة، وحُكم عليهم بأحكام مختلفة، حتى صدر القرار بالعفو العام، ولمّا شُكلت الوزارةُ العراقية بعد الثورة، عُينّ وزيراً للمصارف في وزارة جعفر العسكري سنة ١٩٢٣ م. ومن شعره وهو معتقلٌ في سجن الانجليز بالحلّة:

مَقَـولي مَـاض وسيفي مثله ... وجنـاني ثـابت لم يخـرنِ
سـالم الأخـلاق من مُنتقـد ... في سُرور كنتُ أو في حـزن
عـظمّوا الجُرم وقـالـوا حَـاكمٌ ... وطـنـي ثـائـر ذو لـسـن
هـيّـج الشعبَ وأغـراه بـنـا ... لم يغبْ عن مَشهـد أو مَوطنِ
إن أكن أُحسب فيكم مُجرماً ... فـأنـا المُحسن عنـد الـوطن
سيئـات وضعتني عنـدكم ... حَسنـاتٌ عنـده تـرفعُني

حوزة كربلاء بعد وفاة الشيخ الشيرازي:

عنِدما توفي الزعيم الروحي الكبير العالم الورع، الشيخ الميرزا محمد

تقي الشيرازي في شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ، انتقلت الرئاسة العامة إلى العلامة الكبير الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة الاصفهاني، الذي خلّف الشيخ الشيرازي الراحل على الرئاسة الدينية وقيادة الثورة العراقية، التي كانت في حينه قد وصلت إلى نهايتها تقريباً، لكنه لم تدم حياتُه طويلاً فقد وافته المنيةَ بعد أشهرٍ من وفاة الشيرازي، أي في أواسط سنة ١٣٣٩ هـ.

فعندما تُوفي شيخ الشريعة الاصفهاني انتقلت المرجعية العظمى إلى ثلاثةٍ من كبار العلماء والفقهاء الفطاحل في حوزة النجف، وهم السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني، والشيخ الميرزا حسين النائيني، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، إلّا أنَّ مرجعية التقليد كانت تتكرسُ بشكلٍ مُتزايد باتجاه السيد الأصفهاني، لما كان يتحلى به من حُكم عدلٍ وقول فَصلٍ، وعقل وكياسة، وجدارة مُلفتةٍ للأنظار.

وفي سنة ١٣٤٤ هـ وافت المنيةُ والأجل المحتوم العلامة الشيخ أحمد كاشف الغطاء، فانحصرت مرجعيةُ التقليد ورئاسة التدريس بالسيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ الميرزا حسين النائيني، وإن كان الاصفهاني يبزّ قرينه النائيني في مرجعية التقليد، بينما الثاني يبزّ الأولَ في حركة التدريس الحوزوية بالنجف، بيد أن الشيخ النائيني لبّى نداءَ ربه سنة ١٣٥٥ هـ، فانفرد السيد الاصفهاني بالعبء الثقيل لوحده، والمتمثل في تولي المرجعية الدينية المُوحدة والشاملة لملايين المسلمين من المُقلّدين الشيعة في أنحاء العالم كله.

فقد أثبت (رحمه الله) في وقت قصير جدارته وقابليته الهائلة في موقع الرئاسة والزعامة، حتى كوَّن مرجعيةً تقليديةً شاملةً وموحدةً بشكلٍ منقطع النظير، قلما توفّرت لمرجع تقليدٍ شيعي من قبل ولم تتوفر بهذه الصورة المُتكتلة والموحّدة لأخلافه من بعده.

وإن مثل هذه المرجعية الشاملة منحته مكانةً مرموقة ومهابةً واحتراماً كبيراً، ووفرت له امكانيات معنوية ومالية هائلة جداً، مكنته من القيام بدورٍ

مُتميز في تنشيط وتحريك الحوزات العلمية في كل المدن المقدسة بالعراق وإيران، لأن شخصيته الرئاسية لم تكن وقفاً على النجف، بل على سائر المدن المقدسة أيضاً، إنطلاقاً من زعامته الشمولية التي تخطّت حدودَ النجف بل وحدود العراق وإيران إلى أبعد مدىً في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وحتى الدول الأوروبية والافريقية.

لهذه الأسباب لم تفتر الحركة العلمية والتدريسية في حوزة كربلاء بعد وفاة الشيخ الشيرازي وانتقال موقع الرئاسة إلى النجف، بل نشطت بوتائر أعلىٰ بسبب الدعم المعنوي والمادي، الذي كان يصلها من النجف، إضافةً إلى ذلك، كان في حوزة كربلاء العلمية في هذه الفترة علماء كبار وفطاحل يُصنّفون بالطبقة المُمتازة ممّن أغنوا هذه الحوزة بدروسهم، وأبحاثهم، وتقريراتهم، الفقهية والأصولية أمثال: العالم النابه والفقيه المُتتبّع العلامة الشيخ علي الشاهرودي المتوفي سنة ١٣٥٥ هـ، والذي وصفه صاحب أعيان الشيعة بقوله: «كان عالماً جليلاً، فقيهاً زاهداً مُتعبّداً، حسن الأخلاق، خرج إلى طهران عاصمة إيران في طلب العلم، بقي هناك خمسَ سنين ثم هاجر إلى العراق وبقي في النجف الأشرف مُكباً على البحث والتدريس، وكان مُلازماً حوزة الشيخ كاظم الخراساني ومُبرَّزاً في أصحابه، وبعد وفاة المرحوم الخراساني سافر إلى كربلاء للزيارة، ثم استمر مُقيماً فيها وشرَع في التدريس، فاجتمعَ حولَه جمعٌ من أفاضل طلبة العلم، وطالت إقامته في كربلاء خمسَ عشرة سنة إلى أن مَرِض فسافرَ إلى الكاظمية للمُعالجة، فتوفي فيها وكان له من العمر ثلاث وستون سنة، وترجمه الشيخ آغا بزرك الطهراني في «نقباء البشر» بقوله: هو الشيخُ علي بن محمد الشاهرودي النجفي، عالمٌ بارعٌ، وفقيهٌ فاضل، كان حضوره في الأوليات في طهران فقد سَكَنَها خمسَ سنين حتى تهيّأ للهجرة إلى النجف، فهبطَها وحضرَ فيها على الشيخ محمد كاظم الخراساني مدةً، حتى برزَ بين تلامذته مُشاراً إليه بالبنان، وقد سافرَ إلى كربلاء بعد وفاة أستاذنا الخراساني بأمر شيخنا الحُجة الميرزا محمد تقي الشيرازي، مكثَ فيها خمسَ عشرة سنة كان خلالها صاحبَ حوزة معروفة

يحضرها النابغون والأفاضل من الطلبة، مرض فقصد الكاظمين للمُعالجة، فتُوفي في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ عن ثلاثٍ وستين سنة، فتكون ولادته في سنة ١٢٨٨ هـ، وحُمل إلى النجف فدُفن في باب الصحن من طرف السوق الكبير، وله من الآثار: «تعليقة على العروة الوثقى»، ورسالة عملية فارسية طُبعت، وله من الأولاد: الشيخ حسين تُوفي في غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هـ، ودُفن في مقبرة السيد الميرزا مهدي الشيرازي في الصحن الحُسيني الشريف، والشيخ محمد من أئمة الجماعة في الصحن الشريف في كربلاء أيضاً، والشيخ أحمد وهو إمام جماعة في دار السيادة في المشهد الرضوي بخراسان.

أما آية الله العظمى، الفقيه الزاهد، الورع، الحاج السيد آقا حسين القمي فقد تولّى الزعامةَ الدينية العامة للمسلمين الشيعة، لفترةٍ قصيرةٍ بعد وفاة العلامة والمرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥ هـ.

والعلامة السيد أحمد بن باقر الموسوي البهبهاني الحائري، كان عالماً فاضلاً، يروي بالإجازة عن الشيخ هادي الطهراني (النجم آبادي)، توفي بالحائر الشريف سنة ١٣٥١ هـ، وهو والد السيد محمد رضا البهبهاني الحائري، الذي خلّفه في الدرس وإقامة الحماعة بصحن الروضة الحسينية لسنوات طويلة.

من مؤلفاته: ١ ـ حاشية على القوانين إلى آخر العام والخاص سمّاها «تبيين القوانين» ألَّفها سنة ١٢٩٢ هـ ٢ ـ أنيس الطلاب وتذكرة الأحباب في علوم متفرقة ٣ ـ الفريدة النحوية ٤ ـ رسالة في قاعدة اليد ٥ ـ رسالة في الكر ٦ ـ رسالة في قاعدة ما يضمن بصحيحه يضمن بفساده ٧ ـ رسالة في مُنجزات.

وقد تطرق إلى هذه المؤلفات، صاحب «الذريعة» وذكرها في أجزاء مختلفة من كتابه هذا، قائلاً أنه رآها مخطوطة عند نجله السيد محمد رضا البهبهاني عندما كان هذا الأخير مقيماً بطهران.

والعلامة الكبير السيد الميرزا هادي الخراساني الحائري، الذي برز

بوصفه أحد أساطين العلم والفضيلة في حوزة كربلاء، وكواحدٍ من أكبر المؤلفين والمصنّفين الإسلاميين، الذين تركوا ثروةً ضخمة من التُراث الفكري الديني، ذكره العلامة السيد محسن أمين العاملي في كتابه «أعيان الشيعة»، فقال: السيد هادي بن السيد علي بن السيد محمد الخراساني الحائري بن علي محمد بن أبي طالب الحُسيني الميـر كـلاس الهـروي البجستـاني، و (الهروي) منسوب إلى (هرات) مدينة في الأفغان، وقد نُقِلَ عن المتَرجَم أنه قال: أنّ جدَّه السيد محمد، كان قد انتقل من هرات إلى مشهد الرضا عليه السلام بخراسان، وُلد المُترجمُ في كربلاء أول ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ، ثم انتقل مع وَالده إلى مشهد الرضا عليه السلام حيث أتم دراستَه الأولى فيها، وقد ختم القرآنَ ولم يبلغْ العاشرةَ من عمره ثم عاد إلى كربلاء، ومنها ذهبَ إلى النجف حيث تردّد على الحلقات الدراسية العليا مُستفيداً، فـدرسَ على الشيخ كـاظم الخراساني، والسيد كاظم اليزدي، والشيخ محمد تقي الشيرازي، الذي تخرّج عليه، ثم استقلّ بالتدريس في كربلاء، وبعدَ أن أتمّ دراستَه في النجف عادَ إلى كربلاء، وشرعَ مُنذ صباه في تصنيف الكُتب وتأليفها في مختلف الفنون والعلوم، وقد جمعَ بين المنقول والمعقول، والأدب والعلم، والحكمة والكلام، كما كانت له اليدُ الطولىٰ في الرياضيات والطبيعيات، وكان مُتّصِفاً بالزُهد والتقوىٰ والتهجّد، كما أن داره كانت مَحفلاً لأهل العلم وطلاب الحقيقة، وقد أصبح في السنوات الأخيرة من عمره مرجعاً من مراجع التقليد في كربلاء، وكانت الثقة بفتاويه والاعتماد عليها كبيرةً لأنّه كان لا يُحرّرها إلّا بعد تروٍ وتحقيقٍ دقيقين، وقد توفّي في كربلاء في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ، ودُفن في إحدىٰ حُجرات صحن الإمام الحسين عليه السلام، وقد جمعَ المُترجم في داره بكربلاء مكتبةً ثمينة من حيثُ النسخ النادرة من الكتب الخطية خاصةً بعض المصاحف التاريخية، وانتقلت بعدَه إلى ابنه السيد مهدي.

من مؤلفاته: «دعـوة الحق»، و«أصول الشيعـة وفروع الشـريعة»، وحاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري، وحاشية على رسائله وحاشية على

طهارته، و«هداية الفحول في شرح كفاية الأصول»، وحاشيته الوجيزة على الكفاية، وأجوبة المسائل في الفقه، أغلبُها استدلالية، تقريرات بحث أستاذه الخراساني، وتقريرات بحث أستاذه الشيرازي، ورسالة في استصحاب الكُلّي، ورسالة في العلم الإجمالي، ورسالة في اللباس المشكوك، ورسالة في تحديد الكُر بالمساحة والوزن، وكتاب دعوة دار السلام في مُعجزات الأئمة الأطهار، وحاشية على منظومة السبزواري، ونطق الحق في الإمامة، ولسان الصدق، وغيرُه من المؤلفات.

والسيد عبد الحسين الحجة الحائري، أحد المراجع الذي انتهت إليه الرئاسة في كربلاء، إذ كان مرجعاً للقضاء والتدريس والفتيا، ترجمه صاحب «نقباء البشر» بقوله: هو السيد عبد الحسين بن السيد علي بن السيد أبي القاسم المُلقب بالحجة ابن السيد حسن المعروف بالحاج آغا ابن السيد محمد المجاهد ابن السيد علي الطباطبائي الحائري صاحب الرياض، فقيهٌ فاضل، وعالم جليل، ومَرجع معروف. (آل الطباطبائي) من بيوت العلم المعروفة في كربلاء وأسر الزعامة والمجد، والشرف والفضل، توارثوا الفقاهةَ والرياسة أباً عن جد وظهر فيهم علماء مُتبحرون، وفقهاء بارعون، فجدّهُم هو السيد علي صاحب الرياض المتوفى في سنة ١٢٣١ هـ، وقد وَرِث مقامَه ولدُه السيد محمد المجاهد المتوفى في سنة ١٢٤٢ هـ، وقد خلّفه ولدُه السيد حسن، إلى أن تُوفي مخلّفه ولدُه السيد أبو القاسم وهو الذي لُقّب بالحجة، ولازمَ اللقبَ أولادُه وأحفادُه، وقد تُوفّي في سنة ١٣٠٩ هـ فخلفه ولداه، أكبرُهما السيد محمد باقر المتوفى سنة ١٣٣١ هـ، والد السيد محمد صادق المتوفى في سنة ١٣٣٧ هـ، وأصغرهما السيد علي المتوفى في سنة ١٣٠٩ هـ، بعد وفاة أبيه بسبعة أشهر وهو والدُ المُتَرجَم له، وأكملُ علماءُ أجلّاء، وفقهاءُ صُلحاء، خدموا الدين بالتدريس والتأليف وغيرهما... تُوفّي والدُه، وهو صغيرٌ فعنىٰ به عمّه السيد محمد باقر فنشأ عليه وأخذ عنه وعن بعض أفاضل كربلاء مُقدّماتِ العلوم، ثم تشرّفَ إلى النجف مع ابن عمه السيد محمد صادق الحُجة، فحضرا على المولى محمد كاظم الخراساني

وغيره من فحول علماء عصره ومشاهير مُدرّسيه. . . ، عادَ المترجم له إلى كربلاء بعد أن بلغَ درجةً سامية في العلم والفضل مع تُقىً وصلاح، فأقبلت عليه النفوسُ، والتفّ حولَه طلابُ العلم، واشتغل بالتدريس وغيره وكان مُوجَّهاً عند الخاصة والعامة، وقد صاهر حسين قلي خان أميرَ جبل الأكراد على إحدىٰ بناته، وبعد وفاة عمّه السيد محمد باقر في سنة ١٣٣١ هـ، وابن عمه السيد محمد صادق بن محمد باقر في سنة ١٣٣٧ هـ، انتهت إليه الرياسة في كربلاء وشغل منصةَ المرجعية الدينية، والزعامة الروحية بجدارة واستحقاق، وكان نافذ الكلمة مُطاعاً من قبل الحكام والأمراء وغيرهم، وكان جريئاً في مُقابلة الملوك والكُبراء يدعوهم إلى تطبيق تعاليم الإسلام، بصراحةٍ وشجاعة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دون خوفٍ أو مُجاملة. . . بقي رحمه الله زمناً طويلاً وهو مرجعُ الناس وملاذُهم في كربلاء وكانت دارُه محكمةً لحلّ الخصومات ومدرسة لطلاب العلم، وحُسينيةً لإقامة الشعائر ومجالس عزاء سيد الشهداء، ومأوى للضيوف والضُعفاء إلى أن انتقل إلى رحمة الله بعد مرضٍ لازَمه مدةً، في سنة ١٣٦٣ هـ، وخسرت به مدينة كربلاء وأهلُها زعيماً حكيماً وأباً باراً ودفن مع آبائه (رحمهم الله) في مقابرهم وأقيمت له الفواتح ودامَ عزاؤه مدةً طويلة.».

والسيد حسين القزويني الحائري، ولد بكربلاء سنة ١٢٨٨ هـ، ودرس على المولى الشيخ محمد كاظم الخراساني، والآغا ضياء الدين العراقي، والشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، والميرزا محمد حسين النائيني، والسيد أبي الحسن الاصفهاني، وله إجازات في الاجتهاد من أساتذته، ساهم في الثورة العراقية الكبرىٰ إلى جانب زعيمها الميرزا محمد تقي الشيرازي، وكان عضواً فعّالاً فيها، له عدة مؤلفات مطبوعة أو مخطوطة منها: «المدينة الفاضة في الإسلام» ـ مطبوع ـ و «شخصية الإمام علي» ـ مخطوط ـ وكان يمتلك مكتبة قيّمة ورثها نجلُه السيد إبراهيم شمس الدين القزويني، والسيد حسين القزويني هو نجل السيد باقر وحفيد السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، توفّي سنة ١٣٦٧ هـ ودفن في مقبرة آل القزويني في الصحن

الصغير للروضة الحسينية الشريفة.

والشيخ محمد على السنقري الحائري، وهو عالم كبير، وفاضل جليل، ومؤلّف بارع، ولد في كربلاء سنة ١٢٩٣ هـ ونشأ بين أهل العلم والفضل، ودرسَ على والده، والشيخ على اليزدي المعروف بسيبويه، والشيخ موسى الكرمانشاهي، والسيد عبد الله الكشميري، والشيخ غلام حسين المرندي، والشيخ علي المازندراني، والسيد أسد الله الاصفهاني وغيرهم، كما حضر درس المولى محمد كاظم الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني في النجف، حتى برع في الفقه والأصول، وحاز قسطاً وافراً من علم الحديث، والتفسير، والكلام، وغيرها من العلوم، لازم فترةً الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، له مؤلفات قيمة تدل على تبحره وسعة اطلاعه وفضله الكامل منها:

«الإلهام في علم الإمام» طبع سنة ١٣٧٠هـ في النجف، وعليه تقريظٌ من الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد جواد التبريزي، و«خصائص الزهراء» في تأويل آيات القرآن المُؤوَّلة بالصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ورسالة في الردّ على الوهابيين، و«دحض البدعة في إثبات الرجعة»، و«جدول في الرضاع»، و«كتاب الإمامة»، و«الكَلِمْ الطيب»، و«الأماني» في النبوة والإمامة، و«ترشيح الأقلام» وهو شرحٌ على المنظومة في الكلام، و«مرآة العقل»، توفي سنة ١٣٧٨ هـ ودفن في صحن الروضة العباسية الشريفة، وقد أطرىٰ به الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «نقباء البشر»، حيث ترجم حياتَه الحافلة بالعلم والفضل في صفحتين كاملتين.

والسيد محمد حسن القزويني المعروف بـ(آغامير)، كان بحق عالِماً وفقيهاً فحلاً، ومُؤلفاً قديراً، وأستاذاً بارعاً، ساهمَ في تربية جيل من العلماء والفقهاء في حوزة كربلاء العلمية، أشادَ بشخصيته العلمية والدينية الشاعر والمُؤلف الكربلائي المعروف السيد سلمان هادي آل طعمة في كتابه القيّم «تراث كربلاء»، فقال: تحدثتُ إليه أكثرَ من مرة فرأيتُه متضلّعاً بعلم الفقه، ذا اطلاع واسع بأصوله فهو موسوعة نفيسة، ودائرة معارف حاوية لكثير من العلوم العقليةً والنقلية، وأحد المراجع في كربلاء التي يُشار إليها، كان مُتوقد

الذهن، صافي السريرة، كبيرَ النفس، عالي الهمة، صريح الرأي.

وترجمه صاحبُ «نقباء البشر» بقوله: هذا السيد حسن بن السيد أبي المعالي محمد باقر ـ المعروف بالآغامير لكونه سَمّي جدّه ـ ابن الميرزا مهدي بن السيد محمد باقر الموسوي القزويني الحائري، الذي هو والد مُولف «الضوابط»، عالمٌ جليل، وفقيه بارع، ومُصنّف ماهر، وُلدَ يومَ عرفة سنة ١٢٩٦هـ، ونشأ نشأةً حسنة فأخذ العلمَ عن بعض الأفاضل والأجلّاء بكربلاء، ثم تشرف إلى النجف فحضرَ على شيخنا المولى محمد كاظم الخراساني، وكتب من تقريرات بحثه تمامَ مَباحث الأصول، والطهارة، والخمس، والوقف، والخيارات، والطلاق، وقليلاً من القضاء، وبعد وفاة الأستاذ هاجر إلى سامراء فحضر على شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي واستفاد منه كثيراً.

له من التصانيف (شرح اللمعة) مزجاً خرج منه مجلّد الطهارة، وله (هُدَىٰ الملّة) إلى أن فدك من النحلة، استخرج فيه الحقائق الراهنة من زوايا التواريخ، طُبع في سنة ١٣٥٢هـ، وصُودرت نسخُهُ بعد الطبع، وله الإمامة الكبرى وهو كتابٌ في الإمامة أتعبَ نفسَه في تأليفه كثيراً ولم يطبع بعد مع أنه من الكتب المُمتعة، كما ترجمه الشيخ حسين البيضاني في كتابه القيم «عام الثمانين»، انتقل إلى جوار ربه يوم ٢٦ رجب سنة ١٣٨٠هـ، ودفن في مقبرة السيد محمد المجاهد، والجدير بالذكر هنا أن كتابه «الإمامة الكبرى» يقع في ثماني مجلدات طُبع منه مُجلدٌ واحدٌ فقط حتى الآن.

والسيد عبد الحسين آل طعمة، صاحب المُصنّفات التاريخية والإسلامية الكثيرة، وكان عالماً مُتتبعاً وباحثاً في بطون الكتب التاريخية والفلسفية، امتلك مكتبةً قيمةً جمعَ فيها الكُتب المخطوطة والمطبوعة، أُعتبرتْ في عصره من أضخم وأنفس المكتبات في كربلاء، غير أنها احترقت في سنة ١٣٣٣ هـ، في خضم الثورة التي نشبت في هذه السنة بين أهالي كربلاء والسلطة التركية الحاكمة فيها، والتي انتهت باندحار الأتراك، واستيلاء الأهالي على الحكم لحينٍ من الوقت، انتهت إليه مسؤولية سدانة الروضة الحسينية

الشريفة سنة ١٣١٨ هـ بعد وفاة والده، غير أنَّ ميله الشديد إلى التحقيق والتأليف دفعه إلى إناطة هذه المسؤولية، إلى نجله السيد عبد الصالح آل طعمة الكليدار، ترجمه عددٌ من المُؤرخي والنُساب منهم: السيد صالح الشهرستاني في كتابه «شخصيات أدركتُها»، والشيخ حسين البيضاني في كتابه «عام الثمانين»، وخيرُ الدين الزركلي في كتابه «الأعلام»، والشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «نقباء البشر»، والسيد جعفر الأعرجي الكاظمي في كتابه «مناهل الضرب في أنساب العرب»، من مؤلفاته: «تاريخ كربلاء»، و«تاريخ المعاهد العلمية في الإسلام»، و«نشأة الأديان السماوية»، و«الأدباء العلويون في العصر العباسي»، و«ترجمة حياة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، و«تاريخ آل طعمة المُوسويين»، و«بطون قريش»، و«حالة العرب الاجتماعية في الجاهلية»، و«قريش في التاريخ» و«أديان العرب في الجاهلية»، و«تاريخ المدن المقدسة في العراق»، و«حياة بعض الخلفاء العباسيين»، و«نشأة الدولة العقيلية التي أسسها محمد بن المُسيّب وملوكها»، ومؤلفات عديدة أخرى، تُوفّي سنة ١٣٨٠ هـ.

والسيد محمد علي الطباطبائي، عالم فاضل، ومجاهد إسلامي جريء، وهو نجل السيد مهدي بن السيد محمد علي بن الميرزا مهدي بن السيد على الطباطبائي صاحب الرياض، ترجمه صاحب «تراث كربلاء» فقال فيه: وُلد في كربلاء سنة ١٣٠٢ هـ، ونشأ في أسرةِ (آل الطباطبائي) المعروفة بقُدسيتها وعلمها، وأخذَ المُقدّمات من أعلام أسرته كالعلامة السيد الآغا ميرزا جعفر بن الميرزا علي نقي الطباطبائي المُتوفّى عام ١٣٢١ هـ، ثم درس الأوليات من العربية على الشاعر الشيخ جعفر الهر، ثم حضر درسَ العالم الكبير المجاهد الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية والسيد ميرزا هادي الخراساني وغيرهما من الأساتذة الفضلاء، وله منهم إجازات عديدة، اشتغل بالقضايا الوطنية وضربَ فيها بسهمٍ وافرٍ وساهمَ بمُقدمات الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ م، حيث نُفي إلى سامراء سنة ١٩١٨ م من قبل السلطة المحلية آنذاك، وسافر إلى هنجام مع أحرار كربلاء في ٢٥ أيلول عام ١٩٢٠ م، وللمرحوم ذكرياتٌ تاريخية تدلّ على همّته القعساء وقد ضربَ بها

أروعَ المثل في البطولة، والتضحية، والشهامة، والإباء ضدَّ الاحتلال البريطاني الغاشم في ثورة العشرين، وكان إلى جانب فقاهته رقيقَ الروح، وإلى جانب تقواه، نقيِّ السريرة، وكان يتمتع بشخصيةٍ مُحترمة في الأوساط الاجتماعية وكان رجلاً صلباً في الحق والوطنية الصادقة، جريئاً لا يهابُ الكوارثَ والزعازع، تركَ مؤلّفات خطية لم ترَ النورَ بعد، تُوفّي في كربلاء سنة ١٣٨١ هـ ودُفن في مقبرة السيد محمد المجاهد.

والسيد مرتضى بن السيد مهدي الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ، عالم و فقيه فاضل، كان من صفوة أصحاب المرجع الديني الكبير السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي ومن المُساندين والداعمين لرئاستِه الدينية والعلمية في حوزة كربلاء، اشتغل بالتدريس وإمامة الجماعة في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وكان إلى جانب علمه وفضله، يتحلّى بالنُبل، والخُلق الحسن، والتواضع، والجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خلفه نجلُه البار العلاّمة السيد محمد الطباطبائي في الإمامة، وتدريس العلوم الدينية، وهو على نمط والده رجلٌ مهذّب لبقٌ حصيف وفطن.

والشيخ محمد حسين الجندقي الحائري المُلقّب بـ(الأعلمي)، عالم متتبّع، وفاضل جليل، ترجمه صاحبُ «نقباء البشر» بقوله: هاجرَ إلى كربلاء المُشرّفة فاشتغلَ بها على بعض العلماء، حتى حاز قسطاً من العلم والفضل، وهو من أصحابنا الأفاضل الأجلاّء، ولعَ بالبحث والتنقيب والتتبّع، فألّف كتاباً قيماً تجاوزت مجلداتُه المخطوطة الثلاثين، كما رأيتُها عندَه وقد قرأتُ أكثرَ أجزائه فوجدتُه قد سَهَر طويلاً، وتعب كثيراً، فجاءَ كتابُه في غاية الضخامة سمّاه «مُقتبس الأثر»، وهو دائرةُ معارف حوى مادةً غزيرةً، فقد رتّبه على حروف الهجاء وأخذ كل كلمة فشرحها وأحاط بكل تصرفاتها ومعانيها، وأدخل في الضمن تراجم لا يأتى عليها إحصاءً وعدّ. . . الخ، هاجرَ إلى إيران وهبطَ مدينة قم وسعى إلى طبع مجلدات موسوعته الكبيرة «مُقتبس الأثر ومُجدّد ما دَثرَ» إلى أن تُوفّي سنة ١٣٩٧ هـ.

و السيد محمد طاهر البحراني، عالم فاضل بمكانةٍ مرموقة في كربلاء

لعلمه، ونُسكه، وأدبه الجم، ينتهي نسبُه إلى الفقيه الكبير السيد عبد الله البلادي البحراني، من ذُرّية السيد إبراهيم المُجاب حفيد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وُلد بكربلاء سنة ١٣٠٢ هـ، ودرس على أفاضل العلماء بها وكان يُقيم الجماعة في صحن المشهد الحسيني إلى أن وافاه الأجل في سنة ١٣٨٤ هـ.

والسيد محمد صادق بن السيد محمد رضا القزويني، عالم فاضل، وداعية إسلامي جريء، اشتغل بالتدريس في حوزة كربلاء ونهض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بكل صراحةٍ وشهامة واهتمّ بشؤون الدعوة الإسلامية، ولد بكربلاء في سنة ١٣٢٥ هـ، وهو من أسرة القزويني المعروفة بالعلم والفضيلة في هذه المدينة المقدسة.

والشيخ محمد الكلباسي المتوفى سنة ١٤٠٤ هـ، اشتغل بالتدريس في مدرسة بادكوبه العلمية في كربلاء، وكان من أبرز أصحاب المرجع الكبير السيد الميرزا مهدي الشيرازي ومُلازماً له وهو حفيدُ الشيخ إبراهيم الكلباسي صاحب كتاب «الإشارات»، اشتهر بالزهد، والصلاح، والتقوىٰ، والخلق الحسن.

والسيد أحمد الفالي المولود سنة ١٣٣٤ هـ، عالم بحّاثة ومؤلف إسلامي قدير، هاجر من مدينة «فال» بمحافظة فارس الإيرانية قاصداً النجف الأشرف في سنة ١٣٥٣ هـ، درس المقدمات وأنهىٰ السطوح بحوزتها العلمية، وحضر درس الخارج للآية الله العظمي السيد إبراهيم الاصطهباناتي المتوفّى سنة ١٣٧٤ هـ، ثم توجّه إلى كربلاء، حيث تتلمذ على العالم الديني والمرجع الكبير السيد الميرزا هادي الخراساني، كما قرأ على الآيتين العظميين الحاج آقا حسين القمي والسيد الميرزا مهدي الشيرازي، مثلما شارك في مباحث الأصول للعالم الأصولي النابه، المرحوم السيد هادي الميلاني، له مؤلفات ومصنفات قيمة تستند في معظمها إلى دفاعه الجريء والمدعوم بقوة المنطق، والعقل، والبراهين الجليّة، عن أحقيه ومصداقية مبدأ الإمامة الشيعية، ومن هذه المؤلفات، كتبه: «بين الإنسان وسائر الموجودات»، «قاطع البرهان في الردّ على الجبهان»، «تعريب مذكرات (دال

كوركي)»، «تذكرة الشباب»، «خلفاء الرسول الاثني عشر»، «براهين الشيعة الجلية»، «الإسلام والكتلتان»، «من أجل توعية جيل الشباب» ـ فارسي في أربعة مجلدات ـ، «معلومات حول الفقه الإسـلامي» ـ فارسي ـ، «فـدك» ـ فارسي ـ، و «البهائية حزب لا مبدأ»، والكتاب الأخير وثائقي موضوعي طبع مرتين في العراق ولبنان، وفيه يشرح نشأة الفرقة البهائية فيقول: إن البهائية هي نزعة تفتقد لعقيدة روحية محدّدة، بل إنها ضرب من ضروب الأحزاب السياسية، تقف وراءها جهات أجنبية تبنّتها منذ البداية، وقدمت لها الدعم والمساندة لغرض إشاعتها وترسيخها بين المجتمعات الإسلامية، ويقول أيضاً: إن روسيا القيصرية هي التي تبنّت الحركة البهائية (البابية) في بادىء الأمر، ومن ثم شجعتها وفسحت المجال أمام انتشارها خدمة لأغراضها ونواياها التوسعية في العالم الإسلامي ودنيا الشرق، ثم تطورت الحالة بهذه الحركة فأصبحت القوى الغربية الطامعة، وفي مقدمتها بريطانيا الاستعمارية تتبناها وتدعمها وتمهّد الطريق أمام انتشارها، ثم يشرح في كتابه هذا طبيعة القيادات التي تزعمت هذه الحركة منذ البداية وحتى قيادة «شوقي أفندي»، الذي بعد وفاته أصبحت البهائية بدون قيادة مُحدَّدة ومكشوفة ومُعلَنة للناس.

وللسيد الفالي أيضاً قصائد في مديح آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والرثاء لمصابهم الجلل، مثلما له أشعار يُعبّر فيها عن رأيه بشأن القضايا والظروف السياسية السائدة في العالم الإسلامي، وهو الآن نزيل مدينة قم حيث يتفرغ كلياً لشؤون التأليف والتحقيق، له أنجال اختاروا سلوك مسلكه الروحي والمعنوي، وكان نجله الأكبر العلامة السيد علي الفالي المقتول في حادث سير مفجع على طريق المشهد الرضوي سنة ١٤٠٧هـ متفانياً في حب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، متحمساً لكل عمل خير، وبادرة برٍ ومسعىً حميد، ونجله الآخر السيد حسين الفالي، رجل علم وفضيلة، يتفـرغ لمهمة الـوعظ والإرشاد والشؤون الدينية، ومن أنجاله أيضاً السيد محمد باقر الفالي عالم نابه وخطيب مفوّه، ذو تعبير قوي وبيان فصيح جليّ، والسيد كاظم الفالي طالب علم وفضيلة، نقي السريرة رفيع الخلق.

في ضوء ما تقدّم، نجدُ أنَّه في أعقاب وفاة الزعيم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، وانتقال مكانة المرجعية الدينية الكبرىٰ من كربلاء إلى النجف الأشرف، لم تفقد حوزة كربلاء نشاطها العلمي والتدريسي المُكثف، بل يمكن القول أن هذه الحوزة ازدهرت وقويت إلى حدٍ ما، وذلك نظراً لأن العلاّمة الاصفهاني (رحمه الله) كان حريصاً كل الحرص على تقوية و دعم وتنشيط كل الحوزات العلمية في كل مكان، وطبيعي أن حوزة كربلاء كان لها نصيبٌ أوفر وحظٌ أكبر من اهتمامه، فكان أن وَفر لها كلَّ الإمكانيات اللازمة من مساعدات مالية ودعم معنوي.

ويبدو لنا اهتمامه هذا من خلال زياراته المُتكرّرة لكربلاء، ومكوثه فيها لأيام عديدة في كل زيارةٍ من زياراته لهذه المدينة المقدسة، بسبب ارتباطه الروحي بزُملاء الأمس، حينما كانوا يدرسون ويتفقهون على المولىٰ الأخوند محمد كاظم الخراساني في النجف، والذين جاوروا الحائر الشريف (كربلاء) فيما بعد أمثال: الشيخ علي الشاهرودي، والسيد الحاج آقا حسين القمي، والسيد الميرزا هادي الخراساني، والسيد حسن القزويني (آغامير)، كما ذُكر من قبل.

ويمكن القولُ أن هذه الحقبة كانت فترةً خصبةً جداً بالنسبة لحوزة كربلاء العلمية، نظراً لأنها أفرزت فيما بعد علماء أجلّاء، وأساتذة مُبرزين، ومراجع مُتميّزين، ممّن تولّوا الرئاسة الدينية أو مَسكوا بناصية الحركة التدريسية على الساحة العلمية.

رئاسة السيد القمي:

في الحقيقة أنه عندما كانت الحوزة العلمية العريقة في النجف الأشرف مزهُوةً ومتألقةً، ومُزدهرةً بتواجدِ زعيمٍ روحي عظيم الشأن، شامخِ المكانةِ، شُمولي المَرجعية، على رأس حركتها التدريسية والعلمية وشؤون الفتيا بها، هو آية الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ، كانت الحوزة العلمية في مدينة كربلاء المشرفة تفتخر وتتباهىٰ بأنها تضم في جنباتها صنواً له، ومن يُوازيه علماً وفضلاً وورعاً وتقىً، هو

زميلُه على المولى محمد كاظم الخراساني، المغفور له آية الله العظمى الحاج السيد آقا حسين القمي، الذي شهدت الحوزة العلمية في كربلاء على عهده وبالأخص في السنوات الأخيرة من عمره نقلةً نوعيّة، لأن هذه الفترة كانت زاخرةً ومليئة بعلماء أجلّاء، وأساتذة كبار، التفّوا حولَه من المُجاورين أو القادمين إلى كربلاء، وشَكلوا برئاستِه حلقةَ بحثٍ علمي مُتعمّق للغاية، عُرِف في حينه ببحث «الكمباني» وكان يشترك في هذا البحث إلى جانبه: السيد الميرزا مهدي الشيرازي، والسيد محمد هادي الميلاني، والشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي، والشيخ محمد رضا الاصفهاني، والسيد زين العابدين الكاشاني، والمرجع الكبير والآية العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، الذي هبطَ كربلاء آنذاك لفترةٍ قصيرة من الوقت، دارساً ومُدرّساً في حوزتها العلمية.

لقد كان المرحوم القمي عالماً نحريراً أتسم بالعدل، والزهد، والتقوى، وقد زاملَ علماءَ كبارَ أمثالَه منذ أن كان يشارك دروس وأبحاث، المولى الأخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني في النجف، فبرزَ بين الصفوة من تلامذته كالاصفهاني، والشاهرودي، والنائيني، والشيخ الكمباني «الغروي»، والشيخ ضياء العراقي.

ومنذُ أن نقل السيد القمي حوزة درسه إلى كربلاء، وجدت هذه الحوزة بشخصه عاملاً إضافياً للحركة والنشاط، نظراً لأن عدداً من خيرة أصحابه وتلامذته انتقلوا معه إلى كربلاء وأسهموا بدورهم في تحريك النشاط التدريسي بحوزتها، ولم يمر طويل وقت حتى برز كشخصية دينية لها وزنٌ بمستوى وزن الاصفهاني، والدليل على ذلك أنه ما أن لبّى آية الله العظمى الاصفهاني نداءَ ربّه بتاريخ التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٥ هـ، حتى اتجهت الأنظار صوب كربلاء ونحو بيت القمي، إذ لم يكن بمقدور غيره في حينه من شغل الفراغ الكبير الذي خلفه موتُ الاصفهاني (رحمه الله).

وهكذا انتقلت الرئاسة العامة للمسلمين الشيعة إليه، وهو لا يزال في كربلاء، وقد رأى سماحتُه أن من المصلحة أن ينقل حوزته إلى مدينة النجف،

وأن يتولى من هناك مهام الرئاسة الكبرى، غير أنْ فترة رئاسته لم تدم طويلاً إذ بعد مرور ٩٥ يوماً على وفاة الاصفهاني، وافته المنية بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ.

لقد اشتهر القمي (رحمَه الله) إلى جانب علمه، وفضله، وعدله، وتقواه، بتحمّسه الشديد لإصلاح حالة المسلمين، والنهوض بشجاعة في وجه أي مجرىً منحرف، أو مسار يراه فاسداً، وفي هذا المجال، عرف عنه سفره التاريخي إلى إيران، بصحبة عدد من أبرز أصحابه منهم المرحوم السيد الميرزا مهدي الشيرازي حيث قام بتعبئة الرأي العام الإسلامي ضدّ الخطوات والإجراءات الحكومية في ذلك الوقت، والتي رأى فيها ما يُخالف شرعة الدين الإسلامي الحنيف.

وقد سافر إلى إيران وهو عازم ومصمم على الإصلاح والنهوض في سبيل ذلك حتى الموت، وقد طالبَ السلطة الرسمية الحاكمة في حينه بإصلاح ما أفسدته السلطة السابقة، وحينما رأى الفتورَ وعدم الاستجابة الكافية، قرّر الوقوف موقف التحدّي بوجه السلطة الحكومية، وقد ساعده وأيّده في ذلك علماء إيران الأجلاء، وعلى رأسهم المغفور له آية الله العظمى الحاج السيد آغا حسين البروجردي، الذي أعلن هو الآخر بأنه يُريد التحركَ على رأس عشائر «الألوار» القاطنة في محافظة لُرستان والزحف، نحو طهران العاصمة لدعم مطالب السيد القمي المشروعة والإسلامية، وهنا شعرت السلطة الحاكمة بخطورة الموقف والمضاعفات السياسية التي قد تنجم عن صلفها وتعنتها، ولذا أبدت تنازلات أمام مطالب السيد القمي، وقد أصدَر مجلس الوزراء برئاسة علي سهيلي رئيس الحكومة الإيرانية آنذاك بتاريخ ١٩٤٣/٩/٣م بياناً رسمياً أعلن فيه موافقة الحكومة على كل ما طالب به السيد القمي من إجراءات وخطوات إصلاحية ترتبط بحجاب النساء، والموقوفات الإسلامية في إيران، وتدريس مبادىء الشرع الإسلامي في المدارس والمعاهد الحكومية، ومنع أي اختلاط بين الفتيات والفتيان خاصة في المؤسسات التعليمية، وإعادة بناء البقاع الطاهرة في وادي البقيع بالمدينة

المنورة، والعمل على توفير أرزاق الناس، واحتياجاتهم الأساسية.

ولما فرغ القمي من مهمته الإصلاحية الموفقة عاد إلى مقره في كربلاء وبقي على رأس حوزتها العلمية حتى تاريخ وفاة العلامة الاصفهاني ومن ثم هاجرَ إلى النجف الأشرف رئيساً، وزعيماً دينياً مطلقاً للعالم الشيعي، لكن المنية وافته بعد فترة وجيزة وهو يُعالج في أحد مستشفيات بغداد.

وقد أطرىٰ عليه صاحبُ كتاب «نقباء البشر في القرن الرابع عشر» الشيخ آغا بزرك الطهراني فترجمه بأحسن وجه، إذ قال عنه: هو السيد آقا حسين بن السيد محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القمي الحائري من أجلّاء العلماء ومشاهير المراجع، وُلد في قم في سنة ١٢٨٢ هـ، وشبَّ فقرأ العلومَ العربية، ولما بلغَ الحُلم تشرّف إلى العتبات المقدسة بالعراق زائراً، ثم عاد إلى قم فتوقف مدةً، ثم هبط طهران وقرأ بها المقدمات والسطوح، وفي سنة ١٣٠٣ هـ حجَّ بيت الله الحرام، وعاد من طريق العراق فبقي في النجف ثم ذهب بُرهةً إلى سامراء حضَرَ بها بحثَ السيد المُجدّد الشيرازي، وفي حدود سنة ١٣٠٦ هـ عاد إلى طهران فَجدَّ في الاشتغال في العلوم العقلية، والعرفان، والرياضي، على فلاسفة وقتِه كالسيد الميرزا أبي الحسن جلوه، والشيخ علي المدرّس النوري، والميرزا حسن الكرمانشاهي، والميرزا هاشم الرشتي، والميرزا علي أكبر اليزدي، والميرزا محمود القمي، وغيرهم، وقرأ الفقه والأصول أيضاً على الميرزا محمد حسن الآشتياني، والشيخ فضل الله النوري وغيرهما، وفي سنة ١٣١١ هـ، هاجر إلى النجف لتكميل العلوم الشرعية فأدركَ بحثَ الميرزا حبيب الله الرشتي، وحضر على المولى علي النهاوندي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد محمد كاظم اليزدي وغيرهم، لازَمَ أبحاثَ هؤلاء الأعاظم مدةً غيرَ قصيرة حَازَ فيها درجةً سامية، وفي سنة ١٣٢١ هـ تشرّفَ إلى سامراء فحضرَ بحثَ شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي عشرَ سنين، حتى ارتوىٰ من معين فضله، وكنتُ شريكَ بحثِه في أواخر تلك المدة، حيثُ هاجرتُ إلى سامراء في السنة التي تُوفي فيها شيخُنا الخراساني في النجف سنة ١٣٢٩ هـ، كما كانت لي معه مودة في النجف

على عهد الخراساني وفي معهد تدريسه، وكان منذ ذلك الحين معروفاً بالصلاح، والتقى، والنُسك، والزهـد، وكثرة العبـادة، أما هـو في الفقه والأصول فقد كان فاضلاً للغاية، وخبيراً جداً، له سلطة واستحضار وتضلّع وبراعة، وفي سنة ١٣٣١ هـ هبط مشهدَ الرضا عليه السلام في خراسان واشتغل بالتدريس، والإمامة، ونشر الأحكام، فكانت له مكـانة كبيـرة في نفوس الجمهور نظراً لقُدسيته وورعه واجتنابه الموارد التي ليس من شأنِه خوضُها، وحصل على رياسة وزعامة هناك، لكنه مع ما اتفق له من الوجهة والتقدير كان بعيداً عن كل ذلك لا يطلبه ولا يُقيم له وزناً، وكان كيِّساً حليماً، كثير الرزانة والوقار والتروّي في الأمور، رجع إليه الناس في التقليد ونشرت رسائلُه العملية وكثرت الرغبةُ به، ومالت القلوبُ إليه وتقدّم على غيره حتى كان أَوْجَه وأجلَّ عُلماءِ خراسان، واشتهر فكانت الاستفتاءات تَرِدُ عليه من سـائر أطـراف إيران. . .

وقال فيه صاحب «نقباء الشر» أيضاً: وسكن كربلاء وأقبل عليه الناسُ تمامَ الإقبال، وكان له مَدرَسَ آهل وتلامذةٌ أفاضل، قضى على ذلك زمناً، وهو أحدَ المراجع المرموقة والشخصيات العلمية الفذّة، وفي الحقيقة لم يركزه ذلك التركيز ولم يحظ بذلك القبول التام لدىٰ الخاصة والعامة، إلّا لسلامة باطنه، وحُسن طويته، وقُدسية نفسِه، وذلك التقوىٰ والورع اللذين يضرب بهما المثل، وكان مطبوعاً على ذلك من أول أمره كما ذكرتُه، ولما توفّي السيد أبو الحسن في سنة ١٣٦٥ هـ، رُشّح للزعامة العامة وزادت وجاهتُه وعظمُ شأنُه ومالَ الناس إليه في إيران والعراق وغيرهما، إلّا أنْ الأجل لم يُمهله حيثُ مرضَ وحُمل إلى بغداد، فتوفي بها في المستشفى يوم الأربعاء ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ، ونُقل إلى النجف بتشييع مهيب ودفن في الصحن الشريف في مقبرة أستاذنا شيخ الشريعة الاصفهاني، عصر الجمعة ١٥ ربيع الأول وعُطّلت من أجله الدروسُ، وأُغلقت أسواقُ البلدة، وأُقيمت عشراتُ الفواتح.

له تسعُ رسائل عملية فتوائية هي: ١ ـ مجمع المسائل ٢ ـ الذخيرة الباقية في العبادات والمعاملات ٣ ـ مختصر الأحكـام ٤ ـ طريـق النجاة

٥ ـ منتخب الأحكام ٦ ـ مناسك الحج ٧ ـ ذخيرة العباد ٨ ـ هداية الأنام ٩ ـ مناسك الحج، وله أيضاً تعليقات على العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي، ورسائل المولىٰ هاشم الخراساني صاحب «مُنتخب التواريخ»، وهذه الرسائل هي: ١ ـ مجمع المسائل ٢ ـ الرسالة الرضاعية ٣ ـ الرسالة الأرثية ٤ ـ صحة المعاملات ٥ ـ الرسالة الربائية.

ذكره الشيخ عباس القمي في كتابه «الفوائد الرضوية في علماء الأمامية» فقال: السيد الأجلّ الذي هو في الأصول، والماهر في المعقول، والمنقول، حسن الأخلاق طيّب الأعراق، لم أرَ في قُدسية الذات ثانيَه، ولا في حُسن الصفات مُدانيَه، كأنّه ما جُبل إلّا بالرضا والتسليم، وما أتىٰ الله إلّا بقلب سليم... الخ. وقال عنه العلامة السيد محسن أمين العاملي في كتابه «أعيان الشيعة»: وكان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، أصولياً، متكلماً، حكيماً، مُدرّساً، مُقلَّداً، تقياً، نقياً، مقبولاً عند العامة والخاصة، سليم الباطن، حسن الطوية، رأيته في دمشق في سفره إلى الحج... إلخ.

خلّف أنجالاً عدة، أكثرُهم علماً وفضلاً وشهرةً، الفقيه المجتهد السيد الحاج آغا حسن القمي وهو الآن نزيل مدنية مشهد المقدسة، ونجله الآخر هو السيد الحاج آغا مهدي القمي المتوفى سنة ١٤٠٧ هـ وكان من العلماء الأفاضل وأئمة الجماعة المعروفين في كربلاء.

رئاسة السيد البروجردي:

بوفاة العلامة والمرجع الكبير السيد أبو الحسن الاصفهاني، ومن بعده وفاة العلامة السيد القمي، طرأ في تاريخ الحوزات العلمية في العراق حادثٌ فريد في نوعه، وهو أن هذه الحوزات فقدت لأول مرةٍ موقعَ الزعامة الدينية الكبرىٰ، وذلك حينما انتقلت هذه الزعامة إلى مدينة قم المقدسة في إيران، حيث انعقدت مرجعية التقليد الأولىٰ لدىٰ الشيعة، للمغفور له آية الله العظمى السيد الآغا حسين البروجردي، الذي كان بدوره من أجلّ وأنبه تلامذةِ المرحوم المولىٰ الشيخ محمد كاظم الخراساني.

ويقيناً أن هذا التحوّل التاريخي لم يكن ليحصل في حينه، لولا

الشخصية العلمية والدينية المتميزة، والصفات الحميدة، والسجايا الرفيعة التي كان يتحلّى بها السيد البروجردي، فقد كان (رحمه الله) قدوةً في الزهد، والورع، والإباء، والتعفّف، ورائداً في العلم والفضيلة، أي أنه كان يمتلك كلَّ المؤهلات والقابليات الذاتية، بما يجعله جديراً بالرئاسة والزعامة الشيعية، بحيث أن بُعدَه عن الحوزات العلمية العريقة في العراق مثل حوزة النجف وحوزة كربلاء، لم يحُلْ دون أنْ يتبوأ مقامَ الزعامة الروحية الكبرىٰ للمسلمين الشيعة في العالم.

لقد تصرّف سماحته حينما أتته الزعامة والرئاسة، من موقع المسؤولية وبتدبّر، وتبصّر، وحكمة، وكياسة، وعقل نيّر، بما يشبه تصرفَ زميله الراحل العلامة الاصفهاني، حيث إنه نشط في تسيير دفة الحوزات العلمية، والمراكز الدينية وحركة التوعية الإسلامية الشيعية، حتى استطاع أن يملأ الفراغَ الكبير الذي خلّفه موت السيّد الاصفهاني، وموت السيد القمي، كما برز وتجلّىٰ كمرجعٍ ديني أوحد للمسلمين الشيعة، الذين قلّدوه وتابعوه بما يشبه الإجماع، وإن كان هذا الإجماع على مستوى، أقل من الإجماع الذي حظي به السيد أبو الحسن الاصفهاني في مرجعيته التقليدية.

وإن السبب في ذلك يرجع إلى ظهور زعامات دينية محدودة النطاق إلى جانب زعامته العظمى، الأمر الذي لم يكن وارداً أو بالأحرىٰ بادياً للعيان بوضوح في عهد زعامة العلامة الاصفهاني، الذي تفرّد بمرجعية التقليد بشكل منقطع النظير.

ففي النجف كان الزعامة الدينية والعلمية موزعةً بين الآيات العظام السيد محسن الحكيم، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محمود الشاهرودي، والسيد الحمامي، والسيد الجلبايجاني، والسيد الاصطهباناتي، وإن كانت زعامة السيد الحكيم تفوق الآخرين، وأمّا في كربلاء فقد كانت الرئاسة الدينية والعلمية موزعة على السيد الميرزا مهدي الشيرازي، والسيد الميرزا هادي الخراساني، والسيد هادي الميلاني، وإن كانت زعامة السيد الشيرازي تبدو للعيان أكثر من غيره.

وفي ضوء ذلك، فإن الحوزتين العلميتين في النجف وكربلاء لم تخسرا شيئاً من زخم حركتهما العلمية والتدريسية، بعدما فقدتا موقع الزعامة الروحية العظمى، إضافةً إلى أن السيد البروجردي كان شديد الحرص على تطوير وتنشيط الحوزات العلمية في العراق، إذ كان يمدها بالمساعدات والأموال اللازمة، وكل ما يُعينها على النشاط والحركة، ويُؤمّن مرتباتِ طلابِ العلوم الدارسين والعلماء المُدرّسين فيها، الأمرُ الذي لم يبقِ هناك من سببٍ لفتور الحركة العلمية في مثل هذه الحوزات، بل يمكن القول أيضاً أنها ازدهرت أكثر فأكثر، نظراً لاحتوائها على قيادات دينية محلية من جهة، ولما كان يأتيها من دعمٍ ومساندة وعون مادي ومعنوي من جانب حوزة قم المقدسة حيث مقر الزعيم الديني الأكبر السيد البروجردي، من جهة أخرى.

ويجدر بنا ونحن نتكلم عن مدينة قم، أن نقول إن حوزتها ازدهرت، ونشطت، وتبوأت مكانةَ الذروة على عهد السيد البروجردي، الذي جعلَ منها رحمه الله محط أنظار جميع المسلمين في العالم وعمل على تقوية وترسيخ هويتها العلمية والدينية، ومنحها قدراً كبيراً من المرتبة والمكانة اللائقتين بالعلم والدين وروادهما، حتى أصبحت مدينة قم في عهده العاصمة الروحية الأولى للمسلمين الشيعة في العالم.

حوزة كربلاء على عهد السيد الشيرازي:

في هذا الوقت بدأت زعامة آية الله العظمي السيد الميرزا مهدي الشيرازي، في كربلاء تبرز وتظهر للعيان رويداً رويداً، حتى أصبحت زعامةً لا تُنافسُ خاصةً بعد وفاة العالم الكبير والمُحقق الإسلامي الجليل السيد الميرزا هادي الخراساني، في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ.

ففي عهد رئاسة السيد الشيرازي ازدهرت الحوزة العلمية في كربلاء، وخطت خطوات واسعة إلى الأمام، إذ كان سماحتُه حريصاً أيّما حرص على تطوير وتدعيم الحركة العلمية والتدريسية، ومهمة الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق.

وكانت شخصيته العلمية والدينيـة والخُلقية مبعثَ إعجـاب واحترام الجميع، وكان بتقواه، وزهده، وأدبه الجم، وتعامله الإنساني النموذجي مع الناس من كل الفئات والطبقات، يضربُ من نفسِه المثلَ الرفيع والقُدوة الصالحة بالنسبة لطبيعة تعامل رجل الدين والفضيلة مع الناس، ومع الحياة والأحداث، وهنا تكمن أهميةُ أو مِيزةُ رجل الدين عن الرجال العلمانيين والزَمنيين، لأنه ليس بالعلم وحدَه يبرزُ الإنسان الروحاني، بل بأسلوبه وخلقه ومنهجيته في الحياة، وبكيفية تعامله وتصرفه مع الآخرين، إذ عليه أن يكون القدوة والرمز، وأن يضرب بنفسه المثلَ الحميد بالكيفية التي يجب أن يحيا الناسُ بها، ويعيشوا أو يتعايشوا بهديها، انطلاقاً من وحي تعاليم الـدين الحنيف التي هي في مُجملها دستورٌ متكامل للحياة، والتي بها تنتظم حركةُ المجتمعات البشرية تنظيماً دقيقاً وسليماً في إطار من التآلف والتوادد، والوعي المُتبصّر، بما للفرد في الحياة من واجبات وفرائض فردية وجماعية، وما له من حقوق ومزايا ومنافع.

إن رجل الدين تكمن مصداقيته في الربط الموضوعي الدقيق و السليم بين العلم والعمل، فلا يكفي مثلاً أن يتقدّم في تحصيل العلم أشواطاً بعيدةً، في الوقت الذي يتأخر فيه أشواطاً إلى الوراء من الناحية الاجتماعية والخلقية، والتعامل السليم مع الناس، بزعم أنه عالم عارف، وإن تصرفَه مهما كان يجب أن لا يؤخذ في الحسبان لصالح علِمه ومعرفته، ولذلك فإن كثيراً من المراجع العظام الذين تولّوا الرئاسة الدينية في فترات متعاقبة لم تُؤتىٰ لهم هذه الرئاسة بفضل علمهم فقط، بل لما كان لهم من خلق رفيع، وتصرف سليم، وتعامل واعٍ حكيم مع الناس، ومن كياسةٍ وتدبّر صحيح في مواجهة الأحداث، فكانوا بأخلاقياتهم المثالية وتصرفاتهم العادلة وسلوكهم القويم، يجذبون قلوب الناس ويتركون تأثيراتهم الروحية في نفوسهم.

إن الحكايات الطريفة التي تُروىٰ عن أسلوب تصرف آية الله الاصفهاني وآية الله البروجردي وآية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي وغيرهم، لا تُبقي أدنىٰ شك في أن العامل الأهم في بروز وظهور هؤلاء على مسرح المرجعية

والرئاسة الدينية، كان يكمن في تعاملهم الواعي وتصرفاتهم وممارساتهم الإنسانية النبيلة مع الناس والأحداث، إلى جانب ما كانوا يتحلون به من علم، ومعرفة، وفضيلة، وزهد، وتقوى.

وخلاصة القول، أن شخصية المرحوم السيد مهدي الشيرازي كانت محترمة ومحبّبة جداً بين أهالي كربلاء، الأمر الذي جعلهم يندفعون ويتحمّسون لنُصرته، ومُبايعته، ومُساندته بما يشبه الإجماع التام، وبفضل هذا الترابط الوثيق بينه وبين الناس، استطاع منْ عمل أشياء كثيرة لصالح الحوزة العلمية وحركة التوعية الإسلامية ليس في كربلاء وحدَها بل وفي مدن العراق الأخرى وخارجه أيضاً.

فبالإضافة إلى انشغاله العلمي اهتم كثيراً بنشر تعاليم الدين الحنيف وترويج الأحكام، وأمرَ الوعاظ والخطباء وأصحاب المنابر بتوضيح الأحكام الشرعية، وشرح المسائل الدينية، والتلطّف مع الشباب، وجذبهم بالخلق الحسن وطيب المعشر والوجه البشوش إلى ظلال الدين، فكان من نتيجة ذلك أن تربّى جيلٌ من الشباب الواعي والمُتفهّم لأحكام الإسلام، وقد تأثر بروحِه وجُهده الخيّر في ترويج الإسلام ونشر تعاليمه، الكثيرُ من أهالي كربلاء، بينهم الطلاب والأساتذة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعقدون المجالس الروحية ويُشكّلون الهيئات والجمعيات الدينية، فازدهرت من جرّاء ذلك مدينةُ كربلاء بدروس تفسير القرآن وبحوث الأخلاق، وأنشئت العديدُ من الجوامع والزوايا الدينية، وتمّ إعادة بناءِ جوامع كانت في طور التخريب، حيثُ أصبحت ملّىٰ بالمصلين، كما أقيمت فيها الحفلات الدينية ومجالس الوعظ والخطابة، وابتُدعت حفلات ومهرجانات دينية عالمية، بمشاركة وفود تمثل البلدان الإسلامية، عُرفت في وقتها بالحفلات العالمية لإحياء ذكرىٰ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأخذت مدينة كربلاء تتزين بشكل بديع ورائع جداً في الأعياد والمواسم الدينية المُبهجةِ والمُفرِحة، وأيام مواليد أئمة الشيعة (عليهم السلام) وتلبس السوادَ وتبدو بمظاهر الحزن والحداد في شهري محرم وصفر من كلّ عام، مثلما كانت تقام في يوم العاشر من محرم (عاشوراء)

الحفلةُ العزائية الكبرىٰ التي كانت تخصص في مُجملها لتلاوة السفر المعروف بالمقتل (حكاية قتل الحسين عليه السلام بشكل تفصيلي) من أوله إلى آخره، وكان الخطيب المعروف آنذاك المرحوم الحاج الشيخ عبد الزهراء الكعبي يقوم بهذه المهمة، إذ كان يقرأ المقتل بصوته الحزين وبلحنه النغمي الجميل الذي اشتهر به، والذي قلّده فيه جيل من الوعاظ الشبان الذين اشتهرالكثير منهم فيما بعد، وبذلك كانت الحفلة العزائية الكبرىٰ تلك، تتحوّل إلى مأتم حقيقي، وإلى تظاهرة بكاء ونحيب وتأفف عميق لمصاب سيدنا الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء.

وإلى جانب كل ذلك، ابتدعَ المرحوم الشيرازي أساليب جديدة في دراسة العلوم الدينية بهدف تشجيع وترغيب جيل الشباب لجذبهم إلى الحوزة العلمية والضلوع بدراسة هذه العلوم والتفقه بها، وقد أمر الأساتذة في كل علم من العلوم الدينية بوضع امتحان أو اختبار حُرّ لأية مرحلة دراسية يجتازها طالب العلم، ورصد الجوائز التقديرية والتشجيعية للطلبة المُتفوقين في الامتحانات، وهو أمر لم يكن وارداً ومأنوساً في الحوزات العلمية من قبل، وكان من نتيجة ذلك أن نشطت الحركة التدريسية في الحوزة العلمية بكربلاء على نحو غير عادي، وانجذبَ الكثيرُ من الشبان إلى سلك الروحانية أو مزاولة مهمة الوعظ والإرشاد، تمخض عن ذلك جيلٌ ديني وعلمي مُتميّز.

وفي يوم الثامن والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٨٠ هـ، توفّي فجأةً السيد الميرزا مهدي الشيرازي، فخسرت كربلاء بموته أحدَ أبرز أعلامها ومراجعها وفقدَ العالمُ الشيعي في شخصِه فقيهاً مُتبحراً، ومُجتهداً عادلاً، وإنساناً زاهداً، ورعاً مثالياً في خُلقه وسُلوكه، وكان يومُ وفاته يوماً مشهوداً فقد بكاه الجميع وبخاصة العلماء الأعلام وبضمنهم آية الله العظمي السيد آغا حسين البروجردي (رضوان الله عليه) إذ حينما سَمعَ نعيَ السيد الشيرازي أخذ يجهش بالبكاء واستمر باكياً لعدة دقائق من فرط التأثر الشديد الذي شعر به من وفاة الشيرازي (رحمه الله).

ويجدر القول هنا، أن السيد الشيرازي كان مُؤهلاً لتولّي المرجعية

الدينية العظمىٰ للمسلمين الشيعة فيما لو بقي على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المرجع الأكبر السيد البروجردي، وذلك حسب توقعات أصحاب الرأي والخبرة، ويُقال إنَّ الشيرازي نفسَه كان يرىٰ الأمورَ على هذا المنحىٰ، ولذا كان يتمنّىٰ أن يأتيه الأجلُ قبلَ السيد البروجردي لكي لا يحمل العبءَ الثقيل والخطير جداً، إذ أن حمله يُثقِلُ وِزرَ الإنسان، ويزيد من احتمالات تعرضه لأقل زلل كان يخافه ويتوجّس منه دائماً، لأنه كان يخشى الله سبحانه وتعالى، ويرتجف بشدةٍ من سُخطه وغضبه.

أنجب الفقيد أربعةَ أنجالٍ هم: العالم الجليل والفقيه المُتبحر آية الله السيد محمد الحسيني الشيرازي، والمفكر الإسلامي الكبير، وصاحب المصنفات الكثيرة السيد حسن الشيرازي، الذي اغتيل في بيروت سنة ١٤٠٠ هـ، والعلامة المحقق السيد صادق الشيرازي، والعلامة المؤلّف السيد مُجتبىٰ الشيرازي.

تطرق إلى ترجمته عددٌ من المؤلفين ورجال السير والتراجم منهم: السيد صادق محمد رضا الطعمة في كتابه «ذكرىٰ فقيد الإسلام الخالد»، والشيخ حسين البيضاني في كتابه «عام الثمانين»، كما ترجمه العلامة محسن العاملي في كتابه «أعيان الشيعة» فقال: السيد مهدي الحسيني الشيرازي الحائري ابن السيد حبيب الله، وُلد في كربلاء سنة ١٣٠٤ هـ، وتُوفّي فيها في ٢٨ شعبان سنة ١٣٨٠ هـ، تُوفي والدُ المترَجم وهو صغيرٌ فربّي برعاية أمّه وأخيه الأكبر السيد عبد الله، ولقد تلقى دراستَه الأُولىٰ في كربلاء حيثُ درسَ العلومَ الأولية من النحو، والصرف، والحساب، وما إليها، ثم انتقل إلى سامراء واشتغل بالبحث، والدرس، والتدريس، هناك مدةً طويلةً من الزمن، ثم سافرَ إلى الكاظمية وبقي هناك مُشتغلاً بالبحث والدرس ما يقرُب من سنتين، ثم سافرَ إلى كربلاء وبقي مدةً قصيرةً وانتقل بعدَها إلى النجف وبقي هناك ما يقرُب من عشرين سنة، ثم انتقل إلى كربلاء وبقي فيها إلى حين وفاته، تلمّذ على الشيخ محمد تقي الشيرازي، وآغا رضا همداني صاحب «مصباح الفقيه»، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة

الوثقى، والشيخ محمد حسين النائيني، والسيد حسين القمي وغيرهم، وبعد وفاة السيد القمي استقلّ بالبحث والتدريس، له من المؤلفات ١ ـ شرح لم يتمْ على العروة الوثقىٰ ٢ ـ رسالات في مباحث أصولية ٣ ـ رسالة في التجويد ٤ ـ رسالة حول فقه الرضا ٥ ـ كشكول في مختلف العلوم ٦ ـ الدعوات المُعجزيات ٧ ـ هدية المُستعين في أقسام الصلوات المندوبة ٨ ـ رسالة في الجفر ٩ ـ أجوبة المسائل الاستدلالية. أمّا ما برَزَ من آثاره إلى الطبع فهو ١٠ ـ ذخيرة العباد ١١ ـ ذخيرة الصلحاء ١٢ ـ الوجيزة ١٣ ـ تعليقة على العروة الوثقى ١٤ ـ تعليقة على وسيلة السيد أبو الحسن الاصفهاني ١٥ ـ بداية الأحكام.

حوزة كربلاء بعد وفاة السيد الشيرازي:

في أعقاب وفاة العالم الجليل، والمرجع الكبير السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي، وفي نفس السنة التي انتقل بها إلى جوار ربّه (١٣٨٠ هـ)، لقي المرجع الديني الأكبر آية الله العظمى السيد الآغا حسين البروجردي وَجهَ ربّه، وبوفاة هذين المرجعين الكبيرين، خسر العالمُ الإسلامي وَجْهين ربانيّين نيّرين، ودعامتين إسلاميتين عظيمتين، ومرجعين كبيرين، خسرتهما دنيا الشيعة دفعةً واحدةً تقريباً.

وبعد وفاة السيد البروجردي، انتقلت الرئاسة الدينية من جديدٍ إلى النجف، حيثُ كان آيةُ الله العظمىٰ السيد محسن الحكيم المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ أكثر حظاً بها، فأصبحَ المرجعَ الديني الأكثر شُهرةً ومُقلِّداً في العالم الإسلامي، لكن مرجعيتَه التقليدية كانت أقل نطاقاً من آية الله العظمى البروجردي، نظراً لتواجد آياتٍ عظام آخرين، كان لهم مُقلِّدوهم وتابعوهم الكثيرون هنا، وهناك من بلاد الإسلام المُترامية الأطراف.

وفي هذا الوقت، كان العلامةُ الكبير السيد محمد الحسيني الشيرازي نجلِ آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الشيرازي يملأ الفراغَ الذي خلّفه موتُ والده بحوزة كربلاء، إذ واصلَ الأعمالَ والخطوات الدينية والتوعوية التي كان والدُه الراحل قد شرعها لتطوير الحركة العلمية بكربلاء، وتنشيط الدعوة

الإسلامية فيها مُبتكراً لها أساليبَ ومناهجَ حديثة إضافية.

والجدير بالذكر أن الميزة التي يتحلّىٰ بها السيد محمد الشيرازي هي معرفتُه الدقيقة بشؤون الأعلام، وأهميته بالنسبة للدعوة الإسلامية والتبليغ المذهبي، فهو يعرفُ جيداً كيفَ يتعاملُ أعداءُ الإسلام مع وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية، لتشويه سمعة الإسلام، وكيف يجب أن يتعامل المسلمون مع هذه الوسائل خدمةً لدينهم الحنيف وقضاياهم العادلة.

وانطلاقاً من وعيه الإعلامي، سعىٰ لتنشيط حركة التأليف، والطبع مُبتدئاً من نفسِه، حيثُ كان ولا يزال مُكبّاً على التأليف والتصنيف، ومؤلفاتُه المطبوعة وغير المطبوعة تُقدّر بالمئاتِ من أهمّها: موسوعة الفقه الذي طبع منه إلى الآن مائة وعشرة مجلدات، وهي أكبر موسوعة فقهية في تاريخ الشيعة، وكتاب الأصول، وكتاب الوصول إلى كفاية الأصول في شرح الكفاية، وكتاب الإيصال الطالب في شرح المكاسب ومئات الكتب في شتىٰ العلوم.

وللسيد محمد الشيرازي رؤيته التفصيلية تجاه الحكم الإسلامي المُوحّد ومراحل إقامته المُتدرجة في كل بلدٍ يتكاثر فيه المسلمون وصولاً إلى الحكومة الإسلامية العالمية الموحدة التي يُسمّيها بحكومةِ الألف مليون مسلم، وقد شرح أطروحتَه هذه باسهاب في كتابه المطبوع المسمّىٰ «السبيل إلى إنهاض المسلمين».

وفي اعتقادي أنّها أطروحة مثالية للغاية تعوزها عناصر تطبيق، خاصةً في الظروف والأحوال السائدة في عالمنا الراهن، حيث العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية معقدة ومتشابكة ومتداخلة، وأن قوىً عالمية متعددة الاتجاهات والنزعات تفرض ميولها وتوجهاتها على كثيرٍ من دول العالم، بضمنها الدول الإسلامية، إلى جانب أن أرض الإسلام والمسلمين غير مُوحّدة وغير متصلة في بعضها البعض، وأن النزعات القومية والوطنية تتحكم بالشعوب الإسلامية، وأن التغلب على كل هذه العقبات يحتاج لأعمال خارقة

بما يشبه المعجزات ولمرور زمنٍ طويل.

بيد أن الأطروحة بمجملها، يمكن أن تكون مثار بحث ومناقشة ومقارنة بتجارب الحكم الإسلامي الماضية والحاضرة، الفاشلة منها أو الناجحة.

الحالة الراهنة في حوزتي النجف وكربلاء:

بعد وفاة آية الله العظمىٰ السيد عبد الهادي الشيرازي، في سنة ١٣٨٢ هـ ووفاة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم في سنة ١٣٩٠ هـ، ووفاة آية الله العظمى السيد محمود الشاهرودي في سنة ١٣٩٥ هـ، ومن قبلهم وفاة آية الله العظمى السيد جمال الكلبايكاني في سنة ١٣٧٧ هـ، تفرغت حوزة النجف الأشرف من المراجع والآيات العظام القدامىٰ والمعروفين جداً، ولم يبقَ منهم فيها على قيد الحياة سوىٰ آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، الذي توفّر له فيما بعد النصيب الأكبر من المرجعية التقليدية الكبرىٰ للشيعة ورئاسة الحركة العلمية بالنجف، وهو لا يزال حتى كتابة هذه السطور محتفظاً بمقامه الرفيع وحافظاً للحوزة العلمية العريقة في النجف، حيث إن تواجده على رأس هذه الحوزة، هو من أهم العوامل في تماسكها وديمومتها وبقاءها متصلة بتاريخها العريق الذي يقرب الآن من الألفية الأولىٰ.

أما في كربلاء، فقد وقعت حوادث غيّرت كثيراً من طبيعة حوزتها العلمية، إذ قامت السلطات العراقية في عام ١٩٧٢ للميلاد، بأبعاد مجموعة كبيرة من المواطنين الإيرانيين أو من هم من أصل إيراني عن أرض العراق وحتى العراقيين الذين لم يوالوا النظام العراقي، وكان ذلك بسبب التوترات التي طرأت في العلاقات الإيرانية العراقية أيام حكم الشاه، وكان من بين هؤلاء العديد من العلماء ورجال الدين والأسر العلمية المعروفة في كربلاء، كما أن آية الله العظمىٰ السيد محمد الحسيني الشيرازي بوصفه أهم دعامة في الحركة العلمية والحوزوية في كربلاء كان قد غادرها هو الآخر قسراً في سنة

١٣٩١ مستوطناً الكويت، حيث أنشأ حوزة علمية نشطة هناك، وبقي لسنوات عديدة يمسك بناصية المرجعية الدينية فيها حتى تاريخ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وعندئذٍ هاجرها قادماً إلى إيران في سنة ١٤٠٠ هـ، وأقام بمدينة قم المقدسة حتى يومنا هذا.

ثم حصلت في أعقاب تغيير نظام الحكم الملكي في إيران توترات جديدة معروفة في العلاقات الإيرانية العراقية، تبعتها عمليات تهجير أخرىٰ شملت المواطنين الإيرانيين ومن هم من أصل إيراني في كربلاء والنجف بوجه خاص، الأمر الذي أفرغ الحوزتين العلميتين فيهما من دعاماتها وركائزها أكثر فأكثر.

غير أن الشيء المؤكد في الوقت الحاضر، هو أن حوزة النجف هي كعهدها السابق ناشطة وقائمة بثبات على قدميها، وذلك بفضل تواجد مرجع تقليد كبير، وأستاذ قدير ومبرّز في الفقه والأصول على رأسها، هو آية الله العظمى السيد الخوئي، الذي يعتبر البقية الباقية من جيل الصفوة من الآيات والمراجع العظام، الذين تألقت وازدهرت بهم الحوزتان العلميتان في النجف وكربلاء، والذي له مقلّدوه وتابعوه الكثيرون جداً في مختلف البلدان الإسلامية، والذي يترك الآن بصماته على سائر الحوزات العلمية من خلال تلامذته الكثيرين والمنتشرين هنا وهناك من بلاد الإسلام الواسعة.

وإلى جانب الإمام الخوئي تبرز أسماء متألقة في سماء العلم والفضيلة في حوزة النجف الأشرف، وبذلك تبقى النجف محط أنظار المسلمين الشيعة في العالم تماماً مثلما كانت في الماضي، ولقد حصلت هجرة ممثالة في صفوف العلماء والأساتذة بحوزة النجف خلال الفترة ذاتها لأسباب سياسية معروفة للجميع، لكن وجود رمز على رأسها يتمثل بالدرجة الأولى في زعامة السيد الخوئي، قد حافظ على تماسكها وديمومة نشاطها العلمي والتدريسي، بيد أن مثل هذا الشيء لم يحصل بالنسبة لمدينة كربلاء، بسبب أن دعامات حوزتها وحركتها العلمية اضطرت، لأن تُغادرها أو أن تغيب عن ساحتها، فكان

طبيعياً أن يحدث تخلخل فيها.

وقد يكون من أسباب ذلك، هو أن الزعماء الروحيين في كربلاء سعوا بشكل أو بآخر إلى ممارسة دور سياسي إلى جانب دورهم الديني، أو بتعبير أصح، كانت لهم مواقف سياسية مُعلنة إزاءَ الأحداث والتطورات على الساحة السياسية في العراق، خاصةً تلك التي لها ارتباط بالشعائر المذهبية ذات الطابع العاطفي.

ولذلك كانت تقع بين فترة وأخرىٰ تصادمات وتوترات بين كربلاء وحوزتها العلمية من جهة، وبين السلطات الزمنية في العراق من جهة أخرىٰ، إضافةً إلى ما ذكرناه سابقاً من أن مدينة كربلاء كانت على مرّ التاريخ معرضة لغارات وهجمات تركت تأثيرات سلبية على مسيرة الحركة العلمية والتدريسية فيها، بينما النجف لم تتعرض لمثل هذه الغارات والهجمات إلّا في حالات قليلة، بفضل ما كان لها من دفاعات وسياجات قوية في الماضي، والتي مكنتها على سبيل المثال من الصمود والمقاومة لأكثر من شهر أمام طوق الحصار الذي كانت قوات الاحتلال البريطانية قد فرضته حولها، في محاولة للقبض على عدد من المجاهدين العراقيين المتحدّين لسلطة الاحتلال والفارين من قبضتها، والذين كانوا قد التجأوا لهذه المدينة المقدسة طالبين من أهلها الأمان.

ولعلّ من جملة الأسباب الأخرىٰ في ديمومة الحوزة العلمية في النجف وبقاءها راسخة وثابتة على قدميها حتى اليوم، طاقاتها الهائلة التي تراكمت وتدعمت عبر ألف سنة متواصلة من تاريخها العريق، فقد بقيت كل هذه الفترة الطويلة الحوزة العلمية الأم تقريباً.

وطبيعي أنه من غير الممكن لأية سلطة زمنية في العراق تجاهل هذه الحقيقة المتمثلة في المركزية الدينية الأولىٰ للنجف الأشرف، ومدى تعلقها الروحي والعاطفي بالشيعة وعلماءهم أينما كانوا، فيما الحوزة العلمية في كربلاء كانت امتداداً أو رديفاً داعماً لحوزة النجف، باستثناء فترات كان السبق

العلمي والتجديدي فيها من نصيب كربلاء وحدها، غير أن تابعيتها لحوزة النجف أصبحت مكرسة بشكل ملحوظ ومشهود، منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، أي ابتداءاً من عهد رئاسة المرجع الديني الأكبر السيد أبي الحسن الموسوي الاصفهاني، المتوفىٰ سنة ١٣٦٥ هـ وانتهاءاً برئاسة السيد الخوئي الحالية.

ويبقىٰ القول أخيراً: إن في كربلاء أيضاً طاقة علمية هائلة تراكمت عن نتاج أجيال متعاقبة من العلماء، والفقهاء، والأساتذة المُحققين، الذين طفحت صفحات كتب التاريخ والسير بمآثرهم ومعطياتهم العلمية، وأن مثل هذا التراث الزاخر يُمكنه أن يشكل أرضية مناسبة لأية حركة علمية متجـدّدة مستقبلية، خاصة إذا ما أخذنا في اعتبارنا تلك العوامل الروحية الجاذبة التي تمتلكها مدينة كربلاء المقدسة أكثر من أية مدينة مقدسة أخرىٰ، وأن هذه العوامل لابدّ و أن تترك تأثيراتها الإيجابية فيما لو حصل انفراج في الموقف السياسي، وما يرتبط منه بالعلاقات الإيرانية العراقية.

الفصل الثالث

الأسر العلمية في كربلاء

من الثابت تاريخياً أن أغلب الذين سكنوا مدينة كربلاء منذ مراحل نشأتها الأولى وحتى يومنا هذا، كانت لهم دوافع روحية أو علمية أو كليهما، فجذبتهم وشدتهم لهذه المدينة المقدسة، وربطتهم بكيانها الثقافي والحضاري والمعنوي ليصبحوا بالتالي جزءاً من تراثها الإنساني الخالد.

كما يمكن القول بأن جُلّ الناس الذين قصدوا قبر الحسين الشريف لمجاورته على مرّ التاريخ، إنما كانوا يهدفون لنقلة دينية أو علمية أو الاثنتين معاً وكان لا بدّ والحالة هذه أن تظهر على الساحة العلمية الدينية بها، منذ تحولها الحضاري الأول وامتداداً في تعاقب القرون والأعصار، أسر علمية بقي أفرادها بهذه المدينة جيلاً بعد جيل، ينقلون معهم التراث الفكري والعطاء العلمي والأدبي للآباء والأجداد، ويحافظون على طابع أسرهم العلمي ومسلكها الروحي عقباً بعد عقب.

ويذكر المؤرخون أن السادة الموسويين من ذرية الإمام موسى الكاظم عليه السلام كانوا أول من انتقل إلى كربلاء لغاية دينية ونقلة علمية، وأن الأسر العلمية العريقة التي لا تزال أعقابها موجودين في كربلاء حتى العصر الحاضر إنما تشكلت في البداية من هؤلاء السادة، ثم تفرعت وتشعبت إلى أسر شتىٰ.

ويتفق المؤرخون أيضاً على القول بأن السيد إبراهيم المجاب ابن السيد

محمد العابد ابن الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام كان أول فاطمي انتقل إلى الحائر الحسيني الشريف واختار الاستيطان فيه، بعد مقتل الخليفة العباسي «المتوكل» وفي أيام ابنه المنتصر سنة ٢٤٧ هـ، وقد لقب ابنه الأكبر بمحمد الحائري، وذلك نسبة إلى الحائر الحسيني ومجاورته لأرض كربلاء، وأن العقب من ولد محمد الحائري في الحائر الحسيني كثيرون، منهم آل فايز المعروفين اليوم بآل طعمة، ولا خلاف في أن آل فايز هم من سكنة الحائر الحسيني حتى يومنا هذا، ولهم قصب السبق في سكناهم كربلاء.

ويقول أرباب التاريخ أنه عندما جاء العالم الفاضل محمد بن الحسيني بن علي الشيباني المعروف بالأشتاني، إلى كربلاء بعد مقتل المتوكل مباشرة ورفع تلك العلامات التي كان وضعها لتشخيص موضع القبر الشريف لكثرة ما مخر وحرث من حوله في عهد المتوكل، كان قد خرج معه جماعة من آل أبي طالب، وبضمنهم كان السيد إبراهيم الضرير الكوفي ابن محمد بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وصاهر بني أسد من سكان الغاضرية.

وجاء في كتاب «نزهة الحرمين في عمارة المشهدين» للعلامة السيد حسن الصدر: إن أول من سكن الحائر في كربلاء، هو إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وهو المدفون في الرواق الغربي من الحائر الحسيني المقدس، وقبره ظاهر معروف يزار.

وقال محمد بن حمزة بن زهرة نقيب حلب في كتابه «غاية الاختصار في البيوتات العلوية السالمة من الغبار»: السبب في تسمية إبراهيم بن محمد العابد بالمجاب هو أن إبراهيم دخل على قبر جده الحسين وقال السلام عليك يـا جداه، فسمع له الجواب من القبر فلقب بالمجاب... إلخ.

وذكر السيد محمد مهدي بحر العلوم في كتابه «الرجال»: أما سبب تلقيبه إبراهيم المجاب، فهو يقال إنه سلّم على الحسين عليه السلام فأجيب من القبر والله أعلم بصحة ذلك... إلخ.

وعلى أي حال، فإن الهجرة المتتابعة للأسر العلوية والفاطمية نحو كربلاء

ومُجاورتها لأرض الحائر الشريف أوجدتا لهذه المدينة المقدسة عوامل جذب روحية إضافية، إلى جانب عوامل النماء، والازدهار، وتعمير، وتوسعة المشاهد المشرفة بها، خاصة الروضتين الحسينية والعباسية المباركتين، لأنَّ مِن بين السادة العلويين، الذين استوطنوا أرض الحائر مَن نهض للعلم والفضيلة وممن نهض لتولي سادنيـة الروضات المشرفة، ونقابة الأشراف، ورئاسة الأعيان، ومن نهض للتعمير والإنشاء وتوفير الخدمات الاجتماعية والخيرية، وبذلك مهّدوا السبيل لهجرات متتابعة أخرىٰ انطوت على غاية علمية أو نقلة دينية، وهكذا برز في ساحة الدين والفضيلة بكربلاء علماء وفضلاء أجلّاء، منهـم تشكلت أسر علمية بقي بعضهـا محتفظاً بطابعه العلمي الأصيل فيما البعض الآخر فقد هذا الطابع بأجياله المتأخرة، بينما رحل عنها البعض إلىٰ مدنٍ مقدسة أخرى على الأغلب، وليحتفظ بطابعه العلمي ومسلكه الروحي في ذات الوقت، وفيما يلي نسرد أهم وأشهر الأسر العلمية الدينية في كربلاء ماضياً وحاضراً.

أسرة آل طعمة:

من أقدم الأسر العلوية التي نزحت إلى كربلاء وقطنتها ابتداءاً من منتصف القرن الثالث الهجري، يرجع نسبتها إلى السيد إبراهيم المجاب ابن السيد محمد العابد ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وقد أنجبت هذه الأسرة العلوية علماءَ، وخُطباء، وأدباء، ونُقباء، وكُتّاب قديرين، من مشاهيرهم: السيد طعمة علم الدين الحائري الموسوي، ومن أبرز المُتأخرين في ذُرّيتها: السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية الشريفة، والمُتوفّى سنة ١٣٨٠ هـ، والذي ترك العشرات من المؤلفات والمُصنفات التي تُعالج مواضيعَ تاريخية وثقافية إسلاميّة كثيرة جداً، ومن بين ما أنجبته من كتّاب ومُؤرخين: الدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة صاحب كتاب «تاريخ كربلاء»، ومحمد حسن الكليدار آل طعمة صاحب كتاب «مدينة الحسين»، وسلمان هادي طعمة صاحب كتاب «تُراث كربلاء».

وبشأن أسرة آل طعمة، قال العالم النسّابة الشيخ آغا بزرك الطهراني في

كتابه «نقباء البشر»: آل طعمة من أُسر المَجد المعروفة في كربلاء، ومن بُيوت العلويين الأشراف القديمة، فقد عُرفوا في كربلاء منذ قُرونٍ طويلة، وهم من آل فائز وفيهم سدانة الروضة الحسينية والروضة العباسية من قديم... إلخ. وقال بشأنها شعراً، العلامةُ الشيخ محمد السماوي في أرجُوزتِهِ «مجالي اللطف بأرض الطف»:

وآل طعمــة ذوي الأنسـابِ في الفضلِ والعُلوم والآدابِ

أسرة النقيب:

وهي أيضاً من الأسر العلوية العريقة التي قطنت كربلاء منذ مطلع القرن الخامس الهجري، وكانت تُعرف في الماضي بـ (آل درّاج) المُتفرّعة عن قبيلة (آل زحيك)، المُنتسبة إلى السيد إبراهيم المرتضىٰ (الأصغر) نجل الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام:

برزَ فيها أعلامٌ كبار تولّوا المناصبَ الهامة في كربلاء مثل نقابة الأشراف وسادنية الروضة الحسينية المُشرّفة، مثلما اشتهرَ فيها علماءُ أفاضل كالسيد مصطفى بن حسين آل درّاج، وكان عالماً تقيّاً، ورعاً وصالحاً، ألّف كتاباً باسم «أصول الدين»، فرغَ من تأليفه في سنة ١١٧٥ هـ، والسيد فاضل بن السيد عباس النقيب المتوفى سنة ١٣٦١ هـ، وكان مُشتغلاً بدوره في طلبِ العلم والتحلّي بالورع والتُقىٰ، كَتَبَ بخطِ يده كتابَ «اللمعة الدمشقية» في الفقه للشهيد الأولُ، وَالخطيب الفاضل السيد كاظم بن السيد فاضل، الذي له مؤلفات ومُصنّفات تاريخية واجتماعية منها: «نحن واليهود»، و«مجتمعُنا وعوامُل الهدمُ والبناء»، و«الدعوةُ والعقبات»، كما يمتلك خزانةَ كُتبٍ قيمة جداً.

أسرة الفتوني:

أسرة علمية عريقة، نزحت من جبل عامل في لبنان وأقامت بكربلاء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وهي تنتسب في الأصل إلى العالم الكبير

الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، والذي كان بدوره قد هاجر لبنان واستوطن مدينة اصفهان عاصمة إيران في حينه، وذلك على عهد الشاه عباس أحد أبرز وأشهر سلاطين الأسرة الصفوية في إيران، فأغنىٰ بعلمه وسعة معلوماته في شتىٰ العلوم العقلية والنقلية، وفي الحساب، والهندسة، والرياضيات، والهيئة، والأفلاك، الحوزةَ العلمية العريقة فيها (أي في مدينة اصفهان).

برز واشتهر في أسرة الفتوني بكربلاء: العلامة الشيخ محمد تقي بن بهاء الدين الفتوني الحائري، المتوفى سنة ١١٨٣ هـ، ويُظن أنه شقيقُ للشيخ مهدي بن بهاء الدين الفتوني سبط العلامة الكبير السيد محمد مهدي بحرالعلوم الطباطبائي المتوفى سنة ١٢١٢.

والشيخ علي بن محمد بن علي بن محمد تقي بن بهاء الدين الفتوني، والشيخ حسين بن علي بن محمد بن علي بن محمد تقي بن بهاء الدين الفتوني المتوفى بعد سنة ١٢٧٨ هـ، وبشأن هذا الأخير قال صاحب «الكرام البررة»: عالم أديب، ولد بكربلاء ونشأ فيها، وله من الآثار «الدوحة المهدية» في تواريخ المعصومين (عليهم السلام) وهي أرجوزة تتألف من ١٢٧٨ بيتاً، وُجدتْ في مكتبة الشيخ محمد السماوي في النجف.

ولا يزال أفراد من هذه الأسرة يسكنون مدينة كربلاء حتى الآن.

أسرة البحراني:

استوطنت هذه الأسرة كربلاءَ مُنذُ مطلع القرن الثاني عشر الهجري، تنتسب إلى العالم الجليل والفقيه الكبير السيد عبد الله البلادي البحراني، الذي ينتهي نسبُه إلى السيد إبراهيم المُجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

ومن مشاهير أعلام هذه الأسرة في كربلاء: السيد عبد الله بن السيد محمد البحراني المتوفى في الحائرالحُسيني سنة ١٢١٠ هـ، وهو أستاذُ الشيخ

خلف بن عسكر الزَوبعي الحائري المُتوفّى بالطاعون الجارف سنة ١٢٤٦ هـ، والسيد مُحسن بن السيد عبد الله بن السيد محمد البحراني المُتوفّى سنة ١٣٠٦ هـ، وهو صهرُ العلامة الشيخ خلف بن عسكر الحائري، والسيد محمد بن السيد محسن بن السيد عبد الله بن السيد محمد البحراني المتُوفّى سنة ١٣٥٥ هـ، وأعقبَ هذا الأخير نجلُه العالمُ الفاضل السيد محمد طاهر البحراني المُتوفّى سنة ١٣٨٤ هـ، وقد اتسم بالورع والتقوىٰ، وحظي بمكانةٍ سامية في قلوب الكربلائيين، وقد أدركتُه حينما كان يُقيم الجماعةَ في صحن الروضة الحسينية الشريفة، خلّفَ أنجالاً سلكوا دروب الدين والفضل، اذكرهم على التوالي: السيد محمد علي، والسيد عماد الدين، والسيد علاء، والسيد محمد، والأولان منهم كانا يُقيمان الجماعة في الصحن الحسيني الشريف، حتى لوقتٍ قريب.

أسرة آل عصفور:

من مشاهير الأسر العلمية المُتوغّلة في بطون العلم وبُحور المعرفة بكربلاء، نزحت عن بلاد البحرين وقطنت كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري، ونبغَ في أفرادها الفقيهُ النَحرير، والمُحقّق الفحل، والزاهدُ الورع، الشيخ يوسف بن أحمد البحراني صاحب كتاب «الحدائق الناضِرة في أحكام العترة الطاهرة» المُتوفّى سنة ١١٨٦ هـ، والمدفون في داخل الروضةِ الحسينية المُشرّفة.

ومن أعلام هذه الأسرة أيضاً: الشيخ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن صالح بن عطيّة بن عصفور الدرازي البحراني، الذي كتب بخط يده رسالةَ أستاذه الشيخ خلف بن عبد علي الدرازي، في «ولاية الوصي على تزويج الصغير والصغيرة والمجنون وعدمها»، وفرغ من كتابتها سنة ١١٧٧ هـ، وكانت هذه النسخة موجودةً عند العالم الجليل، والمرجع الكبير، السيد شهاب الدين المرعشي ـ نزيل مدينة قم ـ بحسب ما ذكره الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «الكواكب المُنتثِرة في القرن الثاني بعد العشرة»، ومن آل

عصفور: الشيخ حسين بن محمد بن أحمد البحراني، ابن أخ الشيخ يوسف صاحب الحدائق المتوفى سنة ١٢١٦ هـ، ذكرَه الشيخ علي البلادي البحراني في كتابه «أنوار البَدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين» فقال: كان يُضربُ به المثل قُوةِ الحافظة مُلازماً للتدريس والتصنيف والمطالعة والتأليف، مُواظباً على تعزية الحسين عليه السلام في بيتهِ في كلّ وقتٍ مُنيف... إلخ، وقال عنه صاحبُ «ريحانةُ الأدب»: آل عصفور منهم الشيخ حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ابن أخ صاحب الحدائق، من أجلّاء علماء الإمامية، تُوفي ليلة الأحد ٢١ شوال سنة ١٢١٦ هـ، ومن مؤلفاته: كتاب «باهرة العقول في نسب آل الرسول».

أسرة الشهرستاني:

إحدى الأسر العلمية العريقة التي حظيت بشهرةٍ واسعة تخطّت مدينة كربلاء وحدود العراق، إذ برزَ فيها علماءُ ورؤساء وسياسيون احتلوا مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي، والديني، والعلمي، ورأس هذه الأسرة هو السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني، الذي كان من مشاهير العلماء والفقهاء ومراجع التقليد في زمانه، وكان أحدَ المهادي الأربعة (مهدي الشهرستاني ـ مهدي بحر العلوم ـ مهدي النراقي ـ مهدي الطوسي) الذين كانوا من أجلّ وأشهر وأنبه تلامذة العالم الأصولي المؤسس الوحيد البهبهاني في كربلاء، هاجرَ مع أسرته إلى كربلاء في أواسط القرن الثاني عشر الهجري، واستوطنها وامتلك فيها عقاراتٍ ودوراً تقع أكثرُها في حيّ «باب السدرة»، وتوفي بالحائر الشريف في شهر صفر سنة ١٢١٦ هـ.

ومن أعلام هذه الأسرة السيد الميرزا أبو القاسم بن الميرزا محمد مهدي الشهرستاني، الذي لم تدم حياتُه بعد وفاة أبيه ففارق الحياة بعد فترة وجيزة، والسيد الميرزا محمد حسين بن السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني المعروف بآغا بزرك والمتوفى سنة ١٢٤٧ هـ، كان مثل والده من فطاحل العلماء ومرجعاً للفتيا وكان جيِّد الخط للغاية، بقيت منه مُعلّقات بخطه تحتوي على أدعية وآياتٍ قرآنية، صاهر العلامة الآغا محمد علي

الكرمانشاهي نجل الوحيد البهبهاني على ابنته، وقد وقّع وثيقةَ العقد الوحيد البهبهاني والميرزا محمد مهدي الشهرستاني بشخصيهما. ومن أعلام هذه الأسرة أيضاً: السيد الميرزا محمد جعفر بن الميرزا محمد حسين الموسوي الشهرستاني المتوفى سنة ١٢٦٠ هـ، كان من أعلام الفقه في كربلاء بزمانه، له عدة رسائل في جواز البقاء على تقليد الميت، وفي الغيبة، وفي العصير، وفي نجاسة المرق الواقعة عليه قطرة من الدم حين غليانه، ورسالة أخرى في دفع شُبهةٍ برزت بشأن موقوفة الميرزا فضل الله الشهرستاني في مدينة اصفهان، وله كتاب في أنساب الوحيد البهبهاني وذريته واتصالهم بالسلسلة المجلسية في اصفهان (المقصود ذرية العلامة المجلسي صاحب بحار الأنوار).

وينتمي لأسرة الشهرستاني في كربلاء السيد الميرزا صالح الشهرستاني، كان عالماً مُبرزاً حظي باحترام وتقدير المرجع الديني الأكبر في عصره المُجدّد الشيرازي السيد الحاج الميرزا محمد حسن المتوفى سنة ١٣١٢ هـ، وحينما توفي السيد الشهرستاني في كربلاء سنة ١٣٠٩ هـ، أقام المحدد الشيرازي مجلس الفاتحة على روحه في مدينة سامراء لمدة أربعة متتالية، رثاه عددٌ من الشعراء بضمنهم الشيخ حمادي بن نوح الحلي، الذي نظم قصيدة ختمها بهاتين البيتين:

فُجعت به الأحكام وانصدعت له   شمّ الآكام وزلزلت أرجاء
جللٌ أصاب الغاضرية وقعه   متفاقماً فاذاب سامراء

ومن هذه الأسرة أيضاً: السيد خليل بن السيد إبراهيم الشهرستاني، والباحث الاجتماعي السيد صالح الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٩٥ هـ.

والشهرستانيون سادة موسويون، ينتهي نسبهُم إلى السيد إبراهيم المرتضىٰ ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

أسرة الطباطبائي:

أسرة علمية علوية متألقة بنور العلم والمعرفة، خدم أفرادُها من جيلٍ

لآخر مسيرةَ العلم بحوزة كربلاء، وأسهموا بدورٍ كبير وفاعلٍ في تطوير آفاق الثقافة الشيعية وإغناء التراث الإسلامي.

وإن أول من برز في هذه الأسرة وحظي بالشهرة في كربلاء، هو السيد محمد علي بن السيد محمد بن السيد عبد الكريم بن السيد مراد، والذي سافر من بلده في إيران إلى كربلاء واستوطنها في القرن الثاني عشر الهجري طلباً للعلم والمعرفة.

وقد لمعت في آل الطباطبائي من بعده أسماءُ عددٍ من كبار العلماء والمُحدّثين ومراجع التقليد والفتيا، من أشهرهم جميعاً هو المير السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض»، نجل السيد محمد علي والمتوفى سنة ١٢٣١ هـ، ونجله العالم الشهير السيد محمد بن علي الطباطبائي الملقب بالمجاهد والمتوفى سنة ١٢٤٢ هـ، والسيد محمد مهدي بن السيد علي الطباطبائي المتوفى في نفس سنة وفاة والده صاحب «الرياض» أي سنة ١٢٣١ هـ، والسيد حسين الطباطبائي الحائري بن السيد محمد المجاهد وسبط السيد محمد مهدي بحر العلوم وصهر السلطان فتح علي شاه القاجاري على ابنة ولده الأمير علي ميرزا، تُوفّي بحدود سنة ١٢٥٠ هـ.

ترجمه الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «الكرام البررة»، وممّا قال عنه: وكان أجلَّ تلاميذ والده «السيد محمد المجاهد» ولما توفي والدُه قام مقامه، لكن لم تطل حياتُه بل توفي في حدود سنة ١٢٥٠هـ، وقام مقامَه ولدُه الميرزا زين العابدين إلى أن توفي في سنة ١٢٩٢ هـ، قال سيدنا (السيد الصدر) في «التكملة»: رأيت بعض مؤلفاته عند بعض أحفاده، وهي تدل على فضل غزير وتبحر في الفقه والحديث. . . الخ، والسيد حسن بن السيد محمد المجاهد الملقَّب بالحاج آغا، كان من أجلاء العلماء في حوزة كربلاء وقام مقامَه بعد وفاته نجله السيد علي نقي بن السيد حسن المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ، ثم نجله الآخر السيد الميرزا أبو القاسم بن السيد حسن المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ، والذي اشتهر هو أبناؤه وأحفاده بالحجة الطباطبائي، والسيد علي الطباطبائي بن الميرزا أبو القاسم الحجة، والذي قام مقام والده في التدريس

وإمامة الجماعة، لكنه توفي بعد وفاة والده بسبعة أشهر وخلّفه أخوه السيد محمد باقر بن الميرزا أبي القاسم الحجة المتوفى سنة ١٣٣١ هـ، والسيد محمد صادق بن السيد محمد باقر الحجة المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ، وأخوه العالم الفاضل السيد حسن بن السيد محمد باقر الحجة المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ.

ومن مشاهير أعلام هذه الأسرة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري: السيد عبد الحسين بن السيد علي بن الميرزا أبي القاسم الحجة المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ، والسيد محمد تقي الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ وكان يقيم الجماعة في صحن الروضة الحسينية الشريفة وعُرِفَ بنُسكه وتقواه، والسيد محمد عِلي بن السيد مهدي الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٨١ هـ، والسيد مرتضىٰ بن السيد مهدي الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ.

وآل الطباطبائي هم سادة حسنيّون من سلالة الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) تجمعهم صلة النسب من جانب الأب بالسادة آل بحر العلوم في النجف الأشرف، إذ يشتركون في النسب بجدهم الأعلى السيد عبدالكريم بن السيد مراد.

أسرة آل سلطان:

أسرةُ علمية نزحت من مدينة الحلة واستوطنت مدينة كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري، وعميدُها الأكبر هو الحاج حسن (سلطان)، تنتسبُ لفخذٍ من عشيرة (زبيد) يُقال له (الأكرع)، برز فيها علماء وفضلاء حظوا بقسطٍ كبير من العلوم الدينية، من مشاهيرهم:

ـ العالم الفاضل الشيخ محمد علي بن الحاج حسن سلطان الحائري، الذي تولّى غسلَ جثمان الفقيه الكبير الشيخ يوسف صاحب الحدائق المتوفى سنة ١١٨٦ هـ، له رسالة في الطهارة والصلاة، قامَ نجلُه الشيخ حسن بالشرح عليها، وكان هذا الأخير وأعني به الشيخ حسن بنِ الشيخ محمد علي، مَشهوداً له بالتقوىٰ والورع، والتبحّر في العلوم مُعاصراً للشيخ خلف بن عسكر

الزوبعي المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ، وقد اعتبره المولىٰ حُسين المُحيط في جوانب بعض مسائِله من أعوان الشيخ أحمد الأحسائي.

- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد علي سلطان، عالم فاضل توفي سنة ١٢٥١ هـ، ترك بخط يده كتاب «أساس الأصول» للعلامة السيد دلدار علي النقوي المُتوفّى سنة ١٢٣٥ هـ.

- الشيخ خلف بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد علي سلطان، من أجلّاء الفقهاء في عصره.

- الشيخ راضي بن محسن بن الشيخ محمد علي سلطان، درس على السيد علي الكبير الحُسيني المتوفى سنة ١٢١٧ هـ، وكانت وفاتُه بعد عام ١٢٥٠ هـ.

- الشيخ جواد بن الشيخ راضي بن محسن بن الشيخ محمد علي المتوفى سنة ١٢٨٤ هـ، اشتهر بوصفه عاملاً فاضلاً ذا سُمعة حسنة، ترك بخط يده كتاب (منهاج الكرامة في إثبات الإمامة) للعلامة الحلّي، فرغ من كتابته سنة ١٢٥٣ هـ.

- الشيخ حسين الشيخ راضي بن محسن، وكان بدوره رجل دين فاضلاً نابهاً في العلوم.

أسرة القزويني:

أسرة علمية أصيلة، حظي أفرادُها جيلاً بعد جيل بقسطٍ وافر من العلم والثقافة، ورأسُ هذه الأسرة في كربلاء هو السيد محمد باقر الموسوي القزويني المُلقّب بمعلم السلطان، لأنه كان مُعلماً لوالي كرمانشاه في إيران الأمير محمد علي ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه القاجار، هاجرَ من بلدته في إيران إلى النجف الأشرف سنة ١١٨٥ هـ، ومنها إلى كربلاء المُعلّىٰ سنة ١١٩٨ هـ، وذلك بصحبة أخيه السيد محمد علي بن السيد عبد الكريم الموسوي القزويني الحائري.

من مشاهير الأعلام في هذه الأسرة في كربلاء: السيد إبراهيم بن السيد محمد باقر القزويني صاحب «الضوابط» المُتوفى سنة ١٢٦٢ هـ، والذي اهتم إلى جانب انشغاله بالتدريس والتحقيق في الفقه، وأصوله بالأعمال الخيرية والإنشائية منها بناءُ سورٍ لمدينة سامراء وتذهيب أيوان روضة سيدنا العباس عليه السلام في كربلاء، خلّفه نجله السيد محمد باقر بن السيد إبراهيم القزويني المعروف بآغا بزرك.

والسيد محمد طاهر بن الميرزا مهدي بن محمد باقر الموسوي القزويني، كان من علماء كربلاء وأهل الفضل والتُقىٰ بها، له آثارٌ منها: «هداية المصنفين» في الإمامة، توفي سنة ١٣٢٩ هـ.

والسيد هاشم بن السيد محمد علي بن السيد عبد الكريم القزويني الحائري، ذكره صاحب «أعيان الشيعة» بقوله: تخرّج بصاحب الجواهر فقهاً، وبالشيخ مرتضى الأنصاري أصولاً، ثم عاد إلى كربلاء وتصدّر للدرس، وفي «تتمة أمَل الآمل»: هو عالم فاضل أصولي فقيه، من تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري والسيد محمد القزويني، ووصفه الميرزا حسين النوري بالعالم الفاضل، الورع التقي، كانت له رياسة ووجاهة في كربلاء والإمامة في الجماعة في صحن مشهد أبي الفضل العباس عليه السلام، وكان معروفاً بالصلاح والوثاقة في كربلاء، وهو ابن عم السيد إبراهيم صاحب الضوابط، خلّف ولدين هما: السيد محمد رضا والسيد إبراهيم، توفي سنة ١٣٢٧ هـ ودفن إلى جانب ابن عمه صاحب الضوابط في الصحن الشريف.

والسيد محمد رضا بن السيد هاشم القزويني، كان من علماء كربلاء ومن المُجازين من أبيه السيد هاشم، قام مقامه بعد وفاته في إمامة الجماعة وغيرها من الوظائف الشرعية إلى أن توفي سنة ١٣٤٨ هـ، خلّفه أخوه السيد إبراهيم بن السيد هاشم في إقامة الجماعة بصحن روضة سيدنا العباس عليه السلام، إلى أن توفي سنة ١٣٦٠ هـ.

والسيد حسين بن السيد محمد باقر بن السيد إبراهيم القزويني المتوفى

سنة ١٣٦٧ هـ، كان من تلامذة المولى الشيخ محمد كاظم الخراساني، وغيره من فطاحل العلماء في النجف، عاد إلى كربلاء فعلا شأنه وكانت بيده موقوفات جدّه السيد إبراهيم صاحب الضوابط، له مصنفات وُجدت عند نجله السيد إبراهيم شمس الدين القزويني صاحب كتاب «البيوتات العلوية في كربلاء» منها كتاب «مدينه فاضله إسلام» فارسي طبع سنة ١٣٤٨ هـ، و«الأجوبة الحائرية عن الأسئلة البغدادية»، ومؤلفات أخرى.

والعالم الشاعر السيد مهدي بن السيد محمد طاهر بن السيد مهدي بن السيد محمد باقر القزويني المتوفى سنة ١٣٥١ هـ، ونجله الخطيب الشاعر السيد محمد صالح بن السيد مهدي المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ.

والسيد محمد حسن بن أبي المعالي محمد باقر بن السيد مهدي بن السيد محمد باقر القزويني الشهير بآغامير، صاحب كتاب «الإمامة الكبرىٰ» والمتوفى في الحائر الشريف سنة ١٣٨٠ هـ.

والسيد محمد حسين بن السيد محمد طاهر بن السيد مهدي بن السيد محمد باقر القزويني المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ، وكان يقيم الجماعة في صحن روضة سيدنا العباس عليه السلام.

ومن علماء وفضلاء هذه الأسرة في عهدنا الحاضر: السيد محمد صادق بن السيد محمد رضا بن السيد هاشم القزويني المولود سنة ١٣٢٥ هـ، والسيد محمد كاظم بن السيد محمد إبراهيم بن السيد هاشم القزويني المولود سنة ١٣٤٨ هـ، صاحب المؤلفات المفيدة في أحوال الأئمة (عليهم السلام) والسيد هاشم بن السيد محمد صادق بن السيد محمد رضا القزويني، والخطيبان الفاضلان السيد مرتضى والسيد عبد الحسين نجلا السيد محمد صادق القزويني، والشاعر المجيد السيد رضا بن السيد محمد صادق القزويني ـ نزيل مدينة مشهد بخراسان ـ ولهذا الأخير أشعار وقصائد في مديح آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والرثاء لمصابهم.

كما ينتسب لهذه الأسرة الخطيب الفاضل السيد مهدي بن السيد محمد

صالح بن السيد مهدي القزويني المتوفى سنة ١٤٠٩ هـ، والسيد جواد بن السيد محمد صالح بن السيد مهدي القزويني، والأخير هو الآن نزيل مدينة مشهد.

أسرة المرعشي الشهرستاني:

آل المرعشي هم سادةٌ حسينيّون ارتبطوا بنسبةِ المُصاهرة بأسرة الشهرستاني، وهم سادة مُوسويون فغلبت عليهم شهرةُ الشهرستاني، استوطنت هذه الأسرة مدينة كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري، وبرزَ بين أفرادِها علماءٌ وفقهاءٌ كبار منهم:

السيد محمد حسين بن محمد علي بن محمد إسماعيل الحسيني المرعشي المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ، والذي كان قد صاهرَ العالم والمرجع الديني الكبير في كربلاء السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني رأسَ الأسر الشهرستانية على ابنته، فعُرف هو وأبناؤه وأحفادُه بلقب الشهرستاني، ونجلُه السيد محمد علي بن السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ، ونجله الآخر السيد محمد تقي بن السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني، والذي ترجمه صاحبُ «نقباء البشر» بقوله: هو السيد محمد تقي ابن الأمير السيد محمد حسين بن الأمير محمد علي بن محمد إسماعيل الحسيني المرعشي الحائري الشهير بالشهرستاني، لأنّه كان سبطَ العلامة السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني الموسوي، فإن السادةَ المرعشيين لمّا صاهروا الشهرستانيين عرفوا باسمهم وذلك لنبوغ هذا البيت الجليل واشتهاره في الحائر المقدس، ـ وإلا فالمرعشيّون حُسينيّون والشهرستانيون مُوسويون ـ عالم فقيه مُعمّر، وورع تقي صالح، كان من تلاميذ العلامتين مؤلف «الجواهر» (الشيخ محمد حسن النجفي) والأنصاري وله مؤلفات في الفقه والأصول لم تخرج إلى البياض، وله كتاب كبير في الأدعية والأعمال سمّاه «ذخيرة المعاد»، وكان معمراً بلغ من العمر أربعاً وتسعين سنة، ربّى ابن أخيه العلامة الشهير الميرزا محمد حسين الشهرستاني (بن السيد محمد علي بن

السيد محمد حسين)، وزوّجه ابنته وتوفي في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٧ هـ، وولداه هما: السيد آغا علي (كان من أهل العلم والتقوىٰ، والفضل والصلاح ومن العلماء البارزين والمُوجهين عند العامة والخاصة في كربلاء، تُوفي سنة ١٣٥٣ هـ) والسيد علي أصغر (وكان بدوره من رجال الفضل المعروفين ومن حُضّار درس الشيخ محمد كاظم الخراساني وغيره في النجف، تُوفي في كربلاء سنة ١٣٦٠ هـ)... الخ.

ومن أعلام هذه الأسرة أيضاً: السيد الميرزا علي بن السيد محمد حسين بن السيد محمد علي المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ، وكان قد خلف والدَه في إمامة الجماعة والانشغال بالتدريس والتحقيق، والسيد زين العابدين بن السيد محمد حسين بن السيد محمد علي بن السيد محمد حسين المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ.

ولمشاهير العلماء في هذه الأسرة العلمية الدينية مؤلفات وآثار علمية وثقافية مطبوعة ومخطوطة ذكرها العالم النسابة الشيخ آغا بزرك الطهراني في أجزاء من موسوعته «الذريعة إلى تصانيف الشيعة».

ويبقىٰ القول أخيراً: أن عميدَ أسرة المرعشي الشهرستاني في الوقت الحاضر هو العلامة الشهير السيد أحمد الشهرستاني ـ نزيل مدينة طهران ـ ترجمه صاحبُ «نقباء البشر» بقوله: كان من أفاضل المشتغلين في النجف، برع في الفقه والأصول، وعُمدةُ تلمذه على العلامة الشيخ أبي الحسن المشكيني، وقد كتب من تقريرات درسه كثيراً ورأيتُ جملةً من كراريسها عنده بخطه، هبط طهران بعد وفاة والده وهو اليوم من القائمين بالوظائف الشرعية هناك، والسيد أحمد الشهرستاني هو نجلُ السيد علي أصغر بن السيد محمد تقي بن السيد محمد حسين بن السيد محمد علي بن السيد محمد إسماعيل الحسيني المرعشي.

وينتمي لهذه الأسرة أيضاً رجلُ الدين الفاضل والمُحقق السيد عبد الرضا الشهرستاني، ـ نزيل مدينة المشهد الرضوي بخراسان حالياً ـ وقد ألّف

كتاباً عن جدِّه الميرزا محمد حسين المرعشي الشهرستاني سمّاه «أحوالات الميرزا محمد حسين الشهرستاني».

أسرة آل زيني:

أسرة علمية برز فيها عدد من العلماء والأدباء والخطباء، يرتقي نسبها إلى العلامة السيد زين الدين بن السيد علي بن السيد سيف الدين من سلالة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، والذي اختار السكنَ في الحائر الشريف في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، بنىٰ لنفسه داراً في مدينة كربلاء واتخذها مسكناً له، وهي تقع في محلة آل عيسىٰ، يرجع تاريخُ بناءِها إلىٰ سنة ١١٧٣ هـ، حسبما تنص بذلك وثيقة تمليكها.

من أعلام هذه الأسرة: السيد محمد بن أحمد بن زين الدين بن السيد علي المتوفى سنة ١٢١٦ هـ، وقد عرف بالزيني البغدادي، كان شاعراً يُشار له بالبنان، ترك آثاراً أدبية وشعرية منها هذه الأبيات القليلة في مديح آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

هذي منازل آل بيت المصطفى — فالثم ثراها واكتحل بغبارها
هي بقعة الوادي المقدس فاخلع — النعلين إن أصبحت من حُضّارها
هي مهبط الأملاك والأرض التي — جبريل عبدٌ من عبيد مزارها

والأديب الشاعر السيد جواد بن السيد محمد بن أحمد بن زين الدين المتوفى في سنة ١٢٤٧ هـ، وقد اشتهر بالسيد جواد سياه پوش (أي ذي اللباس الأسود) كان إخبارياً مُتشدداً في طريقته وشاعراً هجّاءاً، له قصيدة هَجا بها أهلَ بغداد في عصره.

والخطيب السيد عبد الرزاق بن السيد كاظم بن السيد جعفر بن السيد حسين بن السيد أحمد بن زين الدين المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ.

ولا يزال أفراد من هذه الأسرة يسكنون حتى يومنا هذا، وكان عميد هذه

الأسرة حتى لوقت قريب هو السيد سعيد زيني صاحب مكتبة السعادة في كربلاء.

أسرة الشيخ خلف:

أسرةٌ علمية تنتسب لعشيرة (الزوبع)، نبغَ فيها العالم الجليل، والفقيه الضليعِ، الشيخ خلف بن عسكر الحائري، الذي اختارَ السكنَ في كربلاء مُشتغلاً بالتدريس والتحقيق والتدقيق، حتى وافاه الأجل المحتوم بداء الطاعون الجارف سنة ١٢٤٦ هـ، وكان من أبرز تلامذة السيد علي الطباطبائي «صاحب الرياض» ولازمه ملازمةَ الظل طوالَ حياة أستاذه، وأعقب أنجالاً ثلاثة سلكوا مسلك والدهم الروحي في إمامة الجماعة، والتدريس، والقيام بالوظائف الشرعية، وهم على التوالي:

١ ـ الشيخ حسين المُتوفّى بعد سنة ١٣٤٦ هـ، خلّف نجلين هما: الشيخ علي والشيخ صادق.

٢ ـ الشيخ عبد الحسين، أعقب ولدين فاضلين هما: الشيخ باقر والشيخ حسن.

٣ ـ الشيخ محمد، الذي كان عالماً فاضلاً نالَ سمعةً حسنة وذكراً حميداً.

ولا تزال أفراد من ذرية هذه الأسرة يقطنون في كربلاء، حتى يومنا هذا.

أسرة الأمير السيد علي الكبير:

أسرة علمية علوية، ينتهي نسبُها إلى زيد بن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين عليه السلام، وكان رأسُ هذه الأسرة وهو السيد منصور بن أبي المعالي، قد هاجر إلى كربلاء واستوطنها في القرن الثاني عشر الهجري.

من مشاهير الأعلام في هذه الأسرة: الأمير السيد علي الكبير بن السيد منصور بن أبي المعالي، كان من فطاحل العلماء في عصره، وبرز اسمُه

كواحدٍ من كبار تلامذة الوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق الناضرة»، ولكن لم تدم حياته طويلاً بعد وفاة أستاذه الكبير، إذ تُوفّي في سنة ١٢٠٧ هـ، وهي نفس سنة وفاة الوحيد البهبهاني في الحائر الشريف.

ومن أسرته تفرعت عدةُ أسرٍ علمية من أشهرها: أسرة العلامة الكبير السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ونسبتُه الشهرستاني هي بسبب مصاهرة والده السيد حسين بن السيد محسن بن السيد مرتضىٰ بن السيد محمد بن الأمير السيد علي الكبير الحسيني الحائري بأسرة الشهرستاني المعروفة في كربلاء، كان عالماً ذا شأن ومنزلة كبيرين، وشاعراً مُبدعاً، وكاتباً قديراً، وسياسياً مخضرماً، تولّىٰ وزارةَ المعارف في حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية، وكان من رجالات الثورة العراقية الكبرىٰ وشغل مقعداً في البرلمان العراقي نائباً عن بغداد، له مؤلفات كثيرة منها «نهضة الحسين»، و«الهيئة والإسلام»، و«جبل قاف»، و«الدلائل والمسائل»، و«ما هو نهج البلاغة»، و«حلّال المشكلات»، و«وظايف زنان» وهو كتاب فارسي في واجبات النساء، و«وجوب صلاة الجمعة»، و«ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج»، وغيرها من الكتب والكراسات الثقافية والدينية، وكان قد أسَّس في سنة ١٣٦٠ هـ مكتبة عامرة بالكتب الإسلامية في صحن روضة الإمامين الكاظمين بمدينة الكاظمية سماها مكتبة الجوادين، نقل إليها كتبه وأضاف عليها بالتدريج مجموعاتِ كتبٍ متنوعة، حتى أصبحت من أعظم المكتبات العامة في العراق، وقد خصَّص فيها مكاناً لشخصه كان يستقبل فيه رجالات البلد من علماء وسياسيين وجامعيين، وكانت تُوجّه إليه الأسئلة المختلفة من شتىٰ بقاع البلاد وخارجها فيجيبُ عليها بلغةٍ عصرية مبسطة، وقد جمع بعضَ هذه الأسئلة وأجوبتها وطبعَها في عدة مجلدات، توفي سنة ١٣٨٦ هـ.

أسرة الحكيم:

من الأسر العريقة في كربلاء، وهي من سلالة عبد الله بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام استوطنت مدينة الحسين في القرن الثاني عشر الهجري، اشتهر

من بين أفرادها: السيد مهدي بن السيد خليل بن السيد إبراهيم بن السيد محمود بن السيد عبد العزيز بن السيد عمران بن السيد جعفر بن السيد إدريس، كان عالماً، وأديباً فاضلاً، كما كان طبيباً حاذقاً، وكانت له خزانة كتب تضم مجموعةً لا بأس بها من المخطوطات الطبية، توفي سنة ١٣١٨ هـ ولُقّب عقبُه بآل الحكيم الشهرستاني، نسبةً لمصاهرتهم بأسرة العالم والمرجع الديني الكبير السيد محمد مهدي الموسوي الشهرستاني المتوفى سنة ١٢١٦ هـ، خلّف أربعة أبناء هم: السيد أحمد، والسيد حسين، والسيد محمد علي، والسيد حسن، ومن ذريته اليوم الخطيب والأديب السيد محمد علي صدر الدين بن السيد حسن بن السيد مهدي صاحب مجلة «رسالة الشرق» الكربلائية.

أسرة كدا علي «آل صالح»:

استوطنت هذه الأسرة مدينة كربلاء في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وكبيرُها هو الشيخ محمد صالح بن مهدي بن الخطاط آغا محمد جعفر بن الأمير فضل علي خان المُلقّب بـ «كدا علي بيك النوري الحائري» المُتوفى سنة ١٢٨٨ هـ، كان من مراجع التقليد وكبار العلماء في عصره، حظي بسمعة حسنة ومكانة محترمة بين مختلف فئات أهالي كربلاء في حينه، خَلّفه نجلهُ العالم الفاضل الشيخ مهدي بن الشيخ محمد صالح المتوفى سنة ١٣٤٠، فاقتفىٰ سيرةَ والده في التصدي لشؤون الفتيا، والتدريس، وإقامة الجماعة في صحن الروضة الحسينية الشريفة، أعقبه نجلُه الشيخ صالح بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد صالح المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ، كان عالماً جليلاً، يُقيم الجماعة في جامعٍ يقع قُرب باب السدرة من أبواب صحن الروضة الحسينية، له كتابُ «شرحٌ على قانون الأصول»، وأعقبَ هذا الأخير نجلُه الشيخ مرتضى بن الشيخ صالح بن الشيخ مهدي، ولا يزال أفراد من هذه الأسرة يقطنون مدينة كربلاء، من أشهرهم: الدكتور عبد الرزاق بن الشيخ مرتضى بن الشيخ صالح المعروف بالشهرستاني، نظراً لمصاهرته ببيت الشهرستاني المعروف في كربلاء.

أسرة أبي الحب:

أسرة علميّة معروفة في كربلاء اشتهر أفرادها بالفضل، والأدب، ونظم الشعر، استوطنت مدينة كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري، وهي تنتسب لقبيلة «آل خثعم» التي كانت تقطن منطقة الحويزة، وقد برز في أفرادها علماء، وخطباء، وشعراء، من مشاهيرهم: العالم والخطيب الشاعر الشيخ محسن بن الحاج محمد أبو الحب الخثعمي الحويزي الحائري، المولود سنة ١٢٣٥ هـ والمتوفى في الحائر الشريف سنة ١٣٠٥ هـ، له ديوان شعر مخطوط بعنوان «الحائريات» كانت نسخته الأصلية محفوظة في مكتبته الخاصة، ويحوي ديوانه هذا قصائد دينية جلُّها في رثاء آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قصائده التي اشتهرت كثيراً في المجالس والمحافل الحسينية قوله:

أعطيت ربي موثقاً لا ينتهي	إلا بقتلي فاصعدي وذريني
إن كان دين محمد لم يستقم	إلا بقتلي يا سيوف خذيني
هذا دمي فلترو صادية الظبا	منه وهذا بالرماح وتيني
هذا الذي ملكت يميني حبسة	ولا تبعته يسرتي ويميني
خذها إليك هدية ترضىٰ بها	يا رب أنت وليها من دوني
أنفقت نفسي في رضاك ولا أرا	ني فاعلاً شيئاً وأنت معيني
ما كان قربان الخليل نظير ما	قربته كلّا ولا ذي النون
هذي رجالي في رضاك ذبائح	ما بين منحور وبين طعين
رأسي وأرؤس أسرتي مع نسوتي	تهدي لرجس في الضلال مبين
وإليك أشكو خالقي من عصبة	جهلوا مقامي بعدما عرفوني

ومن هذه الأسرة: الفقيه والخطيب الشهير الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن بن الحاج محمد أبو الحب الحائري، المولود سنة ١٢٥٥ هـ والمتوفى سنة ١٣٥٧ هـ، ونجله الخطيب والشاعر الشهير الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن أبو الحب الحائري، المولود سنة ١٣٠٥ هـ والمُتوفّى سنة ١٣٦٨ هـ، وكان شاعراً مُكثراً مطبوعاً، قوي الحافظة، فصيحاً، جريئاً، له ديوان مطبوع سجّل فيه تاريخ عصره وأحداث زمانه ومن شعره في مناهضة

الحكم البريطاني الاستعماري في العراق قال:

ألا فانهضوا إنَّ الجهادَ لواجبٌ	ولا تقعدوا يا عُصبةَ المجد والكرم
أما تنظروا إخوانكم دخلوا الوغىٰ	بعزم وحزم والشجاعة والهمم
يحامون عن أوطانهم فكأنّهم	أسود شرىٰ عاثت بجمعٍ من الغنم
على الكفر صالوا والإله يمدهم	بنصرٍ ومنهم كافر قطّ ما سلم
لقد تركوا أبناء لندن آكلة	وأجسادهم صارت لذؤبانهم طعم
أبادوا جنود الإنجليز ومزقوا	من الكفر جمعاً بعد ذا ليس يلتئم
بريطانيا مخذولة لا محالة	وقد لبست ثوباً من الذل والعدم
بريطانيا يا عرب خانت وضيّعت	عهودكم والله منها قد انتقم
إلى أين يأوي الإنجليز وكلّما	تحاربه بالسيف والرمح والقلم
فيرجع مقهوراً ذليلاً وجيشه	به الذل من كلّ الجوانب قد ألم

ولهذه الأسرة أعقاب يزاولون مهنةَ الطب، والهندسة، والتدريس في الجامعات الحديثة.

أسرة البرغاني:

أسرة علمية اشتهرت في بداية أمرها بمدينة قزوين في إيران على عهد كبيرها المولىٰ محمد البرغاني المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ، خلّفه نجلُه المولى الشيخ محمد تقي البرغاني المعروف بالشهيد الثالث، والذي قُتل على يد الفرقة البابية في إيران سنة ١٢٦٤ هـ.

هاجر نجلُه الآخر المولى الشيخ محمد صالح البرغاني إلى كربلاء واستوطنها حتى تاريخ وفاته في سنة ١٢٨٣ هـ، وبسببه اشتهرت أسرةُ البرغاني وعلا أمرها في كربلاء، والتي عُرفت فيما بعد بـ«آل الصالحي»، وكان هو عالماً فحلاً، ومرجعاً للفتيا، وإماماً للجماعة في صحن روضة سيدنا الحسين عليه السلام، واشتهر بزهده وتقواه، وقيل إنّه انبرىٰ لدحض الأفكار الفلسفية للشيخ أحمد الأحسائي المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ، الذي نهض بأعباء التدريس وإقامة الجماعة في مكان والده الراحل طوال سنوات حياته.

ومن أعلام هذه الأسرة في كربلاء: العلامة الكبير الشيخ الميرزا علي نقيّ بن الشيخ حسن البرغاني المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، عالم كبير، وفقيه ماهر، تتلمذ لدىٰ الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي وغيره من كبار علماء زمانه، تصدّر درسَ الخارج في كربلاء وكان له بحثٌ عامرٌ يحضره النابهون، وكبار أهل العلم وعرف بالتعمق في الفكر ودقة النظر، له كتاب في أصول الفقه من أول مباحث الألفاظ إلى آخر بحث وقوع الأمر عقب الحظر، توجد نسخة منه في مكتبة حفيده الشيخ عبود بن الشيخ حسن بن علي نقي الصالحي (البرغاني) ـ نزيل مدينة قزوين حالياً ـ.

والشيخ الميرزا علّامة بن الشيخ حسن بن المولىٰ محمد صالح البرغاني، كان عالماً كاملاً، وفاضلاً تقياً، قرأ على المولىٰ حسين الأردكاني في كربلاء، والميرزا حبيب الله الرشتي في النجف، اشتغل بالبحث والتدريس في حوزة كربلاء إلى أن تُوفي سنة ١٣١٠ هـ.

ولأسرة البرغاني علماء وفضلاء وخطباء منتشرون في العراق وإيران.

أسرة آل الهر

من الأسر المعروفة في كربلاء بالعلم والأدب، برزَ فيها العديدُ من أهل الفضل، والأدب، والشعر، وهي فخذٌ من عشيرة (الطهامزة) المُتشعّبة عن قبيلة «الخفاجة»، وكان الشيخ أحمد بن عيسى الهرّ الحائري، أولَّ فردٍ في هذه الأسرة يُهاجر إلى كربلاء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، ويُجاور الحائر الشريف لسنواتِ حياته المُتبقية، من مشاهيرها في كربلاء: الشيخ قاسم بن محمد عليٍ بن أحمد بن عيسى الهر الحائري المتوفى سنة ١٢٧٦هـ، كان عالماً فاضلاً، وشاعراً لبقاً، حسن البديهة، مُرتجلاً لقصائد شعرية كثيرة، منها قوله في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

لمّا دعاهم للقتال فداؤه روُحي وقل له عظيم فداء
بالطف نجل محمد ووصيّه وابن البتول ووالد النجباء
لم أنسه لما رأىٰ أصحابه صرعىٰ بلا غسل على الرمضاء

وبقىٰ فريد العصر فرداً بينهم إذ لا نصير له على الأعداء
فغدىٰ إلى نحو الخيام مُودعاً حرم النبي وجملة الأبناء
أسفي له نادىٰ لزينب أخته يا أخت قُومي قبلَ وشك فناء
قومي إلى التوديع يا ابنة حيدر لا تجزعي من موضع الارزاء
ولتشكري فيه أخيّةَ وأحمدِ الرحمنَ من السرّاء والضرّاء
وعليك بالصبر الجميل وبالتُقىٰ بعدي إذا جدلت في الغبراء
وبطاعة السجّاد نجلي أنه خلف لكم يا عترتي ونسائي

والشيخ كاظم بن صادق بن محمد بن أحمد الهر الحائري المتوفى سنة ١٣٣٠هـ، ولعله أشهر فرد في أسرة الهر العلمية والأدبية، شب وترعرع على حب العلم والكمال، فقد درس المقدمات وسهر على علمي الفقه والأصول بالدراسة على افذاذ عصره، فكان مثالاً صالحاً ومفخرة تعتز به كربلاء، وكانت له حوزة للتدريس في مدرسة حسن خان، وله ديوان شعر جُلّه في مدح آل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) لم يزل مخطوطاً، ترجمه السيد محسن الأمين العاملي في «أعيان الشيعة»، والشيخ محمد السماوي في «الطليعة»، والسيد سلمان هادي الطعمة في كتابه «شعراء من كربلاء» بوصفه شاعراً وأديباً شهيراً إلى جنب علمه وفضله وتديّنه، له قصائد مطولة ومنه مرثية في الإمام الحسن بن علي، وثانية في الإمام السجاد علي بن الحسين، وثالثة في رثاء الإمام جعفر بن الصادق، ورابعة في الإمام باب الحوائج موسى بن جعفر، وخامسة في الإمام محمد الجواد، مما جعل البعض يعتقد أنه رثىٰ جميع الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

والشيخ جعفر بن الشيخ صادق الهر الحائري، كان أحد أعلام كربلاء وأفاضلها، ولد سنة ١٢٦٧هـ وتوفي في الحائر الشريف سنة ١٣٤٧هـ، ودفن في رواق الحضرة الحسينية قريباً من قبر صاحب الرياض وعمره ثمانون سنة، درس على الشيخ زين العابدين المازندراني، ولما نال الحظوة الكافية من العلم انفرد بالتدريس وتخرّج على يده جماعة من طلاب العلوم الدينية، قال صاحب «الطليعة»: كان فاضلاً مشاركاً في العلوم، أديباً شاعراً، هو اليوم

مُدرسّ بكربلاء، وأمام جماعة، تقام به الصلاة في حرم العباس (عليه السلام).

ومن شعره في رثاء علي الأكبر بن الحسين شهيد الطف:

بقلبي أوقدت ذات الوقود رزايا الطف لا ذات النهود
شباب بالطفوف قضىٰ شهيداً يشيب لرزئه رأس الوليد
شبيه محمد خَلقاً وخُلقاً وفي نطقٍ وفي لفتات جيد
وفي وجه يفوق البدر نوراً وفي سيمائه أثر السجود

والشيخ جواد بن الشيخ كاظم بن صادق الهر الحائري المتوفى سنة ١٣٤٧هـ، كان من أهل العلم والفضل والأدب، درس على والده وجملة من العلماء المعاصرين له في مدرسة حسن خان الدينية، نظم في كافة الفنون الشعرية، وشعره تقليدي حافل بالصور الكلاسيكية، وكان يُكنّىٰ نفسه بشاعر آل كمونة.

والشيخ موسى بن الشيخ جعفر بن صادق الهر الحائري المتوفى سنة ١٣٦٩هـ، كان عالماً، ورجلاً صالحاً، حسن الأخلاق، طيّب المعشر، أخذ العلم من أساتذة الحوزة العلمية في كربلاء، له قصائد دينية وتعليقات وتقاريض لبعض الكتب الهامة.

أسرة خير الدين:

يرجع نسبُ هذه الأسرة إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ويرجع عهد أستيطانها في كربلاء إلى القرن الثاني عشر الهجري، فجدُّها الأكبر هو السيد نوازش علي آل خير الدين الموسوي الهندي الحائري المُتوّفي بحدود سنة ١٢٧٠هـ، ان من ذوي المِكنة والثراء ومُعظّماً عند السلاطين والأمراء في الهند، هاجرَ من لكنهو (الهند) إلى العراق فجاورَ مرقد الحسين عليه السلام في كربلاء، ولشدّة ورعه وكثرة تقواه حظي بثقةِ الحجة الكبير السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، واشتهر حفيدُه السيد حسين بن السيد محمد علي بن السيد نوازش خير الدين المتوفي سنة ١٣٥٨هـ، بعلمه وفضله في

كربلاء، ذكرَه العالم النسّابة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «نقباء البشر» فقال: من العلماء الأعلام، نشأ على أبيه في الحائر المُقدّس وولعَ بطلب العلم فقرأ المُقدمات والسُطوح، وحضرَ على علماء كربلاء ومُدَرسيها الأفاضل، حتى كمَّل وبَرعَ وكَتب تقريراتِ دُروسِهم منها: مجلدٌ في مباحث الألفاظ في الأصول و (التعادل والتراجيح)، رأيتُه عندَه بخطهِ إلى غير ذلك من آثاره... الخ، والسيد محمد عليٍ بن السيد حسينٍ بن السيد محمد علي المتوفيٍ سنة ١٣٩٤هـ، كان عالماً، فاضلاً، مُصنفاً، حسنَ الشعر، امتلك خزانة كُتبٍ ورثَها عن آبائه، درسَ على السيد أبي الحسن الاصفهاني، والميرزا حسين النائيني، والشيخ آغا ضياء العراقي، واهتم بالبحث والتدريس في حوزة كربلاء، وكان إلى وقت قريب يقيم الجماعة في صحن الروضة العباسية، خُلف عدة أنجال أكبرُهم السيد محمد الذي يقوم مقامَ والده في اقامة صلاة الجماعة.

* * *

أسرة المازندراني (الهزار جريبي):

أسرة علمية دينية برزت في كربلاء المقدسة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وأحتفظ أفرادُها من جيل لآخر بشهرتهم الدينية والعلمية حتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، وكان رأس هذه الأسرة الشيخ أبو الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادي الهزار جريبي المازندراني، قد هاجرَ من إيران برفقة زميله في الدرس الآية العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى في سنة ١٢٨١هـ، إلى كربلاء واستوطنها مُشتغلاً بالدرس والبحث، وشؤون الفتيا، ومُزامِلاً المرجعَ الكبير الشيخ زين العابدين المازندراني (البارفروشي)، حتى آخر أيام حياته في سنة ١٣٠٦هـ، وقد رثاه خطيبُ كربلاء الشهير في حينه السيد جواد الهندي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ، بقصيدة غرّاء عزّىٰ فيها صديقه الشيخ زين العابدين وأرّخَ عامَ وفاته، ذكره العلامة النوري في كتابه «دار السلام»، وأطرىٰ بشخصيته العلمية والدينية. خلّفه نجلُه الشيخ عبد الهادي بن الشيخ أبي الحسن الحائري المازندراني،

كان من تلامذة المولى حسين الاردكاني في الحائر الشريف. ثم لازم درس المُجدّد الشيرازي السيد الميرزا محمد حسن في سامراء لسنين طويلة، وعاد إلى موطنه «كربلاء» مُشتغلاً بوظائفه الشرعية من تدريس وأمامة وأرشاد إلى أن توفي سنة ١٣٥٣هـ.

ونجلُه الآخر هو الشيخ عبد الجواد بن الشيخ أبي الحسن الحائري المازندراني، من كبار فقهاء ومُدرّسي الحوزة العلمية في كربلاء، وكان يقيم الجماعة في الحرم الحسيني الشريف واتسم بالزهد والورع إلى جانب تبحره في الفقه والأصول، توفي سنة ١٣٦١هـ.

ونجله الثالث هو الشيخ محمد حسن بن الشيخ أبي الحسن الحائري المازندراني، وكان بدوره فقيهاً فاضلاً، اشتغل بالتدريس والإرشاد بالحائر الشريف.

ومن هذه الأسرة أيضاً: الشيخ علي بن عبد الجواد بن أبي الحسن الحائري المازندراني، والشيخ موسى بن محمد حسن بن أبي الحسن الحائري المازندراني، والشيخ محمد مهدي بن عبد الهادي بن أبي الحسن الحائري المازندراني المتوفى سنة ١٣٨٤هـ، وكان هذا الأخير من أكابر خطباء المنبر الحسيني في العراق وعُرف في عصره بشيخ الخطباء الكربلائيين، له مصنفات كثيرة مطبوعة، هي في جملتها شروح لأحوال الأئمة الأطهار عليهم آلاف التحية والثناء.

* * *

أسرة الأسترابادي:

يرجع نسب هذه الأسرة إلى سيدنا الإمام الحسين بن علي عليه السلام نزحت إلى كربلاء واستوطنتها منذ القرن الثالث عشر الهجري، من مشاهير الأعلام فيها: العالم الفاضل السيد مصطفى بن السيد حسين، من سلالة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ترجمة صاحب «أعيان الشيعة» بقوله: السيد مصطفى بن الحسين بن عبد الله المهتركلاهي الاسترابادي ـ نزيل كربلاء ـ

توفي قبل سنة ١٢٨٠هـ، الفقيه الأصولي من تلامذة صاحب الفصول ـ الشيخ محمد حسين الاصفهاني ـ وهو جد السادة الاسترابادیين في كربلاء.

ومن فضلاء هذه الأسرة أيضاً: الخطيب الشهير السيد حسن بن السيد علي بن السيد مصطفى الاسترابادي المتوفي سنة ١٣٦٦هـ، ونجلاه السيد محمد علي بن السيد حسن المتوفى سنة ١٣٧٥هـ والسيد محمد مهدي بن السيد حسن، وكان خطيبين معروفين في كربلاء.

* * *

أسرة الكشميري:

إحدى أسر العلم والفضيلة المعروفة في كربلاء، تنتسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، استوطنت الحائر الحسيني الشريف في القرن الثالث عشر الهجري، وأشهر علماءها الأعلام: السيد مرتضىٰ بن مهدي بن محمد بن كرم الله الكشميري المتوفى في مدينة الكاظمية في سنة ١٣٢٣هـ، وقد حمل جثمانه إلى كربلاء ودفن في الصحن الحسيني الشريف، وكان من تلامذة الحجة العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفي سنة ١٢٨١هـ.

ومن أعلام هذه الأسرة أيضاً: العالم الفاضل السيد حسن بن السيد عبد الله الرضوي الكشميري الحائري المتوفي سنة ١٣٢٨هـ، خلّف أنجالاً هم: السيد مصطفى بن السيد حسن بن السيد عبد الله، والسيد محمد بن السيد حسن، والسيد محمد حسين بن السيد حسن، وبرز في أنجاله السيد محمد المتوفى سنة ١٣٧٦هـ، فقد كان له دور في الثورة العراقية الكبرىٰ بقيادة الزعيم الروحي المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ، وعُرف بوصفه من رجالات هذه الثورة.

* * *

أسرة الرشتي (الرُشدي)

تنتسب إلى السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي المتوفى سنة

١٢٥٩هـ، كان عالماً ضليعاً بالعلوم الفلسفية، تتلمذ على الشيخ أحمد الاحسائي، وتزعمُ مقلدِّيه بعد وفاته، وشكل جماعةً عرفت بالكشفية التي اعتبرها العلماء الأصوليون والمجتهدون الكبار منحرفةً في بعضِ المبادىء والأسس الدينية المُسَلم بها، لُقب أعقابه بآل الرُشدي، أشهر منهم نجله السيد أحمد بن السيد كاظم، كان عاملاً هاوياً بالآداب العربية، ويُقيم الجماعة بمكان والده في الصحن الحسيني الشريف، وقد اغتيل في حادثة معروفة سنة ١٢٩٥هـ، تركَ ديوانَ شعرٍ مخطوط، والسيد حسن بن السيد كاظم، والسيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد كاظم المتوفى سنة ١٣٦٠هـ.

أسرةُ آل الداماد:

أسرة علوية قطنت كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري وبرز ونبغ فيها العالمُ المحقق السيد الميرزا محمد صالح الداماد المعروف بـ(عرب)، والمتوفى سنة ١٣٠٣هـ، وهو نجلُ السيد حسين بن السيد يوسف الموسوي الحائري، اشتهر بالداماد لأن والدَه صاهر العلامة السيد علي الطباطبائي «صاحب الرياض» على كريمته، فاشتهر في كربلاء بـ(الداماد) ومعناه بالعربية «الصهر»، نشأ وتربي في كربلاء وقرأ على خاله السيد مهدي نجل السيد علي «صاحب الرياض»، والسيد إبراهيم القزويني «صاحب الضوابط»، واشتهر بالفضل والعلم وتفرّغ للتدريس في حوزة كربلاء، حيث تخرّج من تحت منبر درسه جمعٌ من العلماء الأفاضل، وحظي بمكانةِ الرئاسة العلمية والزعامة الدينية في كربلاء، ذكره صاحب «معجم المؤلفين» بقوله: محمد صالح عرب بن حسين الكربلائي الشيعي الأمامي الشهير بعرب، فقيه أصولي من تصانيفه: «زهر الرياض» وهو حاشية على «رياض المسائل» لجدّه السيد علي، و«المهذب» في الأصول، وحاشية على «الروضة البهية» للشهيد، وقال عنه صاحب «نقباء البشر»: وكان شديد الغيرة على الدين، كثير الاهتمام في نشر معالمه وتوطيد دعائمه وحفظ حدوده وحمايتها، خشيةً في ذات الله لا تأخذه فيه لومةُ لائم، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر من أوائل شبابه وبدايةِ أمره... الخ.

أسرة المازندراني (البارفروشي):

أسرةٌ اشتهر أفرادُها من جيل لآخر بالعلم والفضيلة والمعرفة، هاجرت من إيران وسكنت مدينة كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري، تنتسب لكبيرها وعميدِها الفقيه النحرير، والزعيم الروحي الكبير، الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ، كان من أبرز أعلام الدين وروّاد الفكر الإسلامي في عصره، تولّى الرئاسة العلمية والدينية في كربلاء، خلفَ إنجالاً نهجوا سَبيله القويم هم: العلامة الشيخ حسين المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ، والذي قام مقام والده في إمامة الجماعة وشؤون الفتيا والتدريس بحوزة كربلاء، وبرز بوصفه من أجلاء العلماء والمراجع في عصره، والشيخ علي، والشيخ محمد، والشيخ عبد الله.

ومن هذه الأسرة أيضاً: الشيخ أحمد بن الشيخ حسين بن الشيخ زين العابدين المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ، وكان من أهل العلم والصلاح معظماً لشعائر الدين، والكاتب الإسلامي زين العابدين رهنما بن الشيخ علي بن زين العابدين المازندراني، صاحب كتاب «حياة النبي» فارسي مطبوع.

أسرة البهبهاني:

أسرة علوية عريقة في العلم والفضيلة، تنحدر من سلالة سيدنا الإمام موسى الكاظم عليه السلام، استوطنت مدينة كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري، لمعت وبرزت في ذرّيتها وجوه علمية متميزة، من مشاهير الأعلام فيها: السيد حسين بن السيد إبراهيم بن السيد حسن بن السيد زين العابدين الموسوي البهبهاني الحائري المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ، كان من أجلاء العلماء في كربلاء، يقيم الجماعة في مسجد معروف باسمه عند باب صحن روضة سيدنا العباس عليه السلام، له تصانيف في الفقه والأصول تلفت في بعض الحوادث على العهد التركي بكربلاء، خلّفه نجله السيد إبراهيم من تلامذة المُجدّد الشيرازي السيد الميرزا محمد حسن، ونجله الآخر السيد كاظم من تلامذة العلامة الكبير الميرزا حسين الخليلي، وكان هذا الأخير من أفاضل العلماء والفقهاء

في حوزة كربلاء، يقيم الجماعة في مسجد والده إلى أن تُوفي سنة ١٣٤٥ هـ، خلفه نجله العالم الفاضل السيد مهدي بن السيد كاظم بن السيد حسين البهبهاني، ومن كبار الأعلام في فخذ آخر لهذه الأسرة: السيد أحمد بن سيد محمد باقر بن عناية الله بن محمد بن زين العابدين الموسوي البهبهاني، المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ وكان على جانب كبير من العلم والتقوى، كثير التصانيف، خلفه نجله العالم المفضال السيد محمد رضا بن السيد أحمد الموسوي البهبهاني الحائري، كان فقيهاً مُبرزاً، ومرجعاً للفتيا، وإماماً للجماعة في صحن المشهد الحسيني الشريف، غير أنه هاجر فيما بعد إلى إيران وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٣٨٩ هـ، ولهذه الأسرة أعقاب في إيران منهم: العلامة السيد صدر الدين بن السيد محمد رضا البهبهاني المتوفى سنة ١٤٠٤ هـ، والفاضل الدّين السيد محيي الدين بن محمد رضا البهبهاني.

أسرة الخطيب:

تنتمي لعشيرة «جشعم» النازحة من الحجاز، استوطنت مدينة كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري، برز ونبغ من بين أفرادها العلامة الكبير الشيخ محمد بن الحاج داود بن خليل بن حسين بن نصير، المولود سنة ١٣٠١ هـ والمتوفى في الحائر الشريف يوم ١٧ رجب سنة ١٣٨٠ هـ، كان من أفاضل العلماء والأساتذة الكبار في حوزة كربلاء، وكانت له حوزة درس وبحث عامرة تخرّج منها العديد من الطلاب المنتهين، وكان تلمّذه على الشيخ غلام حسين المرندي، والسيد محمد البحراني، والشيخ جعفر الهر بن الشيخ صادق المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ، له تصانيف خطية، ومكتبة ومدرسة دينية، انتقلت عمادتها بعد وفاته إلى نجله الشيخ عبد الحسين بن محمد الخطيب، وكان يقيم الجماعة في صحن الروضة الحسينية الشريفة إلى ما قبل وفاته بفترة سنتين أو أقل.

أسرة السيبويه:

أسرة علمية جليلة هاجرت من مقاطعة يزد في إيران إلى كربلاء وقطنتها

في القرن الثالث عشر الهجري، اشتهر أفرادها بالعلم والفضيلة، والصلاح والتقوى، والنسك الشديد، برز فيهم علماء وخطباء، وكبير هذه الأسرة هو المولى الشيخ عباس بن رضا بن أحمد الابرند آبادي اليزدي الحائري المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ، وكان من العلماء وأئمة الجماعة الأتقياء في كربلاء، خلفه نجله الشيخ علي أكبر سيبويه المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ ونجله الآخر العالم الفاضل، والفقيه المتبحّر والزاهد الورع، الشيخ محمد علي سيبويه المتوفى سنة ١٣٩١ هـ، ولهذين الأخوين أعقاب هاجروا كربلاء واستوطنوا بلاد إيران منهم: العالم والخطيب الشيخ الميرزا أحمد بن الشيخ علي أكبر سيبويه المتوفى في مشهد سنة ١٤٠١ هـ، والعالم الفاضل الشيخ محمد حسين سيبويه بن الشيخ محمد علي نزيل مدينة مشهد، وهذا الأخير يُعتبر بقيةَ السيف لأسرته نظراً لنشاطه الديني المكثف، ونزوعه لأعمال الخير والبرّ وانشغاله بالدرس والبحث.

أسرة الزعيم الشيرازي:

تنسَبُ إلى العالم الكبير، والفقيه النحرير، والمجاهد الإسلامي العظيم، الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية الكبرىٰ المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ، والذي كان قد هاجر إلى كربلاء في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وقد بقيت أسرتُه الكريمة محتفظةً بطابعها العلمي الديني في عهد نجليه المُبجّلين العلامة الشيخ محمد رضا، الذي أسهم بدور كبير وفاعل جداً في تأجيج نار الثورة العراقية ضدَّ الاحتلال البريطاني، ولقي في سبيل ذلك مرارةَ الاعتقال والطرد والنفي، تُوفي سنة ١٣٧٨ هـ، والعلامة المفضال الشيخ عبد الحسين الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨١ هـ، ولهذه الأسرة أعقاب في إيران.

أسرة السيد الشيرازي:

من الأسر العلمية العلوية التي اشتهرت وبرزت على ساحة العلم والفضيلة في كربلاء خلال ما يربو على قرنٍ واحد، يرجع نسبُها إلى سيدنا

الإمام الحسين عليه السلام، استوطنت كربلاء في مطلع القرن الرابع عشر الهجري فأحيت حركة العلم والدعوة الإسلامية فيها، وهي ترتبط بصلة القرابة والمُصاهرة بأسرة المُجدّد الشيرازي الحاج السيد الميرزا محمد حسن، صاحب فتوى حرمة تدخين التبغ على عهد الملك الإيراني ناصر الدين شاه القاجار والمتوفى سنة ١٣١٢ هـ، وكبيرُ هذه الأسرة هو المرجع الديني السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، وبقيت أسرته موهجة بأنوار العلم، والفضيلة، والتقوى، والصلاح بأنجاله الأربعة وهم: العالم والمرجع الديني الحاج السيد محمد الشيرازي، والكاتب والداعية الإسلامي العلامة المفضال السيد حسن الشيرازي المستشهد سنة ١٤٠٠ هـ، له مؤلفات ومصنفات كثيرة من أهمها كتابه: «الاقتصاد الإسلامي» الذي ترك أثراً نافعاً جداً في وسط الشبيبة والمثقفين، وكتاب «كلمة الله»، وكتاب «كلمة الرسول الأعظم»، وكتاب «كلمة الإمام الحسن» وغيره، والفقيه النابه السيد صادق الشيرازي الذي له بحوث وتأليفات إسلامية ودينية، والبحاثة الإسلامي السيد مُجتبي الشيرازي، الذي يتفرغ بدوره لشؤون التحقيق والتأليف.

أسرة السيد القمي:

أسرة علمية علوية كريمة، اشتهر جُلُ أفرادها بالعلم، والزهد، والصلاح، والتقوىٰ، انتقل كبيرُها آية الله العظمي السيد الحاج آقا حسين القمي من النجف إلى كربلاء في أعقاب وفاة أستاذه الأجل الأخوند الخراساني، فأسهم في إحياء الحركة العلمية والتدريسية في حوزتها الدينية، وتولّى الرئاسة العامة للمسلمين الشيعة بعد وفاة المرجع الديني الأكبر العلامة السيد أبو الحسن الاصفهاني سنة ١٣٦٥ هـ، وتوفي هو سنة ١٣٦٦ هـ، برز في أسرته من بعدِه، نجلُه الأكبر العالم الفقيه السيد الميرزا مهدي القمي المتوفى سنة ١٤٠٧ ، تولى مهمة التدريس والتصدي لشؤون الفتيا في حوزة كربلاء لسنوات طويلة، ونجله الآخر العالم المجتهد الحاج السيد آغا حسن القمي نزيل مشهد، وله نجل آخر هو آية الله الحاج السيد آغا تقي القمي نزيل مدينة قم.

أسرة الأسكوئي الحائري:

رأس هذه الأسرة هو المولى الشيخ محمد باقر بن محمد سليم القراجة داغي الأسكوئي المتوفى بعد سنة ١٢٨٥ هـ، كان من زمرة العلماء والفضلاء الكبار في عصره، ترجمه الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «الكرام البررة»، وممّا قال عنه: أن له آثاراً منها كتابُ «مُعين التجارات» طُبع في سنة ١٢٧١ هـ، وكتاب «مناسك الحج» طُبع في سنة ١٢٨٥ هـ، ورسالة عملية فارسية مخطوطة في أبواب المعاملات إلى الخمس... الخ.

خلفه نجلُه الشيخ الميرزا موسىٰ الأسكوئي الحائري، كان من أفاضل رجال الدين والمُدرّسين في حوزة كربلاء العلمية، اتسم بالزهد، والتقوىٰ، وتهذيب النفس، والسعي لكسب الكمال الروحي، خلفه نجلُه الأكبر الشيخ الميرزا علي الأسكوئي الحائري، الذي اهتم إلى جانب انشغاله بالبحث والتدريس، ببعض المشاريع الخيرية ذات النفع العام، منها حسينية ومكتبة لا تزالان قائمتين في كربلاء على ما يبدو، ثم توجه إلى الكويت فتصدَّر شؤونَ الفتيا والإمامة عند الشيعة فيها، حتى تاريخ وفاته.

ومن هذه الأسرة أيضاً: العلامة الشيخ الميرزا محمد حسن الأسكوئي الحائري المعروف بالاحقاقي، الذي كان بدوره من علماء ومُدرّسي الحوزة العلمية في كربلاء، ثم خلف أخاه الميرزا علي في التصدّي لشؤون الفتيا وأمور الدين للشيعة في الكويت، ولا يزال حتى يومنا هذا قائماً بوظائفه الشرعية على أحسن وجه في هذه البلاد الإسلامية، له مؤلفات دينية وثقافية إسلامية عديدة باللغتين العربية والفارسية.

أسرة الشاهرودي (الكلاموئي):

أسرة علمية استوطنت مدينة كربلاء المقدسة في عهد رئاسة العالم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، مساهماً في تنشيط الحركة العلمية والتدريسية بحوزتها الدينية، وكان ذلك حينما هاجر إليها من النجف عميد هذه الأسرة العالم المجتهد الشيخ علي بن محمد الشاهرودي

(الكلاموئي)، في سنة ١٣٣٦ هـ تلبيةً لرغبة المجاهد الشيرازي في توسيع وتطوير الحوزة العلمية الدينية في كربلاء، ودعم مسيرتها الدراسية بكبار العلماء وفطاحل الفقهاء من أمثاله، ومن بين مشاهير العلماء والفضلاء في هذه الأسرة:

- العالم المحقق والمجتهد الأصولي الشهير الحاج الشيخ محمد بن الشيخ علي الشاهرودي الحائري المتوفى سنة ١٤٠٩ هـ.

- العلّامة الحاج الشيخ أحمد بن الشيخ علي الشاهرودي النجفي الذي كان مُشتغلاً بالتدريس والتصدي لشؤون الفتيا، وإمامة الجماعة في مشهد الرضا بخراسان ثم سكن طهران حيث توفي سنة ١٤٠٩ هـ أيضاً.

- الخطيب الشهير الشيخ مرتضى الشاهرودي الحائري.

ولم يبق أحد من أفراد هذه الأسرة في كربلاء، إذ أنهم رحلوا عنها جميعاً في فترات متعاقبة.

أسرة النخجواني:

أسرة علم وفضيلة وتُقىً، اشتهرت في مدينة كربلاء لفترة نصف قرن تقريباً، وكان رأس هذه الأسرة المولى الشيخ محمد علي النخجواني، الذي برز ولمع اسمه في حوزة النجف الأشرف بوصفه من أجلاء الفقهاء وكبار المجتهدين والمراجع الروحيين بها، هاجر نجله الأكبر العلامة الشيخ محمد حسين النخجواني إلى كربلاء، بعد أن أتم مرحلة متقدمة من تحصيله العلمي وفوزه بمرتبة الاجتهاد في النجف، واشتغل في حوزة كربلاء بالتدريس والتحقيق، والتصدي لشؤون الفتيا، واشتهر به بيتُه في الحائر الحسيني الشريف، وكان على جانب كبير من الزهد والورع والتقوى، تُوفّي في كربلاء بحدود سنة ١٣٨٤ هـ وخلفه نجله الأكبر الشيخ محمود بن الشيخ محمد حسين النخجواني الحائري، الذي اضطر إلى مغادرة كربلاء في سنة ألف وثلاثمائة وتسعين ونيف والقدوم إلى إيران، وهو الآن نزيل مدينة قم المقدسة، ولم يبقَ أحد من أفراد هذه الأسرة في مدينة كربلاء فقد غادروها بصورة مُتعاقبة خلال العقدين الأخيرين.

الفصل الرابع

نخبة من الخطباء والوعاظ في كربلاء

في الحقيقة أن الساحة الدينية في مدينة كربلاء شهدت خطباء ووعاظاً قديرين ومتألقين، ممّن انبروا للتبليغ الديني ونشر الدعوة الإسلامية، وذكر مناقب وفضائل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والقراءة لمصاب الشهيد بكربلاء، وأمضوا سنّي حياتهم متفرغين لهذه الغاية الشريفة، راضين بضنك العيش وتحمّل الصعاب والمتاعب، وقد نذروا أنفسهم لخدمة ثورة الحسين عليه السلام، ومرامي دين جدّه الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى الرغم من أن بعض هؤلاء الخطباء والوعاظ لم يقلوا علماً وفضلاً ومعرفة عن غيرهم من العلماء ورجال الدين، إلّا أن أصحاب التراجم والسير لم ينصفوهم ولم يذكروا تراجم حياتهم عدا القليل منهم.

وإضافةً إلى ذلك فإن الكثيرين من هؤلاء اشتهروا بعلمهم وتقريراتهم الفقهية والأصولية ومؤلفاتهم القيمة قبل اشتهارهم بمواعظهم الدينية وقراءاتهم في مقتل سيدنا الحسين عليه السلام.

ولقد حاولت الحصول على تراجم عدد كبير من خطباء ووعاظ كربلاء لأنقلها هنا، بقصد تكلمة دراستي عن الطابع العلمي الديني لمدينة كربلاء، لكني مع الأسف لم أوفق في ذلك، غير أني أكتفي هنا بسرد تراجم لعدد لا بأس منهم، وذلك في ضوء ما توفّر لي من مصادر ومعلومات، ومن بين مَن

أذكرهم وأترجمهم وعاظ اهتموا بالتبليغ الديني والتثقيف الخلقي الإسلامي، ولم تكن لهم قراءات في مصاب سيدنا الحسين عليه السلام، ومن بينهم أيضاً وعاظ وخطباء لا يزالون في مقتبلِ العمر أو في دور الكهولة.

المولى حسن اليزدي الحائري:

من مشاهير الوعّاظ والعلماء في كربلاء بالقرن الثالث عشر الهجري، كان مُجتهداً وَرِعاً، زاهداً مُوجهاً، لدىٰ العام والخاص، عُرف عنه اهتمامُه بإقامة مجالس العزاء لمصاب سيدنا الإمام الحسين عليه السلام والإكثار من رثائه وإبكاء الناسِ على مظلوميته، وقد أمضىٰ جُلّ سنوات حياته بجوار الحائر الشريف مُبلِّغاً، وواعظاً، ومُعلّماً، صادقَ بإخلاصٍ السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط» ولازمَه لفترةٍ طويلة، تُوفي في كربلاء بحدود عام ١٢٦٤ هـ.

ترجمه صاحبُ «أعيان الشيعة» فقال: المولىٰ حسن بن محمد علي اليزدي الحائري، عالم فاضل مؤلف، كان أرشدَ تلاميذ السيد محمد الطباطبائي المعروف بالمجاهد المُتوفّى (أستاذُه المجاهد) سنة ١٢٤٢ هـ، له من المؤلف: ١ ـ مُهيّج الأحزان ٢ ـ تجويد القرآن ٣ ـ المُغتنم في الفقه، فرغ من طهارته ـ باب الطهارة ـ سنة ١٢٤٢ هـ ٤ ـ إكمال الإصلاح، وهو ترجمة لـ «إصلاح العمل» إلى الفارسية، والأصل تأليف شيخه السيد المجاهد، قال فيه ما معناه: إن «إصلاح العمل» كان من فتاوى السيد الأستاذ (المجاهد)، ولم تكن له رسالة فارسية فأمرني بترجمته إلى الفارسية، فإذا هو رسالة عملية ٥ ـ مصباح طريق الإصلاح، وهو مختصرٌ من «إكمال الإصلاح» لأنه كان كأصله ذا فروع غريبة ومسائل كثيرة فاختصره.

الشيخ محمد حسين القزويني الحائري:

كانت له اليدُ الطولىٰ في الوعظ والخطابة، وكان إلى جانب ذلك مشهوراً بالاجتهاد والفضل وسداد الرأي، له كتاب «نتائج البدائع في شرح

الشـرائع»، وكتـاب «بدائـع الأصول في حُجيّـة الـظن، والاستصحـاب، والاجتهاد، والتقليد»، ورسائل في المنطق، تُوفي في كربلاء سنة ١٢٨١ هـ ودفن بمقبرة ركن الدولة في الصحن الصغير لروضة سيدنا الحسين عليه السلام، وقد عدَّه صاحبُ «أعيان الشيعة» من تلامذة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام»، والسيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب «الرسائل والمكاسب»، وهو نجل علي الطالقاني القزويني.

وقد اشتهر بمواعظه الدينية وخطبه البليغة في تبيان مبادىء الدين وتعليماته والمسائل الشرعية، وقلّما كانت لـه قراءاتٌ في رثـاء الإمام الحسين عليه السلام وذكر مُصابه الجلل.

المُلا آقا الدربندي الحائري:

اشتهر بوصفه مُحباً ومتفانياً لسيدنا الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصلَ صدقُه وإخلاصُه في العزاء لمصابه والبكاء لمظلوميته، أنه عندما كان يقوم وهو جالسٌ على المنبر بذكر مُصاب الحسين، يفقد سيطرتَه على نفسه، فيُلقي بعمامتِه على الأرض ويُمزّق رداءَه، ثم يُغمىٰ عليه من فرط التأثر والحزن للحسين عليه السلام، وفي يوم عاشوراء من كل عام كان يُلطّخ جسمَه ووجهَه بالطين، وينثر الترابَ والتبنَ على رأسه، ويمشي في الأزقة والشوارع على هذه الهيئة، وآيات الحزن والأسىٰ، والتفجّع الشديد بادية عليه بكل وضوح.

وحينما مرض في كربلاء واشتد به المرض إلى حد الموت، أوصىٰ بعضَ العلماء الذين زاروه وهو على فراش المرض: بأن لا يُدفن جثمانُه في أرض كربلاء، وعندما سألوه عن السرّ في ذلك ـ والعجبُ الشديد آخذ بهم، بسبب أن كلَّ مسلم شيعي مؤمن يتمنّىٰ من كل قلبه بأن يُدفن في كربلاء ـ أجابهم بالقول إن أرض كربلاء قطعةٌ من الجنة وأن كل من يُدفن فيها يدخل الجنةَ مُباشرةً يومَ القيامة، وأنا لا أريدُ الدخول إلى الجنة مباشرة، بل أريدُ قبلَ ذلك أنْ أقفَ أولاً في صحراء المحشر لأرىٰ بأم عيني كيفَ يُساق ويُجرّ قتلة الإمام

الحسين عليه السلام إلى النار والجحيم، وبذلك ينشرح صدري ويطمئن قلبي وترتاح نفسي.

توفي سنة ١٢٨٦ هـ ودفن جثمانُه في حجرةٍ بصحن الروضة الحسينية الشريفة (الصحن الصغير مُتصلاً بقبر السيد محمد مهدي نجل السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض»).

وذكره صاحبُ «أعيان الشيعة» بقوله: الملاّ آقا بن عابدين بن رمضان علي بن زاهد الشيرواني الدربندي، المعروف بالفاضل الدربندي الحائري، فقيهٌ أصولي، مُتكلم مُحقق، مُدقق، جامع للمعقول والمنقول، كثير الجدل معروفٌ بذلك... وقال عنه أيضاً: خرجَ من دربند (قرية في ضواحي طهران) إلى كربلاء لطلب العلم، وناصبَ البابية أيامَ ظهورهم في كربلاء، وحاولوا اغتيالَه في داره، فدافعَ عن نفسِه إلى أن هرب، لكنه جُرح جراحاً بالغةً في وجهه، ثم خرج إلى طهران وأقام فيها مُتقدَّماً عند ناصر الدين شاه وعند الناس كافةً، وكان يعظ في طهران، و يَرقىٰ المنبرَ في عاشوراء، ويذكر خبرَ مَقتل الحسين عليه السلام ويبكي ويلطم على رأسه ويُظهر أشدَّ الجزع، ويبكي الناسُ لبكائه.

درسَ على شريف العلماء المازندراني في كربلاء، ومن مؤلفاته: ١ ـ الخزائن في الأصول ٢ ـ عناوين الأدلة في الأصول أيضاً ٣ ـ خزائن الأحكام وهو شرحٌ لمنظومة بحر العلوم ٤ ـ نواميس القواعد يشتمل على دراية الحديث والرجال وطبقات الرُواة ٥ ـ كتاب في الدراية ٦ ـ جوهر الصناعة في الأسطرلاب ٧ ـ الفن الأعلىٰ في الاعتقادات ٨ ـ فن التمرينات ٩ ـ أكسيرُ العبادات في أسرار الشهادات، المشهور بأسرار الشهادة في واقعة الطف ١٠ ـ السعادة الناصرية، فارسي ألّفه لناصر الدين شاه ١١ ـ جواهر الإيقان، كتابُ مقتلٍ فارسي.

الخطيب الشيخ محسن بن الشيخ محمد أبي الحب الحائري:

كان فاضلاً، أديباً، بحاثة، ثقة، جليلاً، ومن عيون الحفاظ المشهورين

والخطباء البارعين، له القوة الواسعة في الرثاء، والوعظ والتاريخ وكان راثياً لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشاعراً مُجيداً، وأديباً بليغاً، ولد سنة ١٢٣٥ هـ ونشأ بعناية أبيه وتربيته وتحدّر من أسرة تعرف بآل أبي الحب وتمت بنسبها إلى قبيلة خثعم، وتدرّج على نظم الشعر، ومحافل الأدب، وندوات العلم، لا سيما مجالس الرثاء لأبي الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، نظم الشعر وأكثر من النوح والبكاء على الحسين، وصوّر بطولة وإباء شهداء الطف تصويراً شعرياً، لا يزال الأدباء والشعراء يستعيدونه ويتذوقونه، كتب عنه الشيخ السماوي في «الطليعة» فقال: محسن بن محمد الحويزي الحائري المعروف بأبي الحب كان خطيباً ذاكراً بليغاً متصرفاً في فنون الكلام، إذا ارتقى الأعواد تنقل في المناسبات، وله ديوان كبير مخطوط كله في الأئمة، وقال عنه صاحب «معارف الرجال»: حضرت مجلس قراءته فلم أرَ أفصح منه لساناً، ولا أبلغ منه أدباً وشعراً... إلخ، توفي ليلة الاثنين ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٠٥ هـ، ودفن في الروضة الحسينية المقدسة إلى جوار مرقد السيد إبراهيم المجاب.

قال في الحسين:

نـار تـنـوّر مـقـلـتـي فـسـالا ... فـغـطى السهل مـوجه والجبـالا
وطفت فـوقـه سفينـة وجـدي ... تحمـل الهم والأسى أشكـالا
عصفت في شـراعها وهـو نـار ... عـاصفات الضنـا صباً وشمـالا
فهي تجـري بمزبـد غير ساج ... تـرسل الحـزن والأسى إرسـالا
فسمعت الضوضاء في كل فج ... كـل لـحن يُـهـيّـج الأعـوالا
قلت ماذا عرى ـ أميم ـ فقالت ... جـاء عاشـور واستهـل الهـلالا
قلت مـاذا عليّ فيـه فقـالت ... ويـك جـدّد لحـزنه سـربـالا
لا أرى كـربلاء يسكنهـا اليـوم ... سـوى من يرى السـرور محالا
سميت كـربـلاء كي لا يـروم ... الكرب منها إلى سواها ارتحالا
فـاتخـذهـا للحـزن داراً وإلّا ... فـارتحل لا كفيت داء عضـالا
من عذيري من معشـر اتخذوا ... اللهـو شعـاراً ولقبـوه كمـالا
سمعـوا ناعي الحسين فقـامـوا ... مثـل من للصلوة قامـوا كسـالا

أيها الحزن لا عدمتك زدني حرقة في مصابه واشتعالا
لست ممّن تراه يوماً جزوعاً تشتكي عينه البكاء ملالا
أنا والله لو طحنتُ عظامي واتخذت العمىٰ لعيني اكتحالا
ما كفاني وليس إلّا شفائي هزة تجفل العدىٰ إجفالا

الواعظ السيد حسين اليزدي الحائري:

امتهن الوعظَ والخطابةَ وبرعَ فيهما بكربلاء، واشتهر بعلمه وفضله ومُصنفاته، ترجمه العلامةُ العاملي في كتابه «أعيان الشيعة» فقال: السيد حسين بن مرتضىٰ الحسني الحُسيني اليزدي الطباطبائي الحائري الواعظ، تُوفي في ١٤ المحرم سنة ١٣٠٧هـ في كربلاء، عالم فاضل واعظ، له ١ ـ كتاب «الرق المنشور ولوامع الظهور في تفسير آية النور»، مطبوع فرغَ منه سنة ١٢٩١ ٢ ـ «أخبار الأوائل» مطبوع، وفي الذريعة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة): معه فهرستُ تصانيفه، وهو يدّل على أن له عدة تصانيف، ولم يتيسر لنا الاطلاع على فهرسها ٣ ـ تنبيه الخواطر.

* * *

الواعظ الشيخ عبد الرحيم الترك:

خطيب واعظ من أهل المعرفة من علماء كربلاء في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، كان يعظ الناس ويُرشدهم إلى مسائل وأحكام دينهم، ولذا كان يُعرف بـ«المسألة گو» ، أي الشخص الذي يُبيّن ويشرح المسائل الشرعية، وكان المؤمنون والأخيار من الناس يلتفون حوله ويُصغون لمواعظه وقراءاته في مسائل وأحكام الدين، وكان صادقاً في قوله، وذكيّاً في فكره، ومخضرماً في تعبيراته، وكان يُقيم الجماعة في المسجد شتاءاً وفي صحن الروضة الحسينية الشريفة صيفاً، ثم يرقىٰ المنبر بعد الصلاة للوعظ والخطابة.

تُوفّي في نيّف وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة، وقام مقامة ولدُه الشيخ

حسن الترك، فنهجَ دربَ والده، إلّا أن حياتَه لم تطُلْ بل تُوفّي شاباً في سنة ١٣٣٢هـ.

الشيخ محمد علي الحائري الشهير بالهر:

وُلد بكربلاء سنة ١٢٤٨هـ، وتُوفي فيها سنة ١٣٢٩هـ، كان واعظاً ومُرشداً إسلامياً قديراً، درس على أبيه الشيخ قاسم بن محمد على الهر وعمّه الشيخ صادق الهر، أمتهن الخطابة والوعظ وبدأهما في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وكان ذا صوت جهوري أخّاذ، وإلى جانب الخطابة والرثاء للحسين، تألق في الشعر والأدب، فله قصائد في شتىٰ الأغراض، وبالأخص مديح بعض الأسر العلمية والاجتماعية المعروفة بكربلاء في حينه كالسادة آل الرشدي وآل كمونة، ذاع صيتُه إلى أبعدَ من مدينته كربلاء، فانهالت عليه الدعواتُ للقيام بالوعظ، وذكر مُصاب الحسين عليه السلام في بعض المدن الجنوبية في العراق وإيران.

وهو ينتمي لبيت علم وأدب، تخرج منه عددٌ من أهلِ الفضلِ والمعرفة، فجدُّه الأكبر الشيخ احمد بن عيسىٰ الهر الحائري كان عالماً فاضلاً، وهو أولُ من رحلَ من أسرته إلى كربلاء واستوطنها في أوائل القرن الثاني عشر الهجري.

* * *

الخطيب الشيخ مهدي الخاموش:

ولد بكربلاء حدود سنة ١٢٦٠هـ، وتوفي بها سنة ١٣٣٢هـ، برعَ في الخطابة واشتهر بحسن التعبير وجميل الأسلوب، وإلى جانب براعته ومقدرته في الخطابة فقد كان شاعراً مجيداً، وأكثر شعره في مدح ورثاء أهل البيت (عليهم السلام)، وأعظم حسنة له أن تخرّج على يده السيد جواد الهندي خطيب كربلاء الذائع الصيت، عمَّر حتى تجاوز السبعين من العمر، وشهرته «الخاموش» هي كلمة فارسية تعنى الصمت وخفوت الصوت، ومن قصائده

المشهورة قصيدته في الإمام الحسين عليه السلام، وفي آخرها يصف ندبة عيال الحسين على مَصارع القتلىٰ:

تناديه مذ الفته في الـطف عاريـاً ... بأهلي مرضوض القرى والجـوانب
فمن لليتــامىٰ يــا بن امٍّ وللنســا ... إذا طـوِّحت فيها حـداة الـركـائب

الخطيب السيد جواد الهندي:

السيد جواد بن السيد محمد علي الحسيني الاصفهاني الحائري الشهير بالهندي، ولد سنة ١٢٧٠هـ، وتوفي بعد مجيئه من الحج في كربلاء سنة ١٣٣٣هـ ودفن فيها، كان من مشاهير الخطباء طلق اللسان أديباً شاعـراً، نشأ وترعرع في ظلّ أسـرة علويـة تنتسب لـلإمـام الحسين بـن عـلي بن أبي طـالب عليه السلام، بدأ تحصيله العلمي بـدراسة الفقـه على العـالم الكبيـر الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري وغيره من علماء عصره، وحينما وجد في نفسه الكفاءة في الخطابة تخصص بها وأعانه صوته الجهوري وجودة الألقاء، وقد حاز قصب السبق بطول الباع وسعة الاطلاع في التفسير، والحديث، والأدب، واللغة، والأخلاق، والتاريخ، إلى غير ذلك، وسبب اشتهاره بالهندي لسمرة في لونه، أو لأنه ينحدر من سلالة كانت تسكن الهند وكان يجيد الخطابة باللغتين العربية والفارسية، ذكره السيد محسن أمين العاملي في «أعيـان الشيعة» وقال: رأيته في كربلاء وحضرت مجالسه وجاء إلى دمشق ونحن فيها في طريقه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وأشاد به الخطيب المرحوم الشيخ محمد علي قسام ـ وهو استاذ فن الخطابة ـ قال: كانت له المقدرة التامة على جلب القلوب وإثارة العواطف، وانتباه السامعين سيما إذا تحدث عن فاجعة كربلاء، فلا يكاد يملك السامع دمعته، وكان يُصوّر الفاجعة أمام السامع حتى كأنه يراها رأي العين، وقال عنه الخطيب اليعقوبي: وما رأيت ولا سمعت أحداً من الخطباء أملك منه، لعنان الفنون المنبرية على كثرة ما رأيت منهم وسمعت، وتوفي وعمره يربو على الستين بقليل وأعقب ولداً هـو السيد كاظم بن السيد جواد المتوفي سنة ١٣٤٩هـ وكان من خطباء المنبر الحسيني المعروفين في كربلاء.

وللسيد جواد الهندي ديوان شعر يحوي لجميع أنواع الشعر وخيرما فيه رثاؤه لأهل البيت، ومن أشعاره في الحسين الشهيد:

رحلتم وما بيننا موعد ... وأثركم قلبي المكمد
وبت بداري غريب الديار ... فلا مونس لي ولا مسعد
وفارق طرفي طيب الرقاد ... وفي سهده يشهد المرقد
اعلله نظرة في النجوم ... وشهب النجوم له تشهد
أقوم اشتياقاً لكم تارة ... وأخرىٰ على بعدكم اقعد
بكفي اكفكف دمعي الغزير ... فيرسله طرفي الارمد
يطارح بالنوح ورق الحمام ... بتذكاركم قلبي المنشد
وما كان ينشد من قبلكم ... فقيداً فلا والذي يعبد
سوى من بقلبي له مضجع ... ومن بالطفوف له مشهد
ومن رزؤه ملأ الخافقين ... وإن نفد الدهر لا ينفد
فمن يسأل الطف عن حاله ... يقص عليه ولا يجحد
بان الحسين وفتيانه ... ظمايا باكنافه استشهد
أبا حسن يا قوام الوجود ... ويا من به الرسل قد سددوا
دريت وأنت نزيل الغرى ... وفوق السما قطبها الامجد
بان بنيك برغم العلى ... على خطة الخسف قد بددّوا
مضوا بشبا ماضيات السيوف ... وما مُدَّ للذل منهم يد

وله أيضاً مرثية شعرية مطولة منها هذه الأبيات:

ومصاب أبكي الأنام حقيق ... فيه شق الأكباد لا الابراد
وقتيل بالسيف ملقىً ثلاثاً ... عافر الجسم في الربىٰ والوهاد
لست أنساه إذ أتته جنود ... قد دعاها لحربه ابن زياد
فغدا يحصد الرؤوس ويؤتي ... سيفه حقه بيوم حصاد
كاد أن يهلك البرية لولا ... إن دعاه الاله في خير نادي
بأبي ثاوياً طريحاً جريحاً ... فوق اشلائه تجول العوادي

وبأهلي من قد غدا رأسه للشامِ يهدي على رؤوس الصعاد
ونساء تطارح الورق نوحاً فوق عجف النياق حسرىٰ بوادي

* * *

الشيخ نظر علي الحائري:

كان من الواعظين والخطباء المعروفين في كربلاء بالنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وكان جُلّ قراءاته في مصاب سيدنا الحسين عليه السلام باللغة الفارسية، وإلى جانب امتهانه الوعظ والخطابة، انشغل بالتأليف والتصنيف، فله عدة كتب مخطوطة ومطبوعة.

تطرق لترجمته صاحب «أعيان الشيعة» فذكره بقوله: الشيخ نظر علي ابن الحاج اسماعيل الكرماني الحائري، تُوفّي بكربلاء سنة ١٣٤٨هـ، له كتاب «جامع الشتات» شبه الكشكول، وله «جليس الواعظين وأنيس الذاكرين في قصص الأنبياء والمرسلين» ـ فارسي ـ، وله «جمال الأمّة في فضل الصلاة على النبي والأئمة» ـ فارسي ـ أيضاً.

* * *

الخطيب السيد هاشم المعروف بـ (القاري):

وُلد في كربلاء سنة ١٢٨٥ هـ، قرأ مقدمات العلوم الدينية لدىٰ والده «السيد محمد بن السيد هاشم آل قفطون الموسوي»، وأخذ الفقه والتفسير والحديث من أساتذة وشيوخ الحوزة العلمية بالحائر الشريف، مثلما تلقّىٰ فنون الخطابة وأسلوب الرثاء لمصاب الحسين عليه السلام، من خطيب كربلاء الشهير السيد جواد الهندي المتوفىٰ سنة ١٣٣٣ هـ، ولازمه لفترةٍ من الوقت.

وبعد وفاة هذا الأخير «السيد جواد الهندي» سار على نهجه وتولى إدارةَ مجالسه لفترةٍ طويلة حتى برز بوصفه خطيباً، ورثائيّاً مخضرماً، احتلّ مكانةً مرموقة في الأوساط الدينية والاجتماعية.

تُوفّي سنة ١٣٥٠ هـ وأعقبَ ولدين أمتهنا مثلَه الخطابةَ، وهما السيد

كاظم والسيد محمد، وقد عرف بيته بـ «القصير»، وهناك في كربلاء بيت آخر مشهور يُعرف ببيت الطويل.

الخطيب السيد حسن الاسترابادي:

كان عالماً، فاضلاً، بليغاً في الخطابة والوعظ، وخبيراً مخضرماً في ذكر مُصاب الحسين عليه السلام، وكان صاحب قريحة وَقّادة في النظم والشعر، وهو حفيدُ السيد مصطفى الاسترابادي، الجد الأكبر للسادة الاسترابادين في كربلاء، ونجل السيد علي الاسترابادي.

وُلدَ بكربلاء سنة ١٢٨٣ هـ وتوفي فيها سنة ١٣٦٦ هـ، وقد أرّخ وفاتَه الخطيبُ السيد علي بن الحسين الهاشمي فقال شعراً بما يلي:

محافلُ الطف وأعوادُها   تنعىٰ خطيباً كان فردَ الزمنِ
وتنشد الأعلام تاريخه   ـ بيومه نذكر فقدَ الحسن ـ

وأعقب الخطيب السيد حسن الاسترابادي ثلاثة أبناء، اختار اثنان منهم سلوك درب الأب، فامتهنا الخطابة، والوعظ، واشتهرا بكربلاء كذاكرين لمصاب الحسين عليه السلام، وهما السيد محمد علي المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ، وكان ذكياً فطناً، قوي الحافظة، فصيحاً وبليغاً في الخطابة، والسيد محمد مهدي وكان بدوره خطيباً مُبرزاً واسع العلم عالي الهمة.

الخطيب الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن أبو الحب:

خطيب مفوّه بليغ جداً، ذاع صيته في العراق وخارجه، ونال شهرة واسعة جداً واحتضنته مدينة كربلاء، واعتبرته خطيبها الأول وعُرف بقصائده الحسينية، ولد في الحائر الشريف سنة ١٣٠٥ هـ، وهي السنة التي مات فيها جدّه الخطيب والشاعر الشيخ محسن بن الحاج محمد أبو الحب، ونشأ بتوجيه والده ودرس المقدمات وتخصص بالخطابة حتى أصبح خطيباً مخضرماً يشار له بالبنان، وكانت له مواقف أدبية وسياسية، وطبع له ديوان بعد وفاته؛ والديوان يضم طائفة كبيرة من النتف والقصائد في أغراض شتى قد قالها في

مناسبات مختلفة، وكان نشر هذا الديوان بسعي وتحقيق الأديب والمؤرخ الكربلائي المعروف، السيد سلمان هادي الطعمة، توفي فجأة صباح اليوم الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٦٩ هـ، ودفن في مقبرة خاصة له في روضة أبي الفضل العباس عليه السلام، وأقيم له حفل تأبيني في الصحن الشريف يوم أربعينه ساهم فيه ثلة من الأدباء ورجال الفكر.

من قصائده الحسينية:

سبط النبي أبو الأئمة ... مَن الخلائق جاء رحمه
هذا الحسين ومن بساق ... العرش خَطّ الله أسمَه
وبقلبِ كلّ مُوحدٍ ... قد صوّرَ الرحمنُ رسمَه
هذا سليل محمد ... لبني الولا كهف وعصمه
هذا ابن بنت المصطفى ... مولى له شأن وحرمه
من أهل بيت زانهم ... كرم ومعروف وحشمه
في شهر شعبان علينا ... الخيرَ خالقُنا اتّمسَه
وُلِدَ الحسينُ ونُوره ... مُذْ شعَّ أذهبَ كلَّ ظُلمه
جبريل هنّأ جدَّه ... وأباه والزهراءُ أمَّه
كان النبي إذا رَآه ... إليه أدناه وضمَّه
غذَّاه من أبهامه ... لَبَناً وقبَّله وشمَّه
فيه تبرّك فطرس ... وبه مَحا الرحمنُ جُرمَه
وكذاك دردائيل أعتقـ ... ـه وأذهب عنه إثمَه
وله أجل مناقب ... وفضائل في الدهر جمّة
كم قد أفاضَ على الورىٰ ... من جُوده فضلاً ونعمة
وإذا أتاه لاجىء ... يوماً كفاه ما أهمَّه
وله ضريح طالما ... تتعاهد الزوارُ لَثمه
قد شع نورُ جبينه ... فجلىٰ الليالي المدلهمه
رام العدىٰ أطفاءه ... والله شاءَ بأن يُتمَّه
بشراكم بولادة الســ ... ـبط الحسين أبي الأئمة

لهفي عليه لقد غدىٰ جثمانُه للبيض طُعمه
ما راقبوا لمحمد في آله إلّا وذمه

ومن شعره في رثاء الحسين عليه السلام أيضاً:

لاقىٰ الصلاة بأرض الطف مُنفرداً وما له من معين وولي
أصحابه جاهدوا عنه وما نكلوا حتى قضوا بين منحور ومنجدل
والله منهم شرىٰ قدماً نفوسهم فقدّموها له طوعاً بلا مهل
عُبّاد ليلٍ فهم لا يهجعون به فمن مُصلٍ ومن داعٍ ومنتقل
أماجدُ كان يوم الحرب عيدهم والموتُ عندَهم أحلى من العسل
شدّوا على زُمر الأعداء كأنهم أسدٌ تشدّ على جمعٍ من الهمل

الخطيب السيد عبد الرزاق بن السيد كاظم آل زيني:

كان عالماً فاضلاً، اشتهر أمره بالخطابة والرثاء لمصاب سيدنا الحسين عليه السلام، وبرز بوصفه أحد خطباء المنبر الحسيني المعروفين في العراق.

ترجمه الشيخ حيدر صالح المرجاني في كتابه «خطباء المنبر الحسيني» وأطرىٰ بشخصيته وضلوعه في فن الخطابة والقراءة، لمصاب الشهيد بكربلاء.

ينتمي لأسرة أدبية وعلمية معروفة في كربلاء، كان رأسها العالم الفاضل السيد زين الدين بن السيد علي بن السيد سيف الدين، من سلالة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، والذي اختار السكن في الحائر الشريف في أواخر القرن الثاني عشر الهجري. وتوفي في كربلاء سنة ١٣٧٣ هـ.

الخطيب الشاعر السيد محمد صالح القزويني:

هو نجل العالم الشاعر، السيد محمد مهدي بن السيد محمد طاهر بن السيد محمد مهدي بن السيد باقر الموسوي القزويني، وهذا الأخير، وأعني به السيد باقر هو والد السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط».

كان خطيباً ذاكراً لمصاب الشهيد في كربلاء، اشتهر بعلمه وقلمه وخطبه في الأوساط الدينية والعلمية والأدبية بكربلاء في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ينتمي لأسرة القزويني المعروفة بعلم وفضل أفرادها جيلاً بعد جيل، أدركتُه حينما كان في ذُروة نشاطه الأدبي والخطابي، فوجدتُ فيه رجلَ الدين المُهذب الخلوق الذي يُثير احترامَ الآخرين له، وكان ذا وجه بشوش ونفسيةٍ أريحية مُتفتحة.

نهضَ للردّ على المُتشككين والشامتين برجال الدين واشتهر بكتابه المعروف «الموعظة الحسنة»، والذي ردَّ فيه على ما جَاءَ في كتاب الدكتور علي الوردي الكاتب الاجتماعي العراقي المعروف والمُسمّىٰ بـ «وعاظ السلاطين»، وقد اعترف الدكتور علي الوردي نفسُه، بأن ردَّ السيد محمد صالح القزويني هو أحسنُ ردٍّ تلقّاه على كتابه الذي هاجمَ فيه على رجال الدين وشَكّكَ في مصداقيتهم والتزامهم الديني السليم، كونَ أن السيد القزويني جَادَلَه بالتي هي الحُسنىٰ وبالمنطق الرصين والعقل السليم، بعيداً عن التشنج الكلامي الغاضب الذي غالباً ما تتحكم فيه المشاعرُ دونَ العقل.

تُوفي في كربلاء سنة ١٣٧٥ هـ، وخلفَ أنجالاً سلكوا دربَ والدهم الجليل.

الخطيب الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري:

اشتهر بوصفه شيخ الخطباء الحسينيين في كربلاء، لكثرة مؤلفاته وقراءاته في رثاء الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وشروح حياتهم، والتي أصبحت فيما بعد مصادر قيمة لسائر الخطباء والذاكرين لمصاب الحسين عليه السلام.

وُلد في كربلاء سنة ١٢٩٣ هـ، ونشأ وترعرع في بيت علم وفضل وزهد وتقوىٰ، فهو حفيدُ المولىٰ الشيخ أبي الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادي الهزارجريبي المازندراني، من كبار علماء الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري، والذي كان قد اختارَ السكنَ في كربلاء بالنصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وتُوفي فيها سنةَ ١٣٠٦ هـ.

درسَ الفقهَ والأصول على والده المولىٰ الشيخ عبد الهادي المازندراني الحائري، المُتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ودرسَ أيضاً على المولىٰ الشيخ الميرزا علي نقي البرغاني الحائري المُتوفىٰ سنة ١٣٢٠ هـ، ثم امتهن الخطابةَ وبرزَ فيها حتى أصبح من أكابر الخطباء الحُسينيين في العراق، وكان يَرقىٰ المنبرَ إلى آخر أيام حياته، وكان مُتفنناً وخبيراً في ذكر مُصاب الحسين عليه السلام، الأمر الذي جعلَ منه قدوةً لسائر الذاكرين.

له مؤلفات عديدة مطبوعة منها: «شجرة طوبىٰ» في مُجلّدين يُعالج فيهما أحوالَ بعض الصحابة والتابعين وبعض الملوك، وكذا أحوال النبي وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام وبعض المواعظ والنصائح الخُلقية، و «فوائد الروحانية وعوائد الرحمانية» في ثلاثة مُجلّدات، و «الكوكب الدُرّي» في ثلاثة مجلدات في أحوال النبي وفاطمة وعلي، و «معالي السبطين في أحوال السيدين الإمامين الحسن والحسين»، و «ونور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار».

ومن آثاره الخيرية الباقية في مدينة كربلاء، حُسينية كبيرة تقع في محلة المخيم، تشتمل على مدرسةٍ دينية، ومكتبة، ومُصلى، ومقبرة دُفن بها سنة ١٣٨٤ هـ.

الخطيب الشهير الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي:

برز وتألق نجمُه في الأوساط الدينية والمحافل والمجالس الحسينية بكربلاء، خاصةً خلال الجيل الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، وذلك بوصفه خطيباً بليغاً، وفصيحاً، ومُجلّياً للغاية في فن الخطابة والقراءة لمصاب الشهيد بكربلاء، أخذ فنون الخطابة من الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن أبي الحب الحائري المتوفى سنة ١٣٦٩ هـ، ولازمه فترة من الوقت مُستفيداً من تجاربه وقدراته الخطابية الهائلة، ثم استقل في المنبر الحسيني وبدأ يشتهر ويعلو شأنه، وكثرت مجالُسـه بشكل غيـر عادي، حتى أصبـحَ الخطيبَ الكربلائي الأكثر شهرة والأوفر حظاً وأصبح له تلامذة وأصحاب ومعجبون

كثيرون يلازمونه في مجالسه الحسينية الكثيرة، وكانت مجالسه هذه مكتظة بالمستمعين أكثر من غيره.

ويقول بعض الخطباء الذين يعرفونه عن كثب: إن ميزته الرئيسية تكمن بالدرجة الأولىٰ في بلاغته وفصاحته ومقدرته العجيبة، في تطبيق خطابته مع الجو السائد في مجالسه وحالة مستمعيه من أي فئة، أو طبقة، أو انتماء كانوا، ولذلك كانت خطاباته جاذبة ومُلفتةً لانتباه مُستمعيه، دون أن يدعهم يدخل الملل والضجر في نفوسهم، إضافة إلى مقدرته في معالجة أي موضوع يختاره لخطابته بتدرّجٍ سليم، ومنطقي، وموزون، من البداية حتى النهاية، أي أنه يدخل في صلب الموضوع ويخرج منه بخط مستقيم دون التواءات أو انشعابات تُبعده عن موضوع الخطابة، ممّا يدل على مقدرته الكلامية ورصانة أسلوبه المنطقي، كما أن له مقدرة فائقة في إبكاء مستمعيه لمصاب الحسين عليه السلام خاصة، وأن له صوتاً جهورياً حزيناً، وهو الآن في الثمانينات من عمره، وأصبح خافت الذكر لا يُعرف الكثيرُ عنه في الوقت الحاضر.

الخطيب والعالم الفاضل السيد محمد كاظم القزويني:

ولد في كربلاء سنة ١٣٤٨ هـ ونشأ في بيت علم وفضيلة، فهو نجل العالم السيد محمد إبراهيم، وحفيد المرجع الديني السيد هاشم القزويني المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ، درس مقدمات العلوم الدينية في حوزة كربلاء، وأخذ الفقه والأصول من مشايخها وكبار مدرّسيها وامتهن الخطابة والوعظ في سنّ الشباب، فشرع بأسفاره إلى خارج العراق من أجل التبليغ الديني، وذكر مناقب وفضائل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والقراءة لمصابهم الجلل، فقد سافر لمرات إلى بلاد الهند، وباكستان، ومصر، والمغرب الأقصىٰ، وتايلند، واستراليا، وكان يُدرّس كتب السطح في مدرسة الهندي أولاً، ثم في مدرسة ابن فهد الحلي بكربلاء، وتولىٰ الأشراف على مكتب رابطة النشر الإسلامي فيها، واهتم كذلك بالتأليف والتصنيف، وله آثار مطبوعة منها: كتاب «شرح نهج البلاغة» في ثلاثة مجلدات، و«واقعة الطف» في كُتيب صغير يتضمن

رواية يوم عاشوراء ومصاب الحسين فيه، و«الإمام علي من المهد إلى اللحد»، و«فاطمة من المهد إلى اللحد»، و«الإمام الجواد من المهد إلى اللحد»، و«الإمام الهادي من المهد إلى اللحد»، و«المهدي من المهد إلى الظهور»، صاهر العالم والمرجع الكبير السيد الميرزا مهدي الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ على ابنته، وله أنجال يسلكون دربه الروحي والديني، وهو الآن نزيل مدينة قم المقدسة، حيث يتفرغ للتأليف ومواصلة تدوين شروح حياة باقي الأئمة الاطهار (عليهم السلام) وارتقاء منبر الوعظ والخطابة بين فترة وأخرىٰ، وقبل أن يرحل عن كربلاء قادماً إلى إيران تصدّى لإمامة الجماعة في الصحن الحسيني الشريف نائباً لسماحة آية الله العظمى السيّد محمد الشيرازي «دام ظله» لفترةٍ من الوقت.

•

الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي:

كان خطيباً بارعاً، وذاكراً رثائياً، لمصاب سيدنا الحسين عليه السلام، اشتهرت قراءاته في يوم عاشوراء، وعرفت في حينه بقراءة المقتل، وكان مجلسه أعظم مجلس يعقد لعزاء شهيد كربلاء في يوم عاشوراء من كل عام، وكان يقرأ سفر المقتل بصوته الحزين، ولحنه النغمي الجميل، ويسرد واقعة عاشوراء المفجعة متدرجاً من أولها إلى آخرها، وقد تمَّ تسجيل هذه القراءة صوتياً وتبث من بعض الإذاعات الإسلامية في أيام شهري محرم وصفر من كل عام حتى يومنا هذا.

كان له أسلوبه المتميز في رثاء الإمام الحسين عليه السلام قلّده فيه الكثير من خطباء كربلاء الشبان الذين برزوا واشتهروا فيما بعد، وإلى جانب امتهانه الخطابة واعتلاء المنبر الحسيني كان عالماً فاضلاً، إذ كان يدرّس العلوم الدينية في مدرسة «الميرزا كريم الشيرازي»، وكان من أصحاب المرجع الكبير السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي، ولازم بعده نجله آية الله السيد محمد الشيرازي، كان خلوقاً عفيفاً، صافي الطوية، وقف حياته ونذر نفسه لخدمة سيدنا الحسين والتبليغ لمظلوميته، توفي سنة ١٣٩٤ هـ ودفن بالحائر

الحسيني الشريف، ولم يكن قد أنهىٰ الستينيات من عمره.

ترك كتاباً عن مقتل الحسين، وفيه الرواية الكاملة عن أحداث يوم عاشوراء من البداية حتى النهاية المُفجعة بقتل الحسين وأصحابه وذويه (عليهم السلام).

وكان إلى جانب فضله وبراعته في الخطابة، شاعراً مطبوعاً، وقد نقل لي أحدُ تلامذته الشبان وهو الشيخ علي حيدر نماذجَ من أشعاره، فمن شعره في مديح الإمام الصادق عليه السلام قوله:

لأبي الكاظم الإمام أيادٍ ... سابغات تعمُّ كلَّ البرية
أظهر الله فيه شرعةَ طَه ... بعد إخفاءِها فعادت بَهيّة
رُويت عنه للأنام علومُ ... هي كانت من قبلَ ذاكَ خَفيّة
محفظاً تلك العلوم ومن ذا ... قد عُرفنا بالفرقة الجعفرية

ومن شعره في هيئةٍ دينية تشكلت في مدينة كربلاء، باسم «الهيئة المُحسنية»:

يا مُحسِناً لو أمهلته يدُ الشقا ... زمناً لعُيّنَ ثالثَ الأسباط
لك هيئةٌ بالمُحسنية سُميت ... قامت بها فئةٌ من الأوساط

الخطيب الشهير السيد مرتضى القزويني الحائري:

هو نجل العلامة السيد محمد صادق بن السيد محمد رضا بن السيد هاشم القزويني الموسوي، وُلد في كربلاء المُقدّسة سنة ١٣٥١ هـ ونشأ في أُسرة دينية مُلتزِمة، وبعد اكماله الدراسة الثانوية أهتمَّ بتحصيل العلوم الدينية في حوزة كربلاء العلمية فقرأ المُقدمات على المرحوم الشيخ جعفر الرشتي ودرسَ الفقه لدى العلامة الشيخ محمد الخطيب وأصول الفقه لدى العلامة المُحقّق السيد محمد حسن القزويني المعروف بـ«آغامير» والفقيه المُدقق الشيخ يوسف الخراساني وحضر أبحاث العالم الأصولي الكبير المرحوم السيد محمد هادي الميلاني في خارج أصول الفقه وحصلَ منه على إجازةٍ في

الرواية مثلما أجازه في الرواية العالم الشهير السيد عبد الحسين شرف الدين وكذا النسابة المعروف الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب موسوعة «الذريعة»، كما حضر أبحاث الفقه والأصول وعلم الكلام لعلماء كبار في حوزة كربلاء أمثال: المرحوم الشيخ محمد رضا الاصفهاني والسيد محمد الشيرازي والشيخ محمد حسين المازندراني، سافر لمعظم البلدان الإسلامية وبعض الدول الأوروبية وامريكا مُبلِّغاً ومرشداً إسلامياً، وكانت له نشاطاتٌ ثقافية إسلامية في كربلاء مثل أشرافه على مدرسة الإمام الصادق الأهلية وإسهامه في إصدار مجلات «صوتُ المُبلّغين» و«أجوبةُ المسائل الدينية» و«الآداب والأخلاق» وغيرها، وله مؤلفات من أهمها: «إلى الشباب» - «الزواج والأسرة» - «المهدي المنتظر» - «أعلام الشيعة»، هاجر إلى الكويت سنة ١٣٩١ هـ حيثُ أشتغل بالتدريس والخطابة وإمامة الجماعة، وبعد تسع سنوات من إقامتهِ في هذه البلاد الإسلامية هاجر إلى إيران حيث تصدّى لشؤون دينية وقضائية إسلامية، وهو لا يزال حتى يومنا هذا ناشطاً في الخطابة والوعظ والتبليغ الإسلامي.

الخطيب السيد أحمد الخاتمي:

هاجر إلى كربلاء من مشهد الرضا أيام زعامة آية الله العظمى السيد حسين القمي، والتزم صحبة هذا العالم الجليل، وبدأ دروسه وتدرج فيها ثم التزم صحبة سماحة آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي، وبزغ نجمه في الخطابة الفارسية، وربّى جيلاً من شباب كربلاء، وكسبتها، وأسس مجالس دورية وأسبوعية، وأصبح وكيلاً لسماحة آية الله العظمى السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي، ثم وكيلاً لسماحة آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري في كربلاء، ثم هاجر إلى إيران حيث استقر في قم المقدسة، ويرقى المنبر الحسيني في الكويت، له مؤلفات في الوعظ والإرشاد.

الخطيب الشيخ مرتضى الشاهرودي الحائري:

ولد في كربلاء سنة ١٣٦٥ هـ ونشأ وترعرع في بت علم وفضيلة،

فهو حفيد الفقيه والمجتهد الأكبر العلامة الشيخ علي الشاهرودي المتوفى سنة ١٣٥١ هـ، درس مقدمات العلوم الدينية في الحوزة العلمية بكربلاء، وأخذ الفقه من عمه العالم المحقق، والفقيه النحرير، الشيخ محمد بن علي الشاهرودي الحائري المتوفى سنة ١٤٠٩ هـ، تلقى فن الخطابة وأسلوب الرثاء لمثاب الحسين والأئمة الأطهار (عليهم السلام) من خطيب كربلاء المعروف في حينه الشيخ عبد الزهراء الكعبي المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ، ومن قبله شيخ الخطباء الكربلائيين محمد مهدي بن الشيخ عبد الهادي المازندراني المتوفى سنة ١٩٨٤م، كما لازم فترةً من الزمن الخطيب الكربلائي المعاصر الشيخ هادي الخفاجي، ثم استقلَّ في المنبر الحسيني وبدأ يشتهر رويداً رويداً خاصةً منذ أن بدأ أسفاره الموفقة إلى بعض البلدان الإسلامية في مهمة الوعظ والخطابة في المواسم والمناسبات الدينية الخاصة، فعَلا أمُره، وتوسعت شهرته، وأصبح وجيهاً عند العامة والخاصة، وذا مكانة محترمة عند المؤمنين والمُحبين لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، صاهر عمه الراحل العلامة الشيخ محمد الشاهرودي (قدس سره) على ابنته، ولازمه لسنوات طويلة مستفيداً من آرائه، وتوجيهاته، وإرشاداته، فتوطّدت بين الاثنين صلةٌ روحية قوية جداً، له أسلوبٌ جيّد في الخطابة وقدرة فائقة في القراءة والرثاء لمصاب سيدنا الحسين وذكر فضائل ومناقب الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

الخطيب الشيخ عبد الحميد المهاجر:

خطيبٌ شاب ومُتألق، لمعَ نجمُه في الأوساط الدينية والمجالس الحسينية بالعراق في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، كان من تلامذة الخطيب الكربلائي المعروف الشيخ عبد الزهراء الكعبي المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ، ولازمه لعدة سنوات مُستفيداً من أسلوب قراءاته في مُصاب سيدنا الحسين عليه السلام، يحظى بقدر كبير من الثقافة الدينية، وله إلمامٌ واسع بالأحاديث والروايات والأخبار، ويتقن فن الخطابة ويتسم بالبلاغة، والفصاحة، والنطق

الجيّد، والصوت الجهوري الأخاذ، اشتهر وحظي بمكانة مرموقة من خلال أسفاره الكثيرة لمختلف البلدان العربية، والإسلامية، والإفريقية، والغربية، مبلغاً وداعية إسلامياً جريئاً، ولا يزال يتدرج في سلم الشهرة والصيت الواسع، ويتنبأ له بمستقبل أفضل خاصةً وأنه يمتلىء حيوية ونشاطاً ممّا يجعله في الصورة وتحت الأضواء دائماً، له معجبون كثيرون في كل البلاد الإسلامية وعند الجاليات الإسلامية في العالم.

الفصل الخامس

المدارس العلمية في كربلاء

اشتهرت مدينة كربلاء المقدسة بمدارسها الدينية ومعاهدها العلمية المنتشرة في أرجاءها المختلفة، ممّا يعطي دليلاً إضافياً على تقدّم وتطوّر حركتها العلمية الدينية العريقة، من حيث أن أهم مؤشر للمستوىٰ الثقافي والنهوض العلمي لأية مدينة، إنما يكمن في تنوّع وتعدّد مدارسها، ومعاهدها، وحلقات الدرس والبحث، المنتشرة بأرجاءها المختلفة.

وكان طلاب العلوم الدينية وهواة البحث والتحقيق وعشاق الفضيلة والتهذيب الخلقي من المجاورين، والوافدين على كربلاء من مختلف المدن والبلدان من الكثرة العددية، ما دفع بالعديد من الأثرياء الأخيار، والأمراء الصلحاء، والحكام من ذوي النفوس الكريمة، والمنطلقات الدينية السليمة إلى التبرّع ببناء المدارس العلمية الدينية وتشييد الزوايا والحسينيات التي يمكن توظيفها أيضاً، في مجال التدريس والبحث العلميين.

والجدير بالذكر أن أروقة الروضة الحسينية المقدسة كانت في بدايات الحركة العلميّة بكربلاء، وعلى وجه التحديد في القرن السادس الهجري ملتقىً للعلماء، وأساطين الفكر، وطلاب العلم والفضيلة، حيث منها انبعثت وانتشرت أنوار العلم والمعرفة لاماكن أخرى.

غير أن المدارس العلمية الدينية في هذه المدينة المقدسة، اتخذت

صورة محدّدة أكثر فأكثر ابتداءاً من القرن الثاني عشر الهجري، أي أن المدارس الدينية في صورتها الجديدة انتشرت في أرجاء كربلاء منذ بداية هذا القرن تقريباً، وذلك نظراً لأن الدراسة قبله كانت تتم داخل الجوامع والزوايا الدينية، وأروقة الروضة الحسينية المقدسة وحدها، كما قلنا آنفاً ولم يكن هناك عادة مساكن لطلبة العلم والفضيلة مثلما هو موجود الآن.

هذا وإن أقدم مدرسة علمية دينية لا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا هي مدرسة «حسن خان»، التي يرجع تاريخ بناءها إلى سنة ١١٨٠هـ، والتي تخرج منها، أو درّس فيها أكابر العلماء وفطاحل الفقهاء، الذين ازدهرت بهم الحركة العلمية والتدريسية في كربلاء خلال القرنين الأخيرين.

وفيما يلي شرح موجز لاهم وأشهر المدارس العلمية الدينية في هذه المدينة المقدسة، والتى لا يزال البعض منها قائماً وفعالاً، فيما البعض الآخر قد اندثر أو طالته مشاريع التوسعات في الشوارع والساحات التي تحيط بالروضتين الحسينية والعباسية المشرفتين.

مدرسة «السردار» حسن خان:

أُنشئت هذه المدرسة العلمية سنة ١١٨٠هـ، وكانت في حينها أكبرَ مؤسسةٍ علمية دينية في كربلاء، قلّما تُوجد نظيرتُها في العتبات المقدسة بالعراق، كانت تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من صحن روضة الإمام الحسين عليه السلام، قبل أن يتم هدمها بتاريخ ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٦٨هـ في مشروع ايجاد الشارع الدائري حول الحضرة الحسينية الشريفة.

تخرّج منها جيلُ النخبة من كبار العلماء والفقهاء الثقاة، والمفكرين الإسلاميين العظام، أمثال المصلح الإسلامي الكبر السيد جمال الدين الأسدآبادي المعروف (بالأفغاني)، والفقيه المربي والعالم الكبير الشيخ شريف العلماء المازندراني، مثلما درّس فيها كبار العلماء والمراجع المعروفين خلال القرنين الأخيرين وكانت مدرسةً واسعةً وكبيرةً جداً احتوت على ٧٠ غرفة وعدة صالات على شكل مَدرَس، ولا تزال آثارُها قائمةً حتى يومنا هذا،

أي أنها لا تزال مدرسةً علمية ولكن بمساحةٍ أقل حيثُ تضم ١٦ غرفة.

وممّا يُلفت النظرَ من معالم هذه المدرسة العلمية الرائدة، جُدرانُها المُغطاة ببلاطات مزخرفة ومنقوشة بأشكال هندسية بديعة، تعلوها آياتٌ قرآنية منقوشة بكلّ دقة وروعة وجمال.

وقد أنفقَ المرحوم السردار حسن خان القزويني أموالاً كبيرة في انشائها، وتأسيس الأوقاف لها كي تُدر عليها الأموال اللازمة لادارتها واعاشة الطلّاب الدارسين بها.

وقد تولّي ادارتها في أوقاتٍ مختلفة علماءُ أجلاء وكان آخرُ المُتولين لها العالم الفاضل السيد عباس الطباطبائي.

* * *

مدرسة السيد المجاهد:

تُشير وثيقةُ الوقف لهذه المدرسة إلى أنها بُنيت وأُنشئت بحدودِ سنة ١٢٧٠هـ، وكانت تقع في سوق التجار الكبير بالقرب من مرقد السيد محمد المجاهد الطباطبائي، نجل السيد المير علي الطباطبائي صاحب الرياض، وكانت في حينها مأهولةٍ، بروّاد العلم ورجال الدين والفكر الإسلامي وتخرّج منها عددٌ كبير من أجلّاء العلماء وأفاضل الفقهاء، أمثال المرحوم العلامة السيد محمد باقر الطباطبائي، والعلامة المرحوم السيد محمد علي الطباطبائي، والمرحوم السيد مرتضى الطباطبائي، الذين ينتسبون لبيت السيد المير علي «صاحب الرياض»، ومن أشهر أساتذتها حتى لوقتٍ قريب، المرحوم العلامة الشيخ محمد علي سيبويه، والشيخ عباس الحائري.

* * *

مدرسة صدر الأعظم النوري:

كانت من المعاهد العلمية الدينية الرئيسية في كربلاء، لكن يدَ الهدم والتخريب طالتها في مشروع شارع الحائر الدائري، إذْ كانت تقع في موقعٍ

قريبٍ إلى الغرب من الروضة الحسينية الشريفة، تخرّج منها جيلُ من جهابذة العلم والفكر، ورُواد الثقافة الإسلامية والتراث الشيعي الإمامي، ومن أشهر أساتذتها آنذاك العالم والفقيه المتبحّر الشيخ أبو القاسم الخوئي المُتوفى سنة ١٣٦٤هـ والعالم الشاعر السيد عبد الوهاب المتوفى سنة ١٣٢٢هـ.

قام بانشاءها الزعيم والمرجع الديني والعالم المُتفوّق في عصره العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني المتوفي سنة ١٢٨٦هـ، والذي سكن كربلاء سنة ١٢٨٠هـ، حيث أوكلَ إليه الملك القاجاري في إيران في زمانه مهمةَ تعمير وترميم الروضات الشريفة في كربلاء والكاظمية وسامراء.

وقد انفق العلامة الشيخ الطهراني على بناء هذه المدرسة من ثُلث الارث المُتبقي من الأمير الايراني الميرزا تقي خان «الصدر الأعظم» المقتول سنة ١٢٦٨هـ، وكانت توليتُها في النصف الأول من القرن الرابع الهجري بيد العالم والمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ، وانتقلت من بعد وفاته إلى نجله العلامة الشيخ عبد الحسين الشيرازي المُتوفى سنة ١٣٨١ هـ.

المدرسة الزينبية:

كانت هذه المدرسة بدورها من المعاهد العلمية المعروفة والمُزدهرة في حينها، وسُميت بهذا الاسم لوقوعها بجانب باب الزينبية، أحد أبواب صحن روضة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت هي الأخرى مزدحمةً بطلاب العلوم الدينية، ومن بين الذين تولّوا مهمة التدريس فيها، العالم الشاعر، الشيخ جعفر الهر المتوفى سنة ١٣٤٧هـ، وتلميذُه المُبرّز العالم والفقيه الكبير الشيخ محمد الخطيب المتوفى سنة ١٣٨٠هـ.

وكانت توليتُها قبل أن تطالها يد الهدم في مشروع الشارع الدائري حول الحضرة الحسينية بيد العلامة الميرزا الشيخ عبد الحسين الشيرازي، وقبلَه بيد والده الجليل الزعيم الروحي، الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين العراقية الكبرىٰ.

المدرسة الهندية:

وهي من أهم المدارس العلمية الدينية في الوقت الحاضر، أُنشئت في أواخر القرن الثالث الهجري، كما تُصرح بذلك وثيقةُ الوقف الخاصة بها، تقع بالقرب من روضة الإمام الحسين عليه السلام في زُقاق الزعفراني، وتتألف من دورين يضمّان ٢٢ غرفة، وفيها أيضاً مكتبة عامة تُعرف باسم (المكتبة الجعفرية)، وكانت تَصدُرُ عنها النشراتُ والكراسات الدينية الأسبوعية والدورية، من أهمها مجلة (أجوبة المسائل الدينية) التي بدأت بالصدور والنشر سنة ١٣٧١هـ، وظلّت تصدر بانتظام لسنوات عديدة مُتواصلة، قبل أن تتوقف عن الصدور نهائياً.

وفي هذه المدرسة تأسسَّ سنة ١٣٨٠هـ «مكتبُ رابطة النشر الإسلامي»، لغرض طبع ونشر الكتب والكراسات الدينية التوعوية، وتوزيعها بالمجان بين المسلمين القاطنين في الدول الإسلامية النائية، حيث استطاع هذا المكتب من طبع وتوزيع أكثر من ثلاثة الآلاف نسخة من الكتب النفيسة القيمة جداً في دُول اندونيسيا والمغرب العربي، وليبيا وعدة بلدان عربية أخرى، وبعض دول الخليج، واستمر هٰذا المكتب في نشاطه الثقافي الإسلامي لسنوات طويلة وقد أشرف على شؤونه في حينه الخطيب الفاضل السيد محمد كاظم القزويني الحائري نزيل مدينة قم حالياً.

وقد تخرّج من مدرسة الهندية عدةُ أجيال من العلماء والفقهاء والمُبلغين الإسلاميين، ومن أشهر أساتذتها حتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، المرحوم الشيخ جعفر الرشتي، الذي كان بحق أستاذاً بارعاً وقديراً في تدريس كتب السطح وقد تخرّج عليه المئات من الطلاب، والعالم الفقيه السيد محمد صادق القزويني، آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي، والفقيه المجتهد السيد أسد الله الاصفهاني المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ، والعالم الفاضل السيد عبد الرضا الشهرستاني، والفاضل الورع السيد مصطفى الاعتماد البهبهاني، والعلامة الشيخ محمد تقي الاصفهاني، والشيخ مهدي الرشتي، شقيق الشيخ

جعفر الرشتي الذي كان متولياً لهذه المدرسة حتى تاريخ وفاته قبل حوالي خمسة عشر عاماً.

وتشير وثيقة وقفها إلى أنها تأسست خصيصاً لتكون واحدة من أهم وأكبر المدارس الدينية العلمية في كربلاء، قبل قرن ونصف قرن تقريباً.

* * *

مدرسة البادكوبة (الترك):

وهي أيضاً من المدارس الدينية المعروفة والقديمة جداً في مدينة كربلاء، فقد تأسست سنة ١٢٧٠هـ، كما تنصّ بذلك وثيقة الوقف الخاصة بها، فيها ثلاثون غرفة ومكتبة زاخرة بالكتب والمخطوطات القيمة، وكانت تصدر عنها منشورات إسلامية ثقافية، بضمنها مسلسل (منابع الثقافة الإسلامية)، وهو عبارة عن مجموعات كتب لعددٍ من الكتاب والمؤلفين تصدر كل مجموعة منها في الشهر، وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من العلماء والفضلاء والخطباء، وكان يتولى مهمة التدريس فيها لفترة طويلة تناهز جيلاً كاملاً، العالم المحقق، والفقيه المتبحّر، الحاج الشيخ محمد الشاهرودي المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، والعالم الزاهد الورع، الشيخ محمد الكلباسي المتوفى بحدود سنة ١٤٠٤هـ.

* * *

مدرسة البقعة:

انشئت في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، بجانب مرقد السيد محمد المجاهد الطباطبائي بدورين (طابقين) يضمّان عشرين غرفة، وكان موقعها في شارع الإمام علي عليه السلام، تخرج منها صفوة من خيرة العلماء والفقهاء، بينهم العلامة السيد محسن الكشميري، والعلامة الشيخ عبد الرحيم القمي، والعالم الورع السيد مرتضى الطباطبائي، وكانت تصدر منها مجلة فكرية إسلامية رصينة باسم (صوت المُبلّغين).

* * *

مدرسة السليمية:

مدرسة دينية بذات مساحة صغيرة ومُؤلّفة من دورين، وفيها ١٣ غرفة وصالة للتدريس، وهي كائنة في زُقاق جامع الميرزا علي نقي الطباطبائي، ومن أشهر وأبرز الأساتذة الذين واصلوا فيها مهمة التدريس وتربية جيل العلماء المجتهدين، الفقيه المحقق، والعالم المُتتبّع، الشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، والعالم الفاضل السيد محمد طاهر البحراني المتوفى سنة ١٣٨٤هـ، والمفكّر الإسلامي الراحل السيد حسن الحسيني الشيرازي.

أسّسها المرحوم الحاج محمد سليم خان الشيرازي سنة ١٢٥٠ هـ، وكان قد خصص في وقته رواتب شهرية للطلاب الذين يُواصلون الدراسة فيها بانتظام، وكان الأموال المخصصة من إرثه لهذه الغاية تنفق وتصرف تحت أشراف العالم والفقيه النحرير، السيد حسن آغا مير القزويني، صاحب كتاب «الإمامة الكبرى» المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ.

وكانت تصدر عن هذه المدرسة مجلة إسلامية اجتماعية وفكرية، باسم (الأخلاق والآداب) ابتداءاً من سنة ١٣٧٧ هـ، لكنها توقفت عن الصدور فيما بعد.

مدرسة الميرزا كريم الشيرازي:

تم إنشاؤها سنة ١٢٨٧ هـ على مساحة كبيرة جداً ضمّت مصلىً كبيراً وفسيحاً، وهي كائنة في محلة العباسية الشرقية، وقد جرت إعادة بناء مُصلّاها بفضل جهود السيد الميرزا علي محمد الشيرازي في سنة ١٣٠٨ هـ، وتولّى إدارتها لفترةٍ من الزمن الخطيب الحسيني الشهير المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي، الذي كان يقوم بمهمة التدريس فيها أيضاً.

مدرسة المهدية:

أنشأها الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر صاحب كتاب

«كشف الغطاء» في سنة ١٢٨٤ هـ، مثلما شيّد مدرسةً مماثلةً لها في مدينة النجف، وهي بذات دورين يسكنها عددٌ لا بأس به من طلاب العلوم الدينية، بينهم طلابٌ ينتمون لبعض الدول الإسلامية، وتقع في زُقاق مجاورٍ لديوان السادة آل الرشدي، ومن أساتذتها الشيخ حسين البيضاني، والشيخ محمد شمس الدين، والشيخ علي العيثان البحراني، والشيخ عبد الحسين الدارمي والشيخ عبد الحميد الساعدي.

مدرسة الهندية الصغرىٰ:

أُنشئت سنة ١٣٠٠ هـ، وكانت تحوي على سبع غرف كبيرة، يسكنها طلاب العلم من الأفغان والهنود، ومن بين الأساتذة الذين واصلوا مهمةَ التدريس فيها، المرحوم السيد محمد حسين الكشميري، والسيد مرتضى الطباطبائي، والسيد مرتضى الواجدي.

وقد أوقفتها امرأةً هندية مُحسنةِ خيّرة، كانت تعرف بـ (تاج محل)، على العلامة السيد علي نقي الطباطبائي، كما جاءَ في نصّ وثيقة الوقف الخاصة بها.

مدرسة شريف العلماء المازندراني:

تقع في زُقاق (كدا علي) المُتشعّب من شارع الحسين الرئيسي، وهي كائنة بجانب مرقد المُربّي العظيم، والعالم النحرير، وأستاذ المجتهدين، وإمام المُحققين، الشيخ شريف العلماء المازندراني الحائري المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ. وهي من المدارس العلمية الدينية في كربلاء، وتحوي على ٢٢ غرفة في دورين، يسكنها طلاب العلوم الدينية، بينهم عدد من الطلاب الأجانب.

وقد بادر بتأسيسها المجتهد الأكبر، والمرجع الديني السيد محسن الحكيم المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ، وجعلها وقفاً على طلاب العلوم الدينية في كربلاء والنجف في سنة ١٣٨٤ هـ.

مدرسة ابن فهد الحلي:

تقع في امتداد شارع الحسين، انطلاقاً من باب القبلة لصحن الروضة الحسينية الشريفة، بجانب مزار الفقيه العارف، والعالم الزاهد، الورع الشيخ أحمد بن فهد الحلي الأسدي المُتوفى سنة ٨٤١ هـ، وقد تمَّ إنشاؤها على مساحة كبيرة من الأرض وفي دورين يحويان على أربعين غرفة لسكن طلاب العلوم الدينية، وبداخلها مسجدٌ كبير للصلاة، كما تحوي على مكتبة عامة باسم (مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد جرت إعادة بناءها لمرتين، أولاها في سنة ١٣٥٨ هـ، والثانية في سنة ١٣٨٤ هـ،وكانت الأخيرة على نفقةِ عددٍ من الأخيار المؤمنين، بإجازة من المرجع الديني الأكبر السيد محسن الحكيم.

مدرسة البروجردي:

بادر لإنشائها المرجعُ الديني، والزعيم الروحي الأكبر، المرحوم الحاجِ السيد الآغا حسين البروجردي المُتوفّى سنة ١٣٨٠ هـ، مُنفقاً على بناءها مبالغَ كبيرةً حتى جاءت بنايتُها في غايةٍ من الجمال، والإبداع في الفن المعماري والأسلوب الهندسي، وهي تحوي على عشرين غرفة في دورين اثنين.

والمدرسة العلمية هذه يسكنها طلابُ العلوم الدينية ويطالُها النشاطُ التدريسي على أوسع نطاق.

مدرسة الإمام الباقر عليه السلام:

تقع في محلة باب الخان، قريباً من الفسحة، وتضم العديد من غرف السكن والتدريس، ويسكنها العديد من طلاب العلوم الدينية، وفيها مكتبة عامة، وكانت تصدر عنها الكتب والكراسات ذات الطابع التثقيفي الإسلامي، وتُقام فيها الحفلات في بعض المناسبات والأعياد الدينية.

وكانت هذه المدرسة من قبل حسينيةً خاصةً بالزائرين القادمين من مدينة

الكاظمية في المواسم والمناسبات الدينية، ثم تولى إدارتها السيد عماد الدين بن المرحوم السيد محمد طاهر البحراني فحوّلها إلى مدرسة دينية.

المدرسة الحسنية:

تقع بالقرب من الروضة العباسية الشريفة وإلى الشمال منها، وقد أنشئت على أرض مساحتها ٤٠٠ متراً، وتضم ٢٨ غرفة لسكن طلاب العلوم الدينية، وينصبُّ النشاطُ العلمي المُكثف فيها على تدريس الفقه، والأصول، وعلم المنطق، والأخلاق، وتفسير القرآن، وقواعد اللغة العربية من نحوٍ وصرف، كما تُقام فيها المراسيمُ والاحتفالاتُ الدينية والطقوس المذهبية، مثل مراسيم الحداد والرثاء لمصاب الحسين عليه السلام في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام وفي شهر رمضان الفضيل من كل عام.

وقد أقيمت هذه المدرسة بسعي الخطيب الشيخ حسن النائيني، ومن تبرعات المواطنين الكويتيين الأخيار.

مدرسة الخطيب:

تمَّ إنشاؤها في سنة ١٣٥٧ هـ على يد العلامة الفقيه الفاضل، الشيخ محمد الخطيب، وهي كائنةٌ في محلة المخيم، ويتلقى الطلاب في فصولها مبادئَ اللغة العربية والعلوم الدينية، غير أنها مدرسة شبهُ رسمية، حيث إن فترة الدراسة المنهجية فيها هي خمس سنوات.

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام:

وهي أيضاً مدرسة دينية رسمية، وفترةُ الدراسة فيها هي ستُ سنوات، وقد تأسست بجهود نخبةٍ من علماء كربلاء الأفاضل، وتقع على امتداد شارع الحسين في محلة العباسية الغربية.

وقد تولّى عمادتها في بداية الأمر الخطيب السيد مرتضى القزويني، ثم تولّاها السيد محمد بن السيد مرتضىٰ الطباطبائي.

وأخيراً، يجب التنويه بأنَّ الدراسة في حوزة كربلاء سواءٌ في مرحلة دروس السطح، أو في مرحلة درسِ الخارج، لم تكن حتى لوقت قريب تقتصر على هذه المدارس، بل إن كثيراً من حلقات الدرس، والبحث، والمناظرات العلمية، كانت تعقد وتُنتظم في حجرات وصالات وصحن الروضة الحسينية الشريفة، والروضة العباسية المباركة، وفي الحسينيات والجوامع، وفي بيوت العلماء والمراجع والأساتذة أنفسهم أيضاً، مما يُمكن القول بإن مجموعة المباني داخل وخارج الروضتين الشريفتين الحسينية والعباسية كانت بمثابة مَدَرَس كبير وضخم للغاية.

الفصل السادس

الجوامع والحسينيّات في كربلاء

بالرغم من أن المساجد تشيد أصلاً لإقامة الصلوات وإداء فروض الطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى، كما أن الحسينيات تقام خصيصاً لإيواء الزوار وتنظيم الاجتماعات، والحفلات الدينيـة، إلّا أنها، أي المسـاجد والحسينيات معاً استخدمت في كربلاء لأغراض دراسية وبحثية، وتثقيفية دينية وفقهية، فالمساجد استخدمت في أوقات ما بين مواعيد الصلاة كمدرَس وكمنتدىً لإلقاء الدروس والتقريرات العلمية الدينية، والمحاضرات الثقافية الإسلامية، كما أن الحسينيات لا تخلو من قاعات وحجرات فسيحة تستخدم لهذه الغاية أيضاً.

وقد قلنا من قبل أن المكان المقدس هو البيئة المناسبة جداً لإلقاء الدروس وعقد المناظرات العلمية ذات الطابع الديني والروحي الصرف، وقد كان أئمة الجماعة في المساجد بكربلاء وهم في العادة من المدرسين والعلماء المخضرمين، يستغلون أوقات ما قبل قيامهم بالجماعة أو ما بعدها لإلقاء دروسهم وأبحاثهم الفقهية، والأصولية على تلامذتهم ومريديهم الذين كانوا بدورهم يحضرون المساجد، لغرض الدرس والعبادة معاً.

ولذلك لا بدَّ من النظر إلى المساجد والحسينيات في مدن ذات حوزات علمية عريقة مثل النجف وكربلاء وقم، على أنها معاهد دينية إلى جانب كونها

أماكن للعبادة أو الحفلات الدينية.

وإن مدينة كربلاء على صغرها في الماضي ضمّت مساجد كثيرة ومتنوعة، فعلماء الدين العظام ورؤساء الملّة فيها كانوا سباقين لإقامتها، وتشييدها بدافع من نوازعهم الدينية السلمية، وميلهم الشديد نحو نشر الثقافة الإسلامية، والفقه المحمدي، فكان يحذو حذوهم في ذلك الأثرياء المحسنين والصلحاء من الناس.

وفيما يلي نتطرق لبعض المساجد والحسينيات في كربلاء المقامة، والمهدومة منها على حد سواء.

جامع ابن شاهين:

يعتبر من أقدم الجوامع في مدينة كربلاء، وكان يستخدم على نطاق واسع، لأغراض الدرس والبحث، حتى إنه عُرف لفترة طويلة على أنه معهد دراسي ديني رئيسي في الحائر الشريف، وذلك قبل أن تؤسس المدارس العلمية الدينية على صورتها الحديثة.

شيّده عمران بن شاهين أمير البطائح في القرن الثامن الهجري، وكان ملحقاً بمباني الروضة الحسينية المقدسة، ذكره أبو عبد الله شرف الدين ابن بطوطة القاضي الطنجي في رحلته المسماة برحلة ابن بطوطة «تحفة النظار» قال: زرت كربلاء في أيام السلطان أبو سعيد بهادر خان بن خدابنده، بعد أن تركت الكوفة في سنة ٧٢٦ هـ قاصداً مدينة الحسين، وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخيل، ويسقيها ماء الفرات، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة، وزاوية كريمة فيها الطعام الوارد والصادر، وعلى باب الروضة الحجاب والقومة «الخدمة»، لا يدخل أحد إلاّ عن أذنهم فيُقبّل العتبةَ الشريفة، وهي من الفضة وعلى الأبواب أستار الحرير، وأهل هذه المدينة طائفتان: أولاد زحيك، وأولاد فائز، وبينهما القتال أبداً، وهم جميعاً إمامية يرجعون إلى أب واحد، ولأجل فتنتهم تخربت هذه المدينة ثم سافرنا منها إلى بغداد.

إن المدرسة العظيمة التي ذكرها السائح الطنجي «ابن بطوطة» ما هي إلّا مسجد ابن شاهين، فالنشاط العلمي الذي كان يجري فيه جعل منه مدرسة عظيمة قبل أن يكون مسجداً للعبادة لا غير.

مسجد رأس الحسين عليه السلام:

وهو أيضاً من أقدم المساجد الأثرية في كربلاء، وكان يضم في وسطه مقام رأس الحسين عليه السلام فعُرف بهذا الاسم، وموقعه بالقرب من باب السدرة «أحد أبواب صحن الروضة الحسينية الشريفة»، وقد طاله الهدم في مشروع إيجاد الشارع الدائري حول الحضرة الحسينية.

جامع السردار حسن خان:

لم يعد لهذا الجامع أيُّ أثرٍ اليوم، غير أنه كان يُعتبر من روائع الفن المعماري الإسلامي، نظراً لأسلوب البناء البديع الذي استُخدم في تشييده، متزامناً مع بناء مدرسة حسن خان العلمية، إذْ كان مُلحقاً بهذه المدرسة في حينه.

جامع الميرزا شفيع خان:

يرجعُ تاريخُ بناءِه إلى عهد الميرزا شفيع خان أحد رؤساء الوزارات في إيران على عهد الملك ناصر الدين شاه القاجار، فهو الذي أمر ببناءه خلال زيارته لكربلاء سنة ١٣٠٩ هـ، موقعه كائن على نهر الهندية ما بين كربلاء وخان النخيلة (خلف معمل اليشماغ حالياً)، وقد جُدّد بناؤه سنة ١٣١٩ هـ، على يد الأخوين الحاج علي والحاج آغاجان.

وإلى جانب هذا الجامع، تقوم مقبرةٌ دُفن فيها مؤسسه الميرزا شفيع خان، والعالم الكبير السيد هاشم الحسيني الجهرمي الحائري، كان من أفاضل العلماء والمُدرّسين في حوزة كربلاء، تُوفي سنة ١٣٢٢ هـ.

جامع الآغا باقر البهبهاني:

أقامه العالم النحرير، والفقيه العديم النظير، الآغا الوحيد البهبهاني في

أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وهو كائن بجوار المدرسة الهندية، ولا يزال قائماً حتى الوقت الحاضر.

جامع الشيخ يوسف صاحب الحدائق:

شيّده العالم الجليل الشيخ يوسف البحراني، مؤلف كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» المتوفى سنة ١١٨٦ هـ، وموقُعه في الجهة المقابلة للمدرسة الهندية، وكذا في مقابل جامع الآغا الوحيد البهبهاني.

ولا يزال قائماً اليوم، حيثُ جُدّد بناؤه مؤخراً.

جامع الشهرستاني:

قام ببناءه العالم والمرجع الكبير السيد الميرزا مهدي الموسوي الشهرستاني، وذلك في سنة ١١٨٩ هـ، وكان يُعرف قديماً باسم جامع الشيخ عبد الرحيم، وموقعُه قرب باب الشهداء لصحن الروضة الحسينية الشريفة، وجرىٰ تجديد بناءه في سنة ١٣٥٦ هـ، ولكن تمَّ هدمُه في سنة ١٣٩٩ هـ ضمنَ أعمال توسيع الشوارع والساحات حول الحائر الحسيني الشريف.

جامع الشيخ خلف:

بناه العالم والفقيه الإمامي الكبير الشيخ خلف بن عسكر الحائري المُتوفّى سنة ١٢٤٦ هـ، على قطعة أرضٍ تقعُ بمحلة باب السلالمة في شارع السدرة، وتمَّ تجديد بناءه في سنة ١٣٧١ هـ، إلّا أن أعمالَ الهدم في مشروع توسعة الشوارع شملته أيضاً، ولم يبقَ له أثرٌ يُذكر اليوم.

جامع الميرزا علي نقي الطباطبائي:

تبرّع ببناءه العالم والرئيس الديني العظيم الميرزا السيد علي الطباطبائي في سنة ١٢١٠ هـ، وعرف بعد وفاته باسم حفيده الميرزا علي نقي

الطباطبائي، موقعُه في مواجهة مدرسة السليمية قريباً من سوق التجار الكبير، أعيد بناؤه على طراز معماري بديع في سنة ١٣٨٢ هـ، بحيث أصبح يضمّ مُصلىً كبيراً، وواسعاً جداً.

جامع الشهيد الثاني:

أُسِّس خصيصاً لتخليد اسم العالم الكبير، والشيخ زين الدين بن نور الدين العاملي المُلّقب بالشهيد الثاني، الذي قُتل في سنة ٩٦٥ هـ، وهو من الجوامع القديمة في كربلاء، يقع في زقاق بمحلة باب السلالمة، اسمه العكسية.

الجامع الناصري:

لم يبق له أثر اليوم، فقد طُمست معالمه جملةً وتفصيلاً، وكان من أهم الجوامع التي سعىٰ لتشييدها في كربلاء السلطان ناصر الدين شاه قاجار، وذلك في سنة ١٢٧٦ هـ، وكان يقوم إلى الشمال من الروضة الحسينية الشريفة.

جامع الأردبيلية:

موقعُه على طريقٍ يُفضي إلىٰ مقام ابن حمزة في ضاحية كربلاء، وهو أيضاً من الجوامع القديمة، يشتمل على مصلى واسع رحب، وغرف جانبية عديدة، فيها مقابرُ عددٍ من العلماء، بينهم العارف حسين علي شاه، رئيس الطريقة الصوفية المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ.

جامع الطهراني:

شيّده السيد صالح فوزي الطهراني في سنة ١٢٤٣ هـ، يقع في سوق النّجارين، ولا يزال قائماً حتى اليوم، وأصبح تابعاً لأشراف هيئة الأوقاف الحكومية منذ سنة ١٣٦١ هـ.

جامع الحميدية (المسجد الحسيني):

اقامه الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني، وهو ذو مساحة كبيرة ومصلى واسع رحب، تم تجديد بناءه في سنة ١٣٧٧ هـ، وأُسست فيه مكتبة عامة باسم مكتبة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، و قد جرىٰ تغييرُ اسمه فيما بعد إلى المسجد الحسيني.

جامع الترك:

موقعه في محلة العباسية عند خاتمة سوق النجارين، تبرّع ببناءه ووقفه في العهد العثماني، الحاج محمد جعفر الترك.

جامع العباسية:

بُني في عهد الولاية العثمانية على العراق، ويُعتبر من الجوامع القديمة والأثرية في كربلاء، موقعُه في محلة العباسية الغربية.

جامع الحاج نصر الله:

يقع في شارع العباس قريباً من سَراي الحكومة (مجموعة الدوائر الحكومية)، بناه الحاج نصر الله بن الحاج عبد الكريم في سنة ١٣٤٣ هـ، وأُعيد بناؤه من جديد في سنة ١٣٨٢ هـ.

جامع السيد هاشم فتح الله:

بناه وأوقفه شرعياً السيد هاشم بن السيد حسين بن السيد فتح الله آل طعمة في سنة ١٣٢٢ هـ، موقعه في شارع الناحية بمحلة باب الخان.

جامع ماهي كليب:

قام بتشييده في سنة ١٢٩٩ هـ الحاج ماهي بن كليب، الجد الأكبر لأسرة آل ماهي الجيلاوي من الأُسر المعروفة في كربلاء، يقع في سوق

العلّاوي بمحلة باب النجف، أصابه الاندثار والهدم، إلّا أن مُتولّيه قام بتجديد بناءه مؤخراً، وهذا المتولي هو الحاج مجيد العبايجي.

جامع السيد جواد الصافي:

بناه السيد جواد بن السيد مهدي الصافي سنة ١٣٢٩ هـ، بيد أنه لم يبقَ له أثر اليوم، إذ هُدِّمَ ضمنَ مشاريع العمران التي تشهدها مدينة كربلاء، وخاصةً في المناطق التي تُحيط بالحائر الحسيني والروضة العباسية الشريفة، وكان يقع في سوق الحسين.

جامع المخيّم:

تم تشييده في سنة ١٣٨٠ هـ، وهو مسجد معروف في محلة المخيّم، وصفه الخطيبُ والشاعر العراقي المعروف الشيخ محمد علي اليعقوبي، في أبياتٍ شعرية استهلّها بقوله:

مسجدُ قدسٍ قام بنيانُه على التُقىٰ والرُشد بين الأنام
بخير أرضٍ قد سَمت رفعةً على ذرىٰ البيت وركن المقام

جامع الكرامة:

قام ببناءه السيد محمد علي بن السيد يوسف الأشيقر (والجدير بالذكر هنا أن آل الأشيقر، أسرة علوية جليلة الشأن، ظهر بين أفرادها علماء وشعراء، وهي تنتسب لآل زحيك من ذرية الإمام موسى الكاظم عليه السلام، نزحت من مقابر قريش في الكاظمية واستوطنت كربلاء في القرن العاشر الهجري).

تمَّ تجديد بناؤه في سنة ١٣٨٨ هـ، موقعُه في خاتمة سوق الحسين، على الدرب المؤدي إلى محلة باب السلالمة.

حسينية المازندراني:

أسّسها الخطيب الكربلائي المعروف الشيخ محمد مهدي المازندراني

الحائري في سنة ١٣٧٢ هـ، وهي حسينية كبيرة جداً تستخدم لأغراض الدرس والمطالعة، أكثر ممّا تستخدم لسكن الزوار أو لإقامة المآتم الحسينية، لأنها تشتمل على مدرسة دينية ومسجد ومكتبة ومقبرة، وهي كائنة خلف المخيّم الحسيني.

حُسينية الأسكوئي الحائري:

شيّدها العلامة الشيخ علي بن الميرزا موسىٰ الأسكوئي الحائري في سنة ١٣٤٥ هـ، على قطعة أرض كبيرة تقع في مدخل زقاق الداماد، وكانت تشتمل على قاعة فسيحة مخصصة لإقامة المآتم، وكذا مكتبة عامة كبيرة.

حسينية السيد محمد صالح:

تبرّع ببنائها في سنة ١٣٤٤ هـ الحاج السيد محمد صالح البلورفروش، موقعها في شارع المخيّم، تضمّ فناءً وسيعاً، ومصلّى رحباً، وهي معدة لإيواء الزائرين، وتوجد في طابقها العلوي مكتبة كانت عائدةً للسيد عبد الحسين آل طعمة، سادن الروضة الحسينية المتوفى سنة ١٣٨٠هـ.

حسينية الحاج حنن:

تقع في الشارع المؤدي صوبَ مدينة «طويريج»، أسّسها الحاج فليج حنن من الأثرياء المحسنين في مدينة الحلة، وهي أيضاً معدة لسكن زوار الحسين عليه‌السلام.

وهناك حسينيات عديدة أخرى، تم إنشاؤها خلال العقود الثلاثة الأخيرة خصيصاً لإيواء الزوار، ومواكب العزاء التي تفد إلى كربلاء في مواسم الزيارات المخصوصة، سيما في يوم عاشوراء وأربعينية الحسين عليه‌السلام، منها حسينية الطهرانيين، وحسينية الاصفهانيين، وحسينيات عديدة أخرىٰ، بضمنها حسينية الخوئيين.

الفصل السابع

المكتبات العلمية في كربلاء

انتشرت المكتبات العامة والخاصة في مدينة كربلاء على نطاق واسع منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، حينما أصبحت الطباعة الحديثة رائجة، وأصبح اقتناء الكتب أمراً ميسوراً، غير أنه كانت تُوجد بهذه المدينة المقدسة في أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، مكتبات علمية متنوعة أُعتبرت في حينها قيمة ونفيسة للغاية لما حوت من كتب مطبوعة، ومخطوطات نادرة، وأثرية قيمة جداً.

وفي الحقيقة أن مدينة كربلاء بطابعها العلمي الديني المتميز، قد أسهمت بشكل فعّال في إغناء الثقافة الإسلامية، بما صدر عن حوزتها الدينية وأوساطها الأدبية والشعرية، من روائع الكتب والموسوعات والكراسات التي جرىٰ طبعها بالفعل، أو التي بقيت مخطوطات ثمينة ونادرة تقاوم الزمن وتصمد أمام العاديات.

وبالرغم من أن مدينة كربلاء قد تعرضت لنكبات وهجمات عدوانية، وما خلفته هذه الاعتداءات من هدم وتخريب في مبانيها، وسلب لأموالها ومدخراتها، وقتل لنفوس أهاليها، وحرق وإتلاف لمكتباتها وخزائنها النفيسة، إلّا أنها ظلّت محتفظة بتراث قيّم من الكتب المطبوعة والمخطوطة، ذات القيمة التاريخية والحضارية.

ثم إن ظاهرة انتشار المكتبات الخاصة في هذه المدينة المقدسة، سيما في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، تدل بوضوح على رغبة قوية نحو القراءة والمطالعة، واقتناء الكتب خاصة بين صفوف الشبان والطلاب، حتى أصبح الكل يجهد في البحث عن مجلدات الكتب القديمة قبل الجديدة، فيشتريها ويحتفظ بها تماماً، مثلما يحفظ نفسه وماله، وبسبب كثره هذه المشتريات كثُرت المكتبات الخاصة في كربلاء، بحيث قلّما وجد بيتٌ يتعامل ساكنوه مع العلم، والأدب، والشعر، لا تُوجد به مكتبة خاصة.

ولقد وجدتُ بنفسي بين العلماء والخطباء وطلاب العلوم الدينية في حوزة كربلاء، ممّن غادروها قادمين إلى إيران خلال العقدين الأخيرين رغبةً شديدةً في اقتناء الكتب والاحتفاظ بها، تماماً مثلما يحتفظ التاجر بسلعتِه الثمينة، وقد سعىٰ بعض هؤلاء من جديد إلى تأسيس مكتبات خاصة في بيوتهم وسكناهم الحالي في إيران، تلبيةً لتلك الرغبة العارمة الآخذة بنفوسهم.

نعم، إن الكتب بما تضمّه بين دفتيها من عُلوم وفنون، وآداب، وشعر، وحكمة، وفلسفة، ومواضيع شتىٰ ترتبط بأُمور الدين والدنيا، هي أهم زاد الإنسان العارف والمثقف في الحياة، وأهم مُؤشر لطبيعة الشخص الذي بحوزته الكتب، وأكبر أداة مُعينة للعالِم المُتتبّع والدارِس المُتفحص، ولذلك إذا أردتَ أن تعرف نفسيةَ ومزاجَ هذا الشخص أو هذا العالم فانظر إلى ما لديه من كتب، وكذا نوعيتها حتى تعرف ذوقه وسليقته ومنهجه في الحياة.

وخلاصة القول أن اقتناء الكتب لا جَرَم يشد الإنسان لمطالعتها، وتصفحها، وإلقاء نظرة على مواضيعها، ومحتوياتها، وأن مثل هذا التصفّح مهما كان سريعاً وخاطفاً، من شأنه أن يزيد من معرفة الإنسان، الذي إن علم بشيءٍ جديد واحد فقط في اليوم سيكون عالماً بأشياء كثيرة في وقت قصير.

ويجب التنويه هنا، أن المكتبات الخاصة التي سنشرحها لاحقاً لم تعد موجودة وقائمة في غالبيتها، لأن يد الدهر عبثت بالكثير منها فبعثرتها، أو أن

كتبها توزعت على مكتبات أخرى لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، أو أن أصحابها اضطروا إلى مغادرة كربلاء في أوقات مختلفة، فجرىٰ تعطيلها وتصفيتها في غيابهم، غير أن الحديث عنها في هذا الكتاب يوفر لنا دليلاً إضافياً على مكانة كربلاء العلمية وسبقها في ميادين العلم والفضيلة، وذلك من منطلق أن خزائن الكتب هي تماماً كخزائن المال، فالمال الوفير يعني الثراء، والكتب الكثيرة تعني الغنىٰ علمياً وثقافياً وحضارياً.

* * *

مكتبة الشهرستاني:

أسسها العلامة الكبير السيد محمد مهدي الشهرستاني المُتوفى سنة ١٢١٦هـ، في داره بمجلة «آل عيسىٰ»، وكانت في حينها حافلةً بكتب المصادر الهامة، والمخطوطات القيمة ومُجلّداتٍ من مؤلفات ومُصنفات صاحبها الشهرستاني الكبير، وبالأخص كتابه الشهير «الفذالك في شرح المدارك»، وكذا كتاب «المصباح»، ومجموعاتٍ من رسائله وتعليقاته على سائر الكتب، وقد انتقلت بعد وفاةِ مُؤسسِها إلى نجله العالم الفاضل، السيد محمد حسين الشهرستاني المتوفى سنة ١٢٤٧هـ، وقد طالها النهبْ، والسلبَ، وتبعثرت محتوياتُها أثرَ غارةِ الوهابيين على كربلاء ليلةَ الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢١٦ هـ، أي بعد أكثر من عشرة من شهر ذي الحجة سنة ١٢١٦ هـ، أي بعد أكثر من عشرة أشهر من وفاة صاحبها، إذْ أن السيد محمد مهدي الشهرستاني كان قد تُوفّي بتاريخ ١٢ صفر من السنة نفسِها، ولم يبقَ من هذه المكبة الآن سوى بعض المخطوطات التي هي بحيازة أحد أبناء أحفادِه وهو السيد صالح الشهرستاني.

* * *

مكتبة السيد كاظم الرشتي:

كانت هذه المكتبة في عهد مؤسسها، وكذا في عهد نجلِه العالم الشاعر السيد أحمد الرشتي المقتول في سنة ١٢٩٥هـ، تُعتبر من أهم وأضخم

المكتبات العلمية، لا في كربلاء فحسب بل وفي بلاد العراق كلها أيضاً، وقد تبعثرت فيما بعد، اذ حصلَ نهبٌ وسرقةٌ لكتبها المطبوعة والمخطوطة على نطاقٍ واسع، فلم يعدُ لها أثرٌ يُذكر، وقيل أن بعض كتبها النفيسة وُجدَ لدىٰ أناسٍ لا تربطهم بالعلم والأدب والثقافة أيةُ صلة.

مكتبة الفراهاني:

وهي من المكتبات القديمة جداً، تأسست سنة ١٢٧٦هـ على يد الأخوند المولىٰ عبد الحميد بن المولى عبد الوهاب الفراهاني العراقي (الأراكي) المتوفى بحدود سنة ١٣١١هـ، ولم يبقَ من محتويات هذه المكتبة بعد وفاةِ مُؤسسها سوىٰ (٣٠٠) كتاب مخطوط، كان بحوزة السيد علي أكبر اليزدي في مدرسة «السردار حسن خان».

وقد تفرقّت هذه الكتب بَعدَه، ولم يعد يُوجد منها شيءً في مكانٍ معلوم، وكان المولى الفراهاني عالماً جليلاً في سبيل العلم من مدينة شيراز، فهبط أولاً مدينة سامراء حيث دَرس على العالم الكبير، والمرجع العظيم، الفقيه المجدد، السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي، ثم رحل إلى كربلاء فاشتغل بالتدريس لآخر أيام حياته، وقد ترجمه الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «نقباء البشر»، فأطرىٰ بشخصيته السلمية.

مكتبة المولىٰ البرغاني:

كانت عائدةً إلى الفقيه والمُحدّث الكبير المولى محمد صالح بن المولى محمد البرغاني القزويني المتوفى بالحائر الشريف سنة ١٢٨٣هـ، وقد ورثها عن جدّه الأكبر المولى الشيخ محمد كاظم الطالقاني الحائري، الذي كان من كبار العلماء والمُدرسين في حوزة كربلاء العلمية بأواسط القرن الحادي عشر الهجري، وقد حوت في عهد المولىٰ البرغاني على آلاف الكتب في شتىٰ المواضيع العلمية والدينية بضمنها تفاسير القرآن، وكتب الحديث، والفقه، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة، والمنطق، ومن نوادر المخطوطات فيها: كتاب

«من لا يحضره الفقيه»، و«شرح اللمعة الدمشقية»، و«مخزن الأبرار»، و«معتصم الشيعة»، و«النخبة»، و«عيون الأصول»، وكانت مكتبةً عامرةً كذلك بالكتب المخطوطة النفيسة، أشار إليها أصحابُ الرجال والسير منهم: العلامة السيد محسن العاملي في كتابه «أعيان الشيعة»، والشيخ آغا بزرك الطهراني في موسوعته «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، انتقلت بعد وفاة المولى محمد صالح البرغاني إلى أبنائه وأحفاده جيلاً بعد جيل، حتى استقرت أخيراً في ملكية أحد أبناء أحفاده، وهو الشيخ الفاضل عبود بن الشيخ حسن الشهيدي الصالحي (البرغاني) الذي اهتم بتوسيعها، بأن أضاف إليها عدة آلاف مجلد كتاب جلبها من أسفاره لخارج العراق، ولا تزال هذه المكتبة قائمة في بيته الكائن بعقد (زقاق) المائية في محلة المخيم بكربلاء حتى يومنا هذا، لكنه هو (الشيخ عبود) هاجر كربلاء وسكن مدينة قزوين منذ عدة سنوات، حيث يتفرغ الآن للتحقيق والتأليف وطبع الكتب المخطوطة منها: التقريرات الفقهية للمولى البرغاني، ودائرة المعارف الشيعية التي تقع في عشرات المجلد .

مكتبة الطهراني:

خزانة كتب قديمة أوجدها العالم والمرجع الديني الكبير، الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بـ(الشيخ العراقين) والمُتوفى سنة ١٢٨٥هـ، وقد أوقفها على أن يكون الواقفُ منِ بعدِه نجليه الشيخ علي والشيخ مهدي، وكانت تحتوي على كل ما هو نفيسٌ وثمين جداً، من الكتب والمخطوطات بضمنها النسخة اليتيمة، لترجمة العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي لأحد الكتب اليونانية القديمة، وقد قام المتحف البريطاني بابتياعها والحصول عليها بطرقٍ مُلتوية، وتعتبر هذه النسخة الوحيدة من المحفوظات الأثرية لهذا المتحف العالمي الشهير، كما كانت تضم أيضاً كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكتاب «المحيط» للصاحب بن عباد، و قد تبعثرت هذه الخزانة النفيسة فيما بعد وفاة مؤسسها ونجليه، وتمّ نقل أكثر مخطوطاتها إلى المكتبة الجعفرية الكائنة بالمدرسة الهندية، وقد تطرق لذكر نماذج من الكتب

الثمينة بها، المؤرخ العربي المعروف جورجي زيدان في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية».

مكتبة المازندراني:

وهي عائدةً إلى العالم والمجتهد، والمرجع الكبير، الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري المُتوفى سنة ١٣٠٩هـ، وقد جمعَ فيها أُمهات الكتب، والمُصنفات العلمية والفقهية، والتاريخية ومجاميع من المخطوطات الثمينة، ومن أهم نفائس الكتب التي كانت فيها، كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد تطرّق لذكرها جُرجي زيدان، في كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» وبعد وفاة مُؤسسّها، انتقلت إلى نجله الأكبر العلامة الشيخ حسين المُتوفى سنة ١٣٣٩هـ، ومن ثم إلى حفيده الشيخ أحمد بن الشيخ حسين المتوفى سنة ١٣٧٦هـ، وبعد وفاة هذا الأخير تبعثرت وتفرقت الكتب بها، ولم يعد يُعرف عنها شيء اليوم.

مكتبة السيد عبد الحسين الكليدار:

وكانت تعتبر في طليعة المكتبات العلمية القيمة في العراق خلالَ النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، لما اشتملت عليه من أنفس المخطوطات، وأثمن المطبوعات، وأغنى المواضيع والمواد العلمية، والتاريخية، والاجتماعية، ونظراً لأهميتها العلمية والتاريخية فقد نوّه بها عددٌ من المؤرخين، منهم العالم الرجالي المعروف الشيخ آغا بزرك الطهراني، الذي أشار لبعض كتبها النادرة في اجزاء من موسوعته القيمة «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، وجورجي زيدان في كتابه «آداب اللغة العربية»، وكانت إلى جانب ذلك كمنتدىً للأدباء، والشعراء، والعلماء، وقد زارها عددٌ من كبار المُستشرقين، بينهم المستشرق الفرنسي «ماسينيون»، والمستشرقة البريطانية «مس بيل»، ولكن لم تدم طويلاً، إذ شبّ فيها الحريقُ وطالَها التلف أثر حادثةِ حمزة بيك المعروفة سنة ١٣٣٣هـ، ثم أعادها إلى الوجود مؤسسُها بشراءِ الكتب واستنساخ بعض المخطوطات النادرة التي تبحث بمواضيع تاريخية

وعلمية شتىٰ، وقد انتقلت بعد وفاته سنة ١٣٨٠هـ إلى نجله السيد صالح الكليدار، الذي كـان قد تـولىٰ سِدانـة الروضـة الحسينية الشـريفة في حيـاة والده السيد عبد الحسين، حينما عزف الأخير عن هذه المهمة لنجله مُتفرعاً للبحث والمطالعة والتأليف، وقد قام مؤخراً حفيده السيد عادل بن السيد صالح الكليدار، بتنسيق، وتنظيم، وتبويب الكتب الموجودة فيها ، مُضيفاً إليها مجاميعَ من الموسوعات العلمية والتاريخية والاجتماعية.

مكتبة القزويني:

انشأها العلامة السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط» والمتوفى سنة ١٢٦٢هـ، اشتملت على كتب الحـديث، والفقه، والتفسير، والتاريـخ، واللغة، والآداب،وكذا مجاميع من المخطوطات النفيسة والنادرة بما يزيد على (٢٠٠) مخطوطة، تولى ادارتها بعدَ وفاةِ مُؤسّسها نجلُه العالم الفاضل السيد باقر القزويني المعروف بـ«الشهيد آغا بزرك»، ومن ثم حفيده العلامة السيد حسين القزويني أحد رجالات الثورة العراقية الكبرى المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، غير أن هذه المكتبة تعرضت للحريق سنة ١٣٣٠هـ، ولم يسلم من الحرق سوى عدد قليل من كُتبها، ومن أهم الكتب المتبقية منها كتاب «المحيط» للصاحب بن عباد، و«مناسك الشاهوردية»، و«نتائج الأفكار»، والطريف أن صاحبَ ومؤسس هذه المكتبة ـ السيد إبراهيم القزويني ـ كان هاوياً بالتعليق كتابةً وبخط يده علىٰ هوامش أكثر الكُتب التي احتفظ بها في مكتبته، وخاصة تلك التي تُعالج القضايا الفلسفية والحِكمية، ولا تزال آثارُ تعليقاته هذه موجودةً حتى اليوم.

مكتبة الشيخ الخوئي:

مكتبة بائدة، كان قد أسسها العلامة الشيـخ أبو القـاسم بن الشيخ عبد الله الخوئي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، كان عالماً ومُحققاً فذاً، اشتهر أمره بالتدريس والبحث العلمي في مدرسة «صدر أعظم النوري» بكربلاء، وتخرّج عليه عدد كبير من العلماء والفضلاء، غير أنه كان خافت الذكر، صلّى على

جثمانه المرجع الديني الأكبر، المرجوم السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني.

جمع في مكتبة الكثيرَ من الكتب النفيسة والثمينة جداً، لكنّها تفرقت بعد وفاته، إذ بيع أكثرها في مزادٍ علني، وقيل في حينه أن المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الاصفهاني، قد اشترى قسماً من كتبه، كما شوهد بعض المخطوطات النفيسة العائدة لمكتبة الشيخ الخوئي في المكتبة العامة لروضة الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة، ومن جملة مخطوطاتها التي تحتفظ بها المكتبة الرضوية العامة حتى اليوم: كتاب «تعقيبات الصلاة» للسيد كاظم بن باقر الموسوي الكشميري الحدبيلي، وكتاب «الحسينية في الأصول الدينية والفروع العبادية» للمولى عز الدين جعفر بن شمس الدين الآملي، وكتاب «شاهان دركربلاي مُعلّى» وهو كتاب فارسي يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ١١٢٨هـ.

وللمرحوم الشيخ أبي القاسم الخوئي مؤلفات لا تزال مخطوطة منها: كتاب «إزالة الأوهام عما اشتهر في الأسماء والأعلام».

مكتبة البغدادي:

أسسها العلامة السيد علي بن السيد مهدي البغدادي، وكان من العلماء الأفاضل في كربلاء، وقد جمع بها الكثيرَ من الكتب الخطية والمطبوعة، لكن هذه الكتب توزعت بين ورثته فبيع أغلبُها، ونقل عن العلامة السيد مرتضىٰ الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٣٨٩هـ، قولُه: كان المرحوم السيد علي البغدادي من تلامذة العلامة الكبير السيد الميرزا محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفى بكربلاء سنة ١٣١٥هـ، وله إجازة منه في الاجتهاد، ومن مؤلفاته المطبوعة «رسالةٌ في الكُرّ».

مكتبة السيد عاشور:

مؤسسها السيد- طالب السيد عاشور، كانت تضم كتباً مُستنسخة، كان

صاحبها مُولعاً وهاوياً بجمعها والاحتفاظ بها في مكتبته، ونقل عن العالم البحاثة المرحوم السيد عبد الحسين الكليدار صاحب «تاريخ كربلاء المُعلى» قوله: أن كتاب «الدّرُ النظيم» لمؤلفه جمال الدين الشامي وهو كتاب ثمين وقيم جداً، توجد نسخةٌ منه عندَ ورثةِ السيد طالب السيد عاشور، وهي مستكتبة من على النسخة التي كانت موجودة بمكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني.

مكتبة أبي الحب:

كانت تعود في الأصل إلى الخطيب الكربلائي الشهير، و الذائع الصيت، الشيخ محسن بن الحاج أبي الحب والمتوفى سنة ١٣٠٥هـ، واشتملت على أمهات الكتب في الفقه، والتاريخ الإسلامي، والأدب، والشعر، واللغة، ومجاميع من المخطوطات النفيسة، وانتقلت بعد وفاته إلى نجليه وهما: الخطيب الشيخ محمد حسن أبو الحب، والدكتور جليل أبو الحب.

مكتبة السيد الحائري:

أسسها العالم الفاضل السيد علي أكبر بن السيد مير حسين القزويني الحائري، الذي ترجمه العالم النسّابة الشيخ آغا بزرك الطهراني بقوله: كان من أهل الفضل والمعرفة في كربلاء، وكانت لديه مكتبة نفيسة، وقَفَ كثيراً منها على المُنتفعين وجعلَ التولية للسيد هاشم القزويني المتوفى بكربلاء سنة ١٣٢٧ هـ، رأيتُ جملةً من تلك الكتب في مكتبة مدرسة الهندي ـ المكتبة الجعفرية ـ وكانت وفاةُ المتَرجم له بعد سنة ١٣٠٠ هـ، وبعد وفاة متوليها (السيد هاشم القزويني) تَمَّ نقل جلّ كتبها إلى مكتبة المدرسة الهندية.

مكتبة السيد محمد باقر الحجة:

كانت تُعتبر في حينها من خزائن الكتب النفيسة جداً، حوت مخطوطاتٍ ومَطبوعات ناهز عددُها في بداية تأسيسها ثلاثمائةَ مجلد كتاب، كان قد جرىٰ

تجميعُها منذ عهد العالم الكبير، السيد علي طباطبائي صاحب «الرياض»، وانتهىٰ بها المطاف إلى أحد أبناء أحفاده وهو السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٣١ هـ، وانتقلت بعد وفاته إلى نجله السيد محمد صادق بنِ محمد باقر الحجة المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ، وبعد وفاة هذا الأخير وزعت كتُبها بين نجله العالم الفاضل السيد باقر الحجة ـ نزيل مدينة مشهد المقدسة ـ وابن عمّه العالم المرجع السيد عبد الحسين الحجة بن السيد علي المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ، ولا يزال قسمٌ من كتب هذه المكتبة موجوداً في مدرسة المجاهد العلمية.

مكتبة السيد عبد الحسين الحجة:

اشتملت في حينها على ألفٍ ومئتي مجلد كتاب بين مطبوع ومخطوط، وقد عَنىٰ واهتمّ بها صاحبُها المرحوم السيد عبد الحسين الحجة، وزاد عليها مجاميعَ كبيرةً من الكتب المطبوعة ذات القيمة العلمية، وقد بيعت بمُجملها بعد وفاته سنة ١٣٦٣ هـ، إلى قريب له وهو السيد محمد مهدي الحجة الطباطبائي.

وكانت تُوجد بين الكتب النفيسة والقيمة فيها، نسخةٌ خطية نادرة لكتاب (عمدةُ الطالب في أنساب أبي طالب) لمؤلفه السيد أحمد مُهنّا الداودي، ونسخةٌ يتيمة لكتاب (مُغنى اللبيب) في قواعد اللغة العربية لمُؤلّفه ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، المولود في القاهرة سنة ٧٠٨ هـ والمتوفى سنة ٧٦١ هـ، وقيل في حينه أن فريقاً من المصريين المعنيين بالمخطوطات الأثرية ذهب إلى كربلاء لشراء هذه النسخة الثمينة والنادرة، بغرض طبعها ونشرها، إلّا أن صاحبها السيد محمد مهدي امتنع عن بيعها فبيعت بعد وفاتِه، ولا تزال البقية الباقية من كتبها المطبوعة والمخطوطة موجودةً في العمارة الملحقة بمدرسة حسن خان العلمية، وقد تولّى الإشرافَ عليها، نجلُ صاحبها الأخير «السيد محمد مهدي» المذكور آنفاً وهو السيد عباس الحُجة.

مكتبة السيد محمد حسين المرعشي:

أنشأها العلامة الكبير، السيد الميرزا محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٥ هـ، وقد جمع فيها مؤلفات والده الحاج الميرزا علي الكبير، والتي يزيد عددُها على عشرين كتاباً وكذا مؤلفاته هو بالذات، والتي يبلغ عددُها نحوَ مائة مجلد تقريباً، وقد ضمّت فيما بعد، مؤلفات نجله العلامة السيد الميرزا علي المرعشي الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ، والتي بلغ تعدادها ما يقربُ من خمسينِ مجلداً، ومن أنفس الكتب الخطية بها كتاب (زوائد الموائد)، الذي يبحثُ في علوم شتىٰ، وقد أشارَ إلى بعضِ الكتب فيها، الشيخ آغا بزرك الطهراني في أجزاءَ من موسوعته «الذريعة»، كما كانت تُوجد بها نسخةٌ خطيّة منقوصةٌ في أوّلها وآخرِها لكتابِ (القانون) لأبي علي بن سيناء الطبيب والفيلسوف الإسلامي الشهير، وقد شرحَ عليها صاحبُ المكتبة «السيد محمد حسين المرعشي» قائلاً: إنها بخط مُؤلفها أبي علي بن سيناء نفسه، ونُقل عن المُحقق البحاثة السيد صالحِ الشهرستانيِ قولُه: اطلعتُ على هذه النسخة الفريدة في تلك المكتبة قبلَ أربعين عامةً، ولا يُعلم أينَ هي الآن.

مكتبة السيد مرتضى الكليدار:

أقامها المرحوم السيد مرتضىٰ نجل السيد مصطفى آل ضياء الدين، حينما كان سادناً لروضة سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء، وكانت في موقع قريب من مدخل هذه الروضة الشريفة، وقد حوت على ذخائر من التراث الثقافي الإسلامي، والفكر الحضاري، ومجاميع كبيرة من المخطوطات القيمة والنفيسة جداً، وكانت إلى جانب ذلك مُلتقىً لرُوّاد الفكر والأدب والشعر، مَنْ يعنون بقضايا العلم والمعرفة، تبعثرت وتفرّقت هي الأخرى ولم يبقَ منها شيءٌ يُذكر، والجدير بالذكر أن تاريخ افتتاحها، كان يوم التاسع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٩ هـ.

مكتبة حسن الأخباري:

كانت تحوي مجموعاتٍ كبيرةً من الكتب العلمية، والدينية، والرسائل العملية، والمخطوطات النفيسة، والمطبوعات النادرة، وقد أشار إلى بعض كُتبها المخطوطة، الشيخ آغا بزرك الطهراني في أجزاءَ من موسوعته «الذريعة»، وبعد وفاة صاحبها «المولوي حسن يوسف الأخباري» انتقلت إلى ابن أخيه محمد جواد الأخباري، الذي عنىٰ بها وحرص عليها طولَ حياته، وبعد وفاة هذا الأخير، قام شقيقهُ محمد صالح الأخباري ببيع قسمٍ منها، وأهدي القسمَ الآخر إلى الميرزا عباس آل جمال الدين، وبذلك تفرّقت أجزاءُ هذه المكتبة فلم تعد قائمةً بعد.

مكتبة الشيخ علي اليزدي:

كانت تحوي النفيسَ والنادر من المخطوطات والكتب المطبوعة، ذكر بعضَها الشيخُ آغا بزرك الطهراني في موسوعته «الذريعة»، ولا يُعرف مصيرُها اليوم، وكان صاحبُها الشيخ علي ابن الشيخ زين العابدين البارجيني اليزدي الحائري الشهير بـ(شهرنوي)، والمتوفى بكربلاء سنة ١٣٣٣ هـ، عالماً، فاضلاً، ومُدرّساً قديراً، ومُصنّفاً بارعاً، له من المؤلفات؛ «ألزام الناصب في إثبات الحجة الغائب» في مجلدين طُبعا سنة ١٣٥٢ هـ، و«روحُ السعادة في ذكر الأخبار المنقولة عن السادة» طُبع سنةَ ١٣٣٠ هـ، وطبع ثانيةً سنةَ ١٣٨٣ هـ،وكان الشيخ علي اليزدي يؤُمّ الجماعةَ في جامعٍ يقع بالقرب من بيته الكائن في محلة العباسية الشرقية، وقد قام بفتح بابٍ خارجَ بيته يُؤدّي إلى هذه المكتبة، فكان أهلُ العلم والفضل يرتادونها ويستفيدون من كُتبها.

مكتبة السيد هاشم القزويني:

كانت عائدةً إلى العلامة السيد هاشم بن السيد محمد علي القزويني الحائري المُتوفّى سنة ١٣٢٧ هـ، وقد حوت مجموعاتٍ من الكتب في الفقه والأصول، والكلام، والحديث، وأكثرُها مخطوطة، بينها كتاب نادر وفريد في

نـوعه بـاسم (إحقاق الحق)، أشـار إلى بعض التصانيف بهـا، صـاحبُ «الذريعة»، وقد تبعثرت وتفرقت بعد وفاة صاحبها، إذا أُهدي قسمٌ من كُتبها إلى المكتبة الجعفرية التابعة للمدرسة الهندية بكربلاء، فيما بقي القسمُ الآخر بحيازة حفيده السيد محمد كاظم القزويني صاحب كتاب «الإمام علي من المهد إلى اللحد».

مكتبة السيد الكاشاني الحائري:

احتوت على مجاميع من المؤلفات والمُصنّفات القديمة، والمخطوطات النفيسة ذات القيمة الأثرية، أوجدها العلامة السيد محمد بن السيد حسين الكاشاني الحسيني الحائري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ، وانتقلت إلى نجله السيد زين العابدين الكاشاني المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ، ونُقل عن النسّابة الشهير الشيخ آغا بزرك الطهراني قوله: إنه شاهد بين الكتب الخطية الكثيرة بهذه المكتبة كتاباً لعلم الهدىٰ ابن المحقق الفيض الكاشاني، جمع فيه رسائل الأئمة (عليهم السلام) ومنها الرسالة التي روى فيها عن الشيخ الكليني واسمه «معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة».

وعلى ذكر السيد زين العابدين الكاشاني، نرىٰ من اللزام أن نتطرق لترجمته، نظراً لأنه كان لفترة طويلة من عمد وأركان الحوزة العلمية في كربلاء: هو السيد زين العابدين بن السيد محمد بن السيد حسين الحسيني الكاشاني الحائري، كان والده السيّد محمد من أعاظم العلماء وشقيقه السيد حسين من أجلّاء الأعلام في كربلاء، وكان هو أيضاً من الفقهاء القديرين والمتبحرين، قرأ في النجف على المولى الشيخ محمد كاظم الخراساني، ثم توجه إلى مدينة سامراء، فأخذ من الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي وعاد إلى كربلاء، وبعد وفاة والده قام مقامَه حينما كانت الرئاسة العلمية والدينية في حوزة كربلاء معقودة للسيد الآقا حسين القمي، وكان يُعين هذا الأخير في الفحص عن مصادر أجوبته للمسائل، وبعد وفاة السيد القمي سنة ١٣٦٦ هـ، هاجر إلى مدينة قم واتصل بالمرجع الروحي الكبير السيد الآغا حسين

البروجردي المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، فأرسله بوكالة منه إلى الكويت فكان هناك مرجعاً للأمور الشرعية، وبعد سنتين من الإقامة في الكويت مرض فعاد إلى مدينة قم وتوفي بها سنة ١٣٧٥ هـ، له من الآثار العلمية: «أرجوزة الحج» طُبعت أخيراً باسم مناسك الحج، وذلك بسعي نجله السيد علي بن زين العابدين.

وقد اشتهر بيته، وبيت والده السيد محمد الكاشاني الحائري في كربلاء بالعلم، والفضل، والفقاهة.

مكتبة الميرزا محمد تقي المرعشي الشهرستاني:

حفلت بمجموعات من الكتب القديمة والأثرية من مخطوطة أو مطبوعة، وكانت تُوجد بين كتبها المخطوطة مؤلفات ومصنفات صاحبها العلامة السيد الميرزا محمد تقي الحسيني المرعشي الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ، ثم آلت إلى نجله الأكبر السيد علي آغا، ثم إلى حفيده العلامة السيد أحمد الشهرستاني ـ نزيل مدينة طهران ـ، وقد أودع صاحبُها فيها مجموعةً كبيرةً من الأدعية والمأثورات، التي أجهد نفسَه في جمعها واستنساخها بخطه.

مكتبة الشيخ القمي الحائري:

كانت عائدةً إلى الشيخ محمد علي بن محمد جعفر القمي، الذي كان بحق حبراً جليلاً، وفقيهاً كبيراً، قرأ في النجف على عُمد ومشايخ حوزتها العلمية، منهم المولىٰ الشيخ محمد كاظم الخراساني وكتب من تقريراته (القطع والظن والبراءة والاستصحاب)، وفي سنة ١٣٢٤ هـ هبط مدينةَ سامراء فحضر درسَ الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، وبعد فترةٍ عاد إلى كربلاء مُشتغلاً بالتدريس والإمامة وغيرها من الوظائف الشرعية، وفي سنة ١٣٤٩ هـ توجه إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد حيث التقىٰ به آيةُ الله العظمى السيد الآقا حسين القمي، فشجّعَه على التوجه إلى مدينة قم بهدف تطوير حوزتها العلمية، وعندما وصل لهذه المدينة أصرَّ عليه رئيسُ حوزتها

آنذاك الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ، بالبقاء فيها فنزل عند رغبته وقام بالتدريس والإفادة، وكان له شأن واعتبار وكان لطلاب العلم شوق ورغبة في دروسه وأبحاثه، تُوفي سنة ١٣٥٨ هـ، له من المؤلفات: «حاشية الكفاية»، و«ردّ الوهابية»، و«مختارات الأصول»، ورسالة في الاجتهاد والتقليد، وأخرى في التعادل والتراجيح، والرسالة الرضاعية، ورسالة في بطلان الترتّب، ورسالة في العدالة، وأخرىٰ في الوقف، إلى جانب كتب في الفقه (الطهارة، والصلاة، والزكاة، والخمس).

أمّا مكتبته فقد كانت تضم في حينه مجموعاتٍ من نفائس، ونوادر الكتب التي تعالج شتى العلوم، والفنون، منها المخطوطة والمطبوعة بينها نسخة نادرة من كتاب (من لا يحضره الفقيه)، وعليها إجازات متعددة، وقد ورد ذكر بعض الكتب الهامة بهذه المكتبة في موسوعة «الذريعة» بأجزائها المختلفة، وكانت عائدة للشيخ محمد علي القمي الحائري من علماء وفضلاء كربلاء، والذي اشتهر بكتابه المطبوع «كُفر الوهابية»، وقد اندرست هذه المكتبة ولم يعد لها من أثرٍ يُذكر.

مكتبة الخراساني:

كانت عائدة للعالم والمرجع الكبير، السيد الميرزا هادي الخراساني الحائري المتوفى في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ، وقد اشتملت على نسخ خطية نادرة، بينها عدد من المصاحف النفيسة والأثرية، وقد بلغ عدد الكتب المحتفظة بها على عهد صاحبها أكثر من ألفي مجلد كتاب، كان قد جمعها، وصنّفها، وبوّبها منذ صباه، وقد انتقلت بعد وفاته إلى نجله العلامة السيد مهدي الخراساني، الذي لم يبقَ بعد وفاة والده الجليل في كربلاء طويلاً، فهاجرها إلى أوروبا وأمريكا هادياً ومُرشداً ومُبلّغاً إسلامياً إلى يومنا هذا.

مكتبة الشيخ السُنقري:

كانت عائدةً إلى العالم الجليل، والمؤلف القدير، الشيخ محمد علي الحائري السنقري، المتوفى سنة ١٣٧٨ هـ، والذي كان من مشاهير العلماء

الأجلاء في حوزة كربلاء، حوت هذه المكتبة مجلدات ضخمة في الفقه، والأصول، والفلسفة، والحكمة الإلهية، واليونانية، وكذا مجلدات عديدة من مؤلفات ومصنفات صاحبها، بضمنها كتابُه الشهير (المشاهد المشرفة والوهابيون)، وكتابه الآخر (الرسالة العاصمية)، وقد انتقلت بعد وفاته إلى وصيّه السيد محمد رضا الطبسي.

مكتبة «أغامير» القزويني:

كانت مكتبة غنية بكتبها العلمية والفقهية الهامة جداً، بينها كتب المذاهب الإسلامية الخمسة ومخطوطات نفيسة في الفقه، والأصول، والتاريخ، والحديث، سعى لجمعها وتنسيقها صاحبُها العلامة الكبير السيد محمد حسن «آغامير» القزويني الموسوي، المتوفى بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٣٨٠ هـ، وقد بيع قسمٌ من كتبها بعد وفاته، فيما لا تزال البقية الباقية منها تُعتبر في عداد خزائن الكُتب الهامة في كربلاء.

مكتبة السيد القمي:

كانت تشتمل في حينها على مجاميعٍ كبيرة من الكتب الفقهية والأصولية، ذات القيمة العلمية المُتزايدة جداً، إلى جانب كتبٍ وأبحاث ودراسات مطبوعة ومَخْطُوطة لعلماء الإمامية، المشاهير والمراجعِ الدينيين العظام، أصبحت فيما بعد حياتهم كتبَ مصادر دراسية وتحقيقية، بالنسبة لكل عالم مجتهد يسعى للتفقّه بدرجات أعليٍ في علوم الدين، وشرعة الإسلام، وكذا لكل طالب علم نابه متفوق، فضلاً عن كتب كثيرة ومتنوعة تبحث في التاريخ الإسلامي، وعلم الكلام، والتفسير، والحديث، والرواية، وعلم الرجال، والسِيَر، وبعد وفاة صاحبها المرجع الكبير، والعلامة الفهّامة، السيد الحاج آقا حسين القمي في سنة ١٣٦٦ هـ، احتفظ بها نجلُه العلامة السيد الحاج آغا مهدي القمي، الذي خلف والدَه في أمور الفتيا، وإقامة الجماعة في صحن الروضة الحسينية الشريفة لفترة من الزمن، قبل أن يُغادر

كربلاء مُهاجراً إلى لبنان ومن بعدُ إلى إيران، حيث وافاه الأجل المحتوم سنة ١٤٠٦ هـ.

مكتبة السيد محمد رضا البهبهاني:

كانت مكتبةً نفيسةً للغاية، حوت الآلافَ من الكُتبِ العلمية الدينية بين مطبوعة ومخطوطة، بضمنها مجموعاتٌ من الكتب والمُصنّفات المُتعلقة بتراثِ الشيعة، والمذهب الجعفري الإمامي، ذات المجلدات الكثيرة مثل كتاب «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي، والذي يتألف من عشرات المجلدات، وقد كانت النسخةُ المحتفظة بها في هذه المكتبة من كتاب «البحار» نسخةً نفيسةً وقديمةً جداً، ورثَ المكتبةَ العلامةُ الكبير الحاج السيد محمد رضا البهبهاني عن أسلافه من آل البهبهاني، الذين اشتهروا جميعاً في كربلاء بالعلم، والفضل، والمقدرة، والضلوع بالقضايا الدينية، وقد قامَ هو نفسُه باقتناء جملةٍ من أنفس وأثمن المطبوعات والمخطوطات، خلالَ تواجده في كربلاء فزادَ بذلك من أهمية وقيمة مكتبته العلمية، ولا يُعرف مصيرُها بالضبط الآن، نظراً لأنّ آلَ البهبهاني انتقلوا في فترات مُتعاقبة إلى إيران، وقد تكون الكتبُ بها قد وزّعت وتفرقت بين أبناء وأحفاد العلامة السيد محمد رضا البهبهاني، الذي سبَقَ غيرَه في الرحيل عن كربلاء خلالَ العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجري، وتوطن آنذاك في طهران، حيثُ برز ولمع اسمه في مشاهير علماءِها وأجلّاء فضلاءها وأئمةِ الجماعة بها، إلى أن وافاه الأجل المحتومِ في حجّة للديار المقدسة سنة ١٣٨٩ هـ.

مكتبة السيد الميرزا مهدي الشيرازي:

كانت مكتبة عامرة وحافلة في حينها بكل ما هو جديد وقديم من كتب الفقه، والأصول، والحديث، والسيرة، والتفاسير، والتواريخ، كما كانت تضم مجاميع من الكتب المخطوطة النادرة التي كانت تشكل في حينها التركة العلمية الزاخرة لبيت الشيرازي، الذي اشتهر جُلّ أفراده بالعلم، والفضل،

والتأليف، والتصنيف، والبحث، والتحقيق، إلى جانب مصنفات هؤلاء بضمنها المصنفات المخطوطة لصاحبها السيد الميرزا مهدي الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، وقد احتفظ بهذه المكتبة وعني بها أكثر فأكثر بعد وفاته، نجلُه الأكبر آية الله العظمي السيد محمد الشيرازي، الذي أضاف إليها مجموعات ضخمة من الكتب المطبوعة والمخطوطة والكتب العديدة التي قام بتأليفها هو وأشقاؤه، وبالأخص المغفور له السيد حسن الشيرازي، الذي ترك مؤلفات إسلامية وفكرية مطبوعة ومخطوطة، هي على جانب كبير من الأهمية علمياً وثقافياً. وقد بلغ تعداد الكتب بها عدة آلاف مجلد، وقد تفرقت برحيل بيت الشيرازي من كربلاء سنة ١٣٩١ هـ.

مكتبة الخطيب:

أسسها العالم والفقيه المحقق، الشيخ محمد الخطيب المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، وقد جمع فيها أعداداً كبيرة من كتب المصادر الفقهية، والأصولية، والتاريخية، والكتب الدينية الدراسية، والتوعوية والثقافية، القديمة والحديثة، إضافة إلى عشرات من المخطوطات القيمة، انتقلت عمادة هذه المكتبة بعد وفاته إلى نجله الشيخ عبد الحسين الخطيب، الذي يتولى في الوقت نفسه إدارة مدرسة دينية باسم الخطيب كانت عمادتها لوالده من قبل.

مكتبة البحراني:

تعود إلى السيد محمد طاهر بن محمد بن محسن الموسوي البحراني، المتوفى في ٦ صفر سنة ١٣٨٤ هـ، من مشاهير العلماء وأئمة الجماعة في كربلاء، اشتملت على مصنفات كثيرة في الفقه وسائر العلوم الدينية، والأنساب والتراجم، والعديد من نفائس الكتب النادرة، مثل كتاب «النفحات العنبرية في أنساب خير البرية» بقلم السيد أبي الفضل محمد الكاظم بن أبي الفتوح الأوسط الحسيني، وقد جرى استنساخها سنة ٨٩١ هـ، وكذا نسخة نفيسة من المصحف الشريف، يُنسب خطُه إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

مكتبة الشيخ محمد مهدي المازندراني:

أسسها الشيخ محمد مهدي بن الشيخ عبد الهادي المازندراني الحائري، المتوفى بتاريخ ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٨٥ هـ، وقد حوت الكثير من كتب الفقه، والأصول وتواريخ، وتراجم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) إضافة إلى نفائس المخطوطات القديمة ذات القيمة الأثرية، ويحتفظ بكتبها اليوم في زاوية من مدرسة دينية، كان قد شيّدها بسعيه شخصياً.

مكتبة العلامة السيد عباس الكاشاني الحائري:

مكتبة خاصة أسّسها العلامة السيد عباس الكاشاني الحائري في داره بمدينة كربلاء، وقد احتوت على جملة من المخطوطات النفيسة التي جلبها من مكتبات أخرى بضمنها: مجموعة في علم الأصول، هي تقريرات العالم والفقيه النحرير، والشيخ علي بن أحمد البفروئي اليزدي الحائري، المتوفّى بحدود سنة ١٣٢٤ هـ، قال النسابة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «نقباء البشر»: أنه رآها عند السيد عباس الكاشاني، وحينما هاجر صاحب هذه المكتبة من كربلاء قادماً إلى إيران، نقل كتبها معه وهي الآن محفوظة في داره بمدينة قم المقدسة.

مكتبة العلامة الأعلمي:

جمعها ونسّقها العلامة الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ، وقد ضمّت في حينه أعداداً كبيرة من كتب العلوم الدينية، والتواريخ، والتراجم، بما يربو على ألفي مجلد كتاب وبضمنها الكتب المطبوعة النادرة مثل: معجم البلدان، ومعجم الأدباء، ولسان الميزان، وتهذيب التهذيب، وتاج العروس، وكان صاحبها المرحوم الأعلمي، قد أمضى سنوات طويلة من عمره في تأليف موسوعة كبيرة سمّاها «مُقتبس الأثر ومُجدّد مادثر»، وقد طبع منها حتى الآن ثلاثون مجلداً.

مكتبة السيد محمد الطباطبائي:

أنشأها في الأصل، العلامة السيد مرتضى بن السيد مهدي الطباطبائي

المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ، وبعد وفاته آلت إلى نجله العلامة السيد محمد الطباطبائي، من علماء وأئمة الجماعة في كربلاء، يبلغ تعدادُ كتبِها ما يزيد على ألف ومئتي مجلد كتاب يختص بالتاريخ، والتفسير، والفقه، وعلم الأصول، واللغة، والآداب.

مكتبة السيد محسن الكشميري:

كانت عائدة للسيد محسن بن السيد علي الحسيني الجلالي الكشميري المتوفى بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٣٩٦ هـ، من أفاضل العلماء الورعين، والزُّهّاد في كربلاء، جَمَعَ فيها أعداداً كبيرة من الكتب المطبوعة والمخطوطات النفيسة التي تُعالج شتىٰ العلوم الدينية والفلسفية.

مكتبة الشيخ عبد الزهراء:

حفلت هذه المكتبة بمجاميع من الكتب والمصنفات العلمية، والدينية، وبأُمهات كُتب المصادر في التاريخ الإسلامي، والفقه، واللغة، والأدب، وكان صاحبُها الشيخ عبد الزهراء الكعبي المتوفى بتاريخ يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٤هـ، خطيباً حسينياً إلى جانب أحاطته وإلمامه الجيّد بالعلوم المختلفة كالفقه، والنحو، والأدب، والتاريخ.

مكتبة السيد أحمد الفالي:

كانت مكتبة عامرة، بلغ مجموع الكتب المطبوعة والمخطوطة فيها بحدود خمسة آلاف مجلد كتاب، وذلك قبل أن يتم تعطيلها بعد سنوات قلائل من مغادرة صاحبها لمدينة كربلاء، ومجيئه إلى إيران.

أقامها السيد أحمد الفالي في بيته بكربلاء منذ سنة ١٣٨١ هـ، ضمنَ غُرفتين كبيرتين مليئتين بأدراج الكتب المرصوصة من الأرض حتى السقف، وكانت تحتوي على مجموعات كبيرة من كتب الحديث، والتفسير، والتاريخ الإسلامي، والفقه، والأصول، والمعاجم، وكتب الرجال، والسير، مثل تاريخ

الطبري، وتفسير الطنطاوي، والتهذيب، والاستبصار لشيخ الطائفة إبي جعفر الطوسي، والتذكرة للعلامة الحلّي، والكافي، والبحار، وجواهر الكلام، وغيره.

وبعد هجرة صاحبها من كربلاء، تم نقل مئات من كتبها إلى إيران، وهي الآن محفوظة في داره بمدينة قم.

مكتبة الشيخ جاسم الأخباري:

تأسست بسعي الشيخ جاسم الشيخ حسن الأخباري الحائري، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ، وقد حوت كتباً ومصنفات قيمة في مواضيع الفقه والأصول والتفسير، واللغة، والآداب، والتاريخ، بما يفيد حقاً كل الباحثين والمُحقّقين في مثل هذه العلوم، وقد آلت إلى حفيده الأديب الفاضل ضياء محمد حسن الأخباري.

مكتبة السيد مرتضى القزويني:

كانت تعود للخطيب السيد مرتضى بن السيد محمد صادق القزويني، وقد أقامها في داره بكربلاء، وجمع فيها كتباً ومخطوطات نفيسة ونادرة، اقتناها خلال زياراته ورحلاته الكثيرة إلى مختلف دول العالم، وبخاصة البلدان الإسلامية بوصفه خطيباً حسينياً، ومُبلّغاً إسلامياً شهيراً.

خزانة كتب السيد كاظم النقيب:

جمعها وعَنى بها الخطيب والأديب الشهير السيد كاظم بن السيد محمد بن السيد فاضل النقيب من آل دراج الموسوي، وهي تضم مجموعات كتب ترتبط بالفقه، وأصوله، والحديث، والسير، والتراجم، والتاريخ، والثقافة الإسلامية.

مكتبة يوسف الأشيقر:

كانت مكتبة حافلة بالكتب القديمة والحديثة، بضمنها تفاسير القرآن

الكريم كتفسير الطنطاوي، والجوهري، والطبرسي، وسيد قطب، والزمخشري، إضافةً لمعظم الصحاح، وكذا كتب دينية وتاريخية تتعلق بنحلٍ ومِلَل إسلامية مختلفة، وبعد وفاة صاحبها سنة ١٩٤٤ للميلاد، انتقلت غالبيةً كتُبها إلى نجله السيد عبد الصاحب الأشيقر، الذي أصدر جريدةً في كربلاء باسم «شُعلة الأهالي».

مكتبة السيد عبد الرزاق الوهاب:

فيها كتبٌ خطية نادرة منها كتاب «الجواهر الزاهرة والفواكه المُثمِرة»، وكتاب «نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين» للسيد حسن الصدر، ومن جملة المخطوطات النادرة بها جداً، كتاب باللغة الفارسية اسمه «كاشف الإعجاز» لمؤلفه العالم الفاضل، محمد إبراهيم بن محمد كريم الهمذاني الأصل والكربلائي المسكن، كتبه سنة ١٢٤٤ هـ، ويبحث فيه حادثة المناخور، وهي من أشهر الحوادث المؤسفة التي مرّت بكربلاء بعد غارة الوهابيين عليها، وذلك في عهد الوالي داود باشا العثماني، الذي تحدّاه أهالي كربلاء، ورفعوا رايةَ العصيان ضدَّه، وقاوموا الحصارَ الذي ضربه بجيشه حول مدينتهم لمدة أربع سنوات، أي من سنة ١٢٤١ إلى ١٢٤٥ هـ.

مكتبة السيد سلمان هادي آل طعمة:

انشأها صاحبها في داره بكربلاء سنة ١٣٧٢هـ، وقد أضاف عليها مجاميع من الكتب القديمة والحديثة بمرور الزمن، حتى أصبح عددُها اليوم بما يزيد على ثلاثة آلاف مجلد كتاب، بينها العشرات من المخطوطات التي تتعلق موضوعاتها بالتاريخ، والأدب، والشعر، والتراجم، وسير العلماء، اضافةً إلى أرشيف زاخرٍ من الصحف والمجلات العربية القديمة، وكذا دواوين الشعر القديم والحديث، والجدير بالذكر أن السيد سلمان هادي هو مؤلف إسلامي، وشاعر ملتزم، ومن مؤلفاته القيمة جداً كتابه الثمين «تراث كربلاء»، ومن مؤلفاته القيمة جداً كتابه الثمين «تراث كربلاء»، الذي يتناول

فيه بالبحث والدراسة تاريخ كربلاء ماضياً وحاضراً، وما لها من ذخائر وتُراث ديني، وعلمي، وأثري، وحضاري.

مكتبة الراجة محمود آباد:

أوجدها في الأصل، الأمير محمد أحمد خان الشهير بالراجة محمود آباد، وهي مكتبة قيمة ونفيسة، معظمُ الكتب المطبوعة والمخطوطة بها يُعالج الفقه، وأصول الدين، والحديث، والأخبار، وتحتوي أيضاً على مجموعات أبحاث علمية، وكتب المصادر الهامة، وقد تولى الأشراف عليها لفترةٍ من الزمن، السيد محمد حسين الأديب الذي كان مُديراً لمدرسة «الحسين» الابتدائية.

المكتبة المركزية:

هي من أشهر المكتبات العامة في كربلاء، يرجع تاريخُ تأسيسها إلى عام ١٩٤٤ للميلاد، ويبلغ عدد الكتب المحتفظة بها اليوم أكثر من (١٥) ألف مجلد كتاب، بينها مجاميع عديدة من الكتب التي أودعت فيها من جانب أصحاب مكتبات خاصة وعامة أخرىٰ، وكانت تُسّمىٰ في السابق «مكتبة المعارف العامة».

مكتبة سيد الشهداء الحسين عليه السلام:

كانت مكتبة عامة حافلة بالكتب القيمة، بما يزيد على سبعة آلاف وخمسمائة مجلد كتاب، يرتادها الشباب المثقف وهواة المطالعة والتحقيق، وكانت توجد بين كتبها نسخ خطية نادرة الوجود، وكانت إلى جانب ذلك مُلتقىً للشباب المتحمس للقضايا الإسلامية، وتُلقىٰ فيها المحاضرات الدينية التثقيفية. وقد سعى لتأسيس هذه المكتبة، وتطويرها، وتوسيعها، العالم الفاضل السيد نور الدين الميلاني، وهو النجل الأكبر لآية الله العظمى السيد هادي الميلاني.

وكان موقعها في محلة العباسية الغربية، ولا وجود لها اليوم، بعدما رحل مؤسسها عن كربلاء، واختار الأمامة في مدينة الري بالقرب من مدينة طهران بإيران، منذ أكثر من عقدين من الزمن وحتى يومنا هذا.

مكتبة أبي الفضل العباسي عليه السلام:

وهي أيضاً من أشهر المكتبات العامة في كربلاء، حيث يرتادها يومياً العشرات من المثقفين، وهواة المطالعة والتحقيق، ومن الزائرين والوافدين، للتشفع بروضتي الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام)، وقد بلغ تعداد الكتب بها حتى وقت قريب أربعة الآف مجلد كتاب، بينها كتب كثيرة ومخطوطات نفيسة مُهداة لها من قبل بعض أهالي كربلاء، وتقع هذه المكتبة عند مدخل باب القبلة، الصحن روضة سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام.

مكتبة القرآن الحكيم:

تأسست بسعي آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي عام ١٣٨٧هـ، و ذلك أبان ترأسه لحركة التدريس والفتيا في حوزة كربلاء، وقد ضمت ما يربو على تسعة آلاف كتاب، وكان مكتبة عامة يرتادها الناس المتعلمون للاستفادة من موضوعات الكتب فيها، والتي هي في معظمها كتب إسلامية تثقيفية، وكذا مجلات ومنشورات وكراسات دينية ثقافية تُلبيّ حاجة كل راغب في التفقه بالدين، والمبادىء والأسس القويمة للمذهب الشيعي الإمامي، وكان موقعها خلفَ المخيم الحسيني، ولا وجودَ لها اليوم.

مكتبة السيدة زينب الكبرى:

كان موقعها في الزقاق المواجه لباب الزينبية لصحن الروضة الحسينية، وقد سعى لتأسيسها في سنة ١٣٨٦هـ، الخطيب الحسيني الشهير السيد أحمد السيد هادي الحسيني المرعشي الشهرستاني، وقد حوت على أكثر من ألف وستمائة مجلد كتاب في شتىٰ العلوم والفنون، وقد جرى تعطيلها في الآونة الأخيرة.



مكتبة مدرسة البادكوبة:

كانت بها مصادر حسنة في الفقه، والأصول، والتاريخ الإسلامي، واللغة، والتراجم، وكتب السير، وكان يتوافد عليها رواد العلم والثقافة، وهواة البحث والتحقيق، للاستفادة من كتبها المتنوعة. وقد تأسست بداخل قاعة كبيرة في الدور الثاني لمدرسة البادكوبة المعروفة باسم مدرسة الترك، أو مدرسة أهل البيت الكائنة في زقاق الداماد، وذلك بسعي المرحوم العلامة الشيخ محمد الكرباسي، والعلامة السيد أحمد الفالي، وقد تولى هذا الأخير (السيد الفالي) عمادتها حتى لحين مغادرته كربلاء، في حدود سنة ١٣٩٠هـ.

والجدير بالذكر أن التاجر الكويتي الحاج جمعه كان قد تبرع ببناء الدور الثاني لمدرسة البادكوبة، في العقد التاسع للقرن الرابع عشر الهجري، وقد احتوىٰ هذا الدور على غرف عديدة، لسكن طلاب العلوم الدينية وقاعة كبيرة خُصصت لانشاء مكتبة كبيرة ظلّت قائمة حتى لوقت قريب.

المكتبة الجعفرية:

تأسست سنة ١٣٧٢هـ، بجهود جمعٍ من العلماء المُبرزين في حوزة كربلاء بغرض صيانة التُراث العلمي والأدبي، والحفاظ عليها من الضياع، وموقعها في المدرسة الهندية الكائنة في زقاق الزعفراني قريباً من الروضة الحسينية الشريفة، وهي تحتوي على ما يزيد على أربعة آلاف كتاب، وقد سُميت بالجعفرية، تيمناً وتشفعاً باسم رئيس المذهب الشيعي الإمامي، سيدنا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

مكتبة الروضة الحسينية:

تشتمل على خمسة عشر ألف كتاب مطبوع ومجاميع من الكتب المخطوطة، تأسست سنة ١٣٩٩هـ، ومقرُها بجوار الروضة الحسينية الشريفة.

مكتبة النهضة الإسلامية:

كانت حافلة بالكتب الدينية والثقافية المختلفة بما يربو على ثلاثة آلاف

مجلد كتاب، إضافة إلى مخطوطات ثمينة ومجلات قديمة وحديثة، تأسست عام ١٣٨٠هـ، وكان موقعها بمسجد يقع مقابل باب الصافي لصحن الروضة الحسينية الشريفة، غير أنه لا وجود لها اليوم، بسبب تنفيذ مشروع الشارع الكبير، الموصل بين الروضتين الشريفتين الحسينية والعباسية.

خزانة مخطوطات الروضة الحسينية:

تحتوي على مخطوطات ومصاحف نفيسة وأثرية مُهداةٍ من قبل سلاطين وامراء وعلماء وأثرياء مُحسنين، وكانت هذه الخزانة تحتوي قبل هجمة الوهابيين على كربلاء في سنة ١٢١٦هـ، على مصاحف قديمة في خطها ونفيسة الغاية في أوراقها وزخارفها، نُهبت أثر هذه الهجمة، ولا يزال يُوجد بها حتى يومنا هذا (٢٧٢) مصحفاً مخطوطاً نفيساً للغاية، بينها مصحف شريف بخط الإمام زين العابدين عليه السلام، كتابتُه كوفية على رق غزال، ومصحف آخر مُذهّب بنقش أبيض على قرطاس من قماش «ترمه» بالقطع الكبير.

وحول نهب المصاحف النفيسة من خزانة الروضة الحسينية في غارة الوهابيين على كربلاء، فقد ذكر الشيخ محمد بن الشيخ عبود الكوفي في كتابه «نزهة الغري»، ما نصه الآتي: أقول ولما كنتُ في جبل حايل وهو جبل ابن رشيد، رأيتُ قرآناً عند سلامة السبهان من القرآئين التي نُهبت من كربلاء، ويقول (أي سلامة السبهان): لما غزونا كربلاء مع الإمام ابن سعود، أصبتُ هذا القرآن من الحضرة الحسينية، وكان يعرضه علينا فإذا هو قرآن كبير مخطوط مجدول بالذهب وهو من أعلى الخطوط.

والجدير بالذكر أن خزانة الروضة الحسينية كانت منذ ما يربو على سنة ٥٢٨هـ، مليئةً بالأموال، والمجوهرات الثمينة، والطنافس الحريرية، والسجاجيد الراقية جداً، وذلك إضافة إلى المخطوطات النفيسة والنادرة، ويقول أرباب السير من رجال الإمامية: أن الخليفة العباسي المسترشد بالله أمر بجمع ما في خزانة الروضة الحسينية المقدسة من أموال ومجوهرات وغيرها من النفائس، وتوزع على جيشه الذي كان قد أعدَّه لمحاربة السلطان مسعود

السلجوقي في سنة ٥٢٨هـ، مُحتجاً أن قبر الحسين لا يحتاج إلى خزن أموال، بل يجب توزيعها على أفراد جيشه فبعث أعوانه لنهب الخزانة فنهبوها وحملوها إلى الخليفة، ولم يمسوا القبر الشريف بسوء، ثم سار الخليفة العباسي ومعه الأموال المنهوبة لمقاتلة السلطان مسعود، ولما تقابل الجيشان وقع المسترشد أسيراً بيد السلطان مسعود، إذ خانه جيشه، ثم أمر السلطان مسعود بقتل الخليفة العباسي ونهب معسكره.

وجاء في كتاب البحار للمرحوم المجلسي، أنه عندما قتل المسترشد العباسي ونهبت خزانته وجُد فيها خمسة آلاف جمل، وأربعمئة بغلة، محملة بالطنافس والمجوهرات والنقود، وقدّرت تلك الأموال بعشرة آلاف دينار، مع العلم أن خزانته كانت فارغة عندما تأهبَّ لقتال السلطان مسعود قبل نهبه لأموال خزانة الروضة الحسينية.

خزانة مخطوطات الروضة العباسية:

تحتوي هذه الخزانة على (١٠٩) مخطوطة في غاية النفاسة والقدم والقيمة، وهي في مجملها مصاحف قديمة ونادرة جداً، وقد نوّه الكاتب المؤرخ ناصر النقشبندي، بثلاثة مصاحف بينها، وهي مكتوبة بالخط الكوفي واعتبرها بذات قيمة تاريخية وأثرية، ولم تسلم خزانة الروضة العباسية الشريفة كنظيرتها خزانة الروضة الحسينية المقدسة، من السلب والنهب في فترات زمنية مختلفة لكونها كانت تضمّ مجوهرات ومفروشات وطنافس نفيسة وثمينة جداً، أثارت طمع وحرص المهاجمين والمتطاولين على حرمة كربلاء المقدسة.

ملاحظة أخيرة

لقد نوهت في بداية هذا الكتاب أن الغاية الرئيسية من تأليفه هي إظهار وإبراز الدور العلمي، والنشاط الحوزوي الديني، لمدينة كربلاء المقدسة على مرّ العصور منذ أن أصبحت أرضها مباركة بالحسين الشهيد عليه السلام، وكان يلزم لذلك ذكر تراجم، وسير، وأنساب العلماء، والفضلاء، والفقهاء، والخطباء، والوعاظ، الذين زخرت بهم الحوزة العلمية في كربلاء جيلاً بعد جيل، وذلك بقدر ما توفّر لي من مصادر ومعلومات عنهم استقيتها من هنا وهناك، ولا شك أن كثيرين من هؤلاء البررة الكرام لم ترد تراجم وسير حياتهم، بسبب افتقادي لمعلومات عنهم أو مصادر تذكرهم، ولكن لي أمل وطيد في أن استطيع الحصول على تراجم أعداد أخرى من العلماء والخطباء، لكي أدرجها في الطبعات القادمة على شكل مستدركات بإذن الله وتوفيقه.

نور الدين الشاهرودي

أهم المصادر التي أعتمدت في تأليف الكتاب

عنوان الكتاب	المؤلف
موسوعة «أعيان الشيعة»	السيد محسن أمين العاملي
الكرام البررة	الشيخ آغا بزرك الطهراني
نقباء البشر	الشيخ آغا بزرك الطهراني
مدينة الحسين عليه السلام	السيد محمد حسن مصطفى آل كليدار
تاريخ كربلاء المعلى	السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة
تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام	السيد عبد الجواد الكليدار آل طعمة
موسوعة العتبات المقدسة	الدكتور جعفر الخليلي
الحقائق الناصعة في الثورة العراقية الكبرىٰ	اللواء مزهر فرعون
ملاحظات الفريد على فوائد الوحيد	الشيخ فريد الجلبايجاني
بهجة الآمال في شرح زبدة المقال	المولى علي العلياري التبريزي
الإمام الشيرازي	من منشورات مكتب منابع الثقافة الإسلامية
تراث كربلاء	السيد سلمان هادي آل طعمة
أدب الطف	السيد جواد شبر

الفهرس